

HEAVEN'S DOORS ARE OPEN

أبواب السماء مفتحة

تأليف
بليك ويسترن

ترجمة
ليندا مجدي - هناء رمزي

أبواب السماء مفتوحة

تأليف

بليك ويسترن

Blake Western

ترجمة

ليندا مجدي ، هناء رمزي



* النصوص الكتابية المنصوص عليها في النسخة الأصلية من الكتاب المترجم من اللغة الإنجليزية مأخوذة من الكتاب المقدس، الطبعة الدولية الجديدة. حقوق النشر لسنة ١٩٧٣ وسنة ١٩٨٧ وسنة ١٩٨٤ لجمعية الكتاب المقدس العالمية. تم استخدام هذه النصوص بتصريح من هيئة زوندرفان لنشر الكتاب المقدس Zondervan Bible Publishers
* حقوق الملكية الفكرية لبلوك ويسترن ٢٠١٩ @Blake Western
* جميع الحقوق محفوظة
* تم استخدام ترجمة فان دايك للكتاب المقدس Van Dyck Version في ترجمة النصوص الكتابية إلى اللغة العربية.

طبعة أولى

جميع حقوق الطبع محفوظة فلا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأي شكل من الأشكال بدون إذن خطي مسبق من الناشر.

الكتاب: أبواب السماء مفتوحة

المؤلف: بلوك ويسترن

ترجمة: ليندا مجدى - هناء رمزى

الناشر: نور الحياة لخدمات الترجمة

مدير النشر: فرحان ناشد

إخراج فنى وتجهيزات طباعة : نصر الله زكريا

تصميم غلاف: هناء رمزى

الطبعة الأولى: أكتوبر 2024

رقم الإيداع: 14106 / 2024

الترقيم الدولى: 5 - 12 - 8876 - 977 - 978

مقدمة الناشر

إن الأبواب المفتوحة تُرحب بالجميع، فمن خلالها يكون الدخول مجاني. والكتاب المقدس هو باب مفتوح لنا حيث نستطيع أن نتقابل مع الله. والصليب هو باب مفتوح للسماء حيث يمكننا أن نعيش مع الله. وكذلك الكنيسة هي باب مفتوح لكي نعبد الله الحي.

وعندما يُغلق الباب فهذا يعني أن الدخول قد أصبح مقتصر على فئة ما، حيث لا يمكنك أن تَقحم ذاتك من خلال باب مغلق. يخبرنا الكتاب المقدس أنه سيأتي وقت عندما يُغلق فيه باب السماء. كما في قصة العشر العذارى التي رواها الرب يسوع المسيح.

وتتدور فصول هذا الكتاب حول الكتاب المقدس ، ويتناول الكاتب عدة موضوعات متنوعة مثل: (حقيقة السماء، وعود مطمئنة، العثور على الكتاب المنسي، العودة للوطن السماوي، الأنشودة التي لا تنتهي، اتخاذ القرار بطريقة خاطئة، توقع الموت، مفاجآت يسوع، المسيحيون الضاحكون، أين هي حياتك؟ ...)

وكل فصل من الكتاب هو عبارة عن رسالة كاملة. والكتاب غني جداً بالحقائق والمعلومات الكتابية والروحية، وكذلك بالتطبيقات العملية، والتي تجعل حياتك أفضل.

ويسرنا أن نقدم هذا الكتاب «أبواب السماء مفتوحة» لكل قارئ عربي، ونشجعك لتستمتع برحلة خاصة عبر صفحات هذا الكتاب.

وأخيرًا، اليوم أبواب السماء مفتوحة ويمكننا أن ندخل مجانًا إذ أننا مدعوون. يمكن للكبير والصغير أن يأتي كما يمكن للغني والفقير أن يأتي. يمكن لأشخاص من كل الأمم والشعوب أن يأتوا. فقد قال الكتاب المقدس «من أراد أن يأتي». فهل تأتي؟

نور الحياة للنشر والتوزيع

الفهرس

٣	مقدمة الناشر
٧	مقدمة
٩	الفصل الأول: أبواب السماء مفتوحة لي
١٧	الفصل الثاني: الله الذي يحبك
٢٥	الفصل الثالث: التوبة الحقيقية
٣٥	الفصل الرابع: يسوع صديقنا المفضل
٤٣	الفصل الخامس: مفاجآت يسوع
٥١	الفصل السادس: ملء المسيح
٥٩	الفصل السابع: توقع الموت!
٦٧	الفصل الثامن: الطريق إلى الآب
٧٥	الفصل التاسع: النعمة الفياضة
٨٣	الفصل العاشر: لقد فوّتَ الحفل!
٩١	الفصل الحادي عشر: خلق الله كل الأشياء

٩٩	الفصل الثاني عشر: حقيقة السماء
١٠٩	الفصل الثالث عشر: وعود مُطْمَئِنَّة
١١٥	الفصل الرابع عشر: أقصى درجات الفقر
١٢٣	الفصل الخامس عشر: الأنشودة التي لا تنتهي
١٣١	الفصل السادس عشر: تصيروا مثل الأولاد
١٣٩	الفصل السابع عشر: العثور على كتاب مُنْسِي
١٤٥	الفصل الثامن عشر: المسيحيون الضاحكون
١٥٣	الفصل التاسع عشر: كيف يجب أن نصلي؟
١٦١	الفصل العشرون: الهدية العظمى
١٦٩	الفصل الحادي والعشرون: العودة إلى الديار
١٧٥	الفصل الثاني والعشرون: أين هي حياتك؟
١٨١	الفصل الثالث والعشرون: شعب الله
١٨٩	الفصل الرابع والعشرون: هل تستطيع المجيء إليه؟
١٩٥	الفصل الخامس والعشرون: اتخاذ القرار بطريقة خاطئة
٢٠٣	الخاتمة

مقدمة

الكتاب المقدس هو كتاب غير محدد بزمان، فهو يتحدث إلى كل العصور، وهو لا يرتبط بتاريخ. فالأشخاص الذين يقرأون الكتاب المقدس غالبًا ما يشعرون بأنهم يقرأون رسالة شخصية من الله. وهو يتحدث إلى الصغير والكبير على حدٍ سواء، كما يتعامل مع جميع الناس بغض النظر عن ثقافتهم. إن قناعة المؤلف هي أن الكتاب المقدس هو كلمة الله. هناك رسالة من الكتاب المقدس لك.

تتمحور فصول هذا الكتاب حول الكتاب المقدس. يُمثل كل فصل فيه رسالة كاملة، فلا يوجد تسلسل خاص يتوجب عليك أن تتبعه في القراءة. كما يمكنك أن تتجاوز بعض الفصول وتقرأ عن الموضوعات التي تهتمك. سوف تجد فصولًا تشجع المؤمنين، كما ستجد فصولًا موجهة إلى غير المؤمنين. سوف تجد رسائل موجهة لك إذا كنت تسعى لمعرفة المزيد حول الكتاب المقدس. يهدف المؤلف إلى أن يجعل كل فصل واضحًا وسهل الفهم بقدر الإمكان. قد ترغب في أن تأخذ كتابك المقدس وتقرأ النصوص والشواهد الكتابية من كتابك الخاص. إن كانت تلك هي المرة الأولى لك لقراءة الكتاب المقدس فلا تُحبط، فكل ما يهم هو أن تستمر في القراءة. صلّ قبل أن تقرأ واطلب من الله أن يعطيك الفهم.

بليك ويسترن

الفصل الأول

أبواب السماء مفتوحة لي

«فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ وَاحِدٌ مِنَ الْمُتَكِنِينَ قَالَ لَهُ: «طُوبَى لِمَنْ يَأْكُلُ خُبْزًا فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ». فَقَالَ لَهُ: «إِنْسَانٌ صَنَعَ عَشَاءً عَظِيمًا وَدَعَا كَثِيرِينَ، وَأَرْسَلَ عَبْدَهُ فِي سَاعَةِ الْعَشَاءِ لِيَقُولَ لِلْمَدْعُوعِينَ: تَعَالَوْا لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ أُعِدَّ. فَأَبْتَدَأَ الْجَمِيعُ بِرَأْيِ وَاحِدٍ يَسْتَعْفُونَ. قَالَ لَهُ الْأَوَّلُ: إِنِّي أَشْتَرَيْتُ حَقْلًا، وَأَنَا مُضْطَرٌّ أَنْ أَخْرُجَ وَأَنْظُرَهُ. أَسْأَلُكَ أَنْ تُعْفِينِي. وَقَالَ آخَرُ: إِنِّي أَشْتَرَيْتُ خَمْسَةَ أَزْوَاجِ بَقَرٍ، وَأَنَا مَاضٍ لِامْتِحَانِهَا. أَسْأَلُكَ أَنْ تُعْفِينِي. وَقَالَ آخَرُ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ بِأَمْرَأَةٍ، فَلِذَلِكَ لَا أَقْدِرُ أَنْ أَجِيءَ. فَأَتَى ذَلِكَ الْعَبْدُ وَأَخْبَرَ سَيِّدَهُ بِذَلِكَ. حِينَئِذٍ غَضِبَ رَبُّ الْبَيْتِ، وَقَالَ لِعَبْدِهِ: أَخْرُجْ عَاجِلًا إِلَى شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ وَأَزِقْهَا، وَأَدْخِلْ إِلَى هُنَا الْمَسَاكِينَ وَالْجُدَعَ وَالْعُرْجَ وَالْعُمَى. فَقَالَ الْعَبْدُ: يَا سَيِّدُ، قَدْ صَارَ كَمَا أَمَرْتَ، وَيُوجَدُ أَيْضًا مَكَانٌ. فَقَالَ السَّيِّدُ لِلْعَبْدِ: أَخْرُجْ إِلَى الطَّرِيقِ وَالسِّيَّاحَاتِ وَالزَّمَمِ بِالْدُخُولِ حَتَّى يَمْتَلِئَ بَيْتِي، لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ وَاحِدٌ مِنْ أُولَئِكَ الرَّجَالِ الْمَدْعُوعِينَ يَدْخُلُ عَشَائِي» (لوقا ١٤: ١٥-٢٤)

إن الأبواب المفتوحة ترحب بالجميع، فمن خلالها هناك دخول مجاني. والكتاب المقدس هو باب مفتوح لنا حيث نستطيع أن نتقابل مع الله. والصليب هو باب مفتوح للسماء حيث يمكننا أن نعيش مع الله. وكذلك الكنيسة هي باب مفتوح لكي نعبد الله الحي.

عندما يغلق الباب فهذا يعني أن الدخول قد أصبح مقتصر على فئة ما، حيث لا يمكنك أن تتحطم ذاتك من خلال باب مغلق. وفي يومنا هذا يُبقي معظم الناس أبوابهم محكمة الغلق بغرض الحماية، فلا يدعون أي شخص لدخول منزلهم إن لم يكن ضمن أفراد العائلة أو الأصدقاء المدعويين. يخبرنا الكتاب المقدس أنه سيأتي وقت عندما يُغلق فيه باب السماء. لقد روى يسوع ذات مرة قصة عن عشر عذارى كنَّ مدعوات إلى حفل زفاف، خمس منهن مستعدات وخمس غير مستعدات. وعندما تعالى النداء بقدوم العريس، دخل خمس منهن إلى هذا الاحتفال المفرج، بينما وجدت الخمس الأخريات أن الباب قد أغلق عندما أتين. فقد وصلن متأخرًا فلم يستطعن الدخول.

اليوم أبواب السماء مفتوحة ويمكننا أن ندخل مجانًا إذ أننا مدعوون. يمكن للكبير والصغير أن يأتي كما يمكن للغني والفقير أن يأتي. يمكن لأشخاص من كل الأمم والشعوب أن يأتوا. فقد قال الكتاب المقدس «من أراد أن يأتي».

١- الدعوة تُظهر أن أبواب السماء مفتوحة

علّمنا يسوع من خلال سرد القصص، وقد أخبرنا عن رجل أعد وليمة عظيمة ودعا الكثير من الضيوف. لا شك أنه قد أعد عشاءً فاخرًا وسخيًا. في أناجيل أخرى، نعلم أن تلك الوليمة كانت مُعدة لابن الملك، وبالتأكيد كانت تعني الكثير له؛ فهي لم تكن مجرد وجبة خفيفة عادية بل وليمة مميزة. أُعدت لكي تكون وليمة لا تُنسى. وقد نظن أن الناس سوف يسرعون إلى احتفال مثل هذا.

لقد كان الملك سخيًّا جدًّا في دعوته للناس إلى هذه الوليمة، ويا له من امتياز كبير مجرد أن تكون مدعوًّا لها. لم يُجبر أحدًا الملك أن يدعو الضيوف، ولكنه أرادهم أن يأتوا، لقد كان يرغب في حضورهم. إن الله يتعامل هكذا معنا، فهو يدعونا لحضوره المقرب. يدعونا لكي نكون جزءًا من عائلته، يدعونا لعلنا نقبل أن نصبح أولاده. وهو يدعونا لمملكته، لعلنا نصبح مواطنين فيها. هو يدعونا لمشاركة السعادة التي يمنحها.

إن الكتاب المقدس هو إحدى الدعوات الكبرى لنا والتي لم تتغير أبدًا. وسواء كنا نحيا في القرن الأول أو القرن الحادي والعشرين، فهي نفس الدعوة لجميعنا. وبعبارة أبسط فإن دعوة الله لنا هي «يسوع»، حيث قال يسوع: «تعالوا إليّ...»، وهذه هي رسالة الكتاب المقدس. وتأملاً كما دعا الملك الناس إلى الوليمة، يدعونا الله إلى وليمته السماوية.

مَن هو المدعو إلى مسكن الله؟ أنت مدعو! أنا مدعو! كل واحد مدعو! يحمل آخر سفر من الكتاب المقدس واحدة من أعظم الدعوات من الله «وَالرُّوحُ وَالْعَرُوسُ يَقُولَانِ: «تَعَالَ!». وَمَنْ يَسْمَعُ فَلْيَقُلْ: «تَعَالَ!». وَمَنْ يَعْطِشُ فَلْيَأْتِ. وَمَنْ يُرِدْ فَلْيَأْخُذْ مَاءَ حَيَاةٍ مَجَّانًا.» (رؤيا ٢٢: ١٧). واحدة من كلماتي المفضلة في الكتاب المقدس هي كلمة (مَن)، فهي تعني أنه بإمكانك أن تكتب اسمك هناك، ولا تحتاج أن تشك أن اسمك مدرج. هذا باب مفتوح. مهما كنت شخصًا سيئًا أو مهما كنت شخصًا صالحًا، تظل تلك الدعوة لك. تأمل تلك الدعوة المشابهة في (رومية ١٠: ١٣) لِأَنَّ «كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ». وتستخدم بعض الترجمات عبارة «أيًا كان»، بينما يظل المعنى واحد.

ماذا قال يسوع؟ «مَنْ يُقْبَلْ إِلَيَّ لَا أُخْرِجُهُ خَارِجًا.» (يوحنا ٦: ٣٧). هل يجب أن نصلح من أنفسنا أولًا؟ هل يجب علينا أن نفهم كل شيء قبل أن نأتي؟ هذا ليس وفقًا لما قاله يسوع، فكل ما علينا فعله هو أن نأتي. إلى أين تحتاج أن تذهب عندما تكون مريضًا؟ ستذهب إلى الطبيب. ماذا تحتاج أن تفعل عندما تواجه مشكلات قانونية؟ أن تذهب إلى المحامي. ماذا تفعل عندما تكون في حاجة لاقتراض بعض النقود؟ ستذهب إلى البنك. إذا كان يمكنك أن تتناول الخبز لسد جوعك الجسدي، فبال تأكيد يمكنك أن تأخذ خبز الحياة، وإن كان يمكنك أن تشرب ماءً من النبع، فبال تأكيد يمكنك أن تشرب ماء الحياة.

توجد اثنتي عشرة بوابة في المدينة السمائية، حيث تقع ثلاث بوابات عند كل جهة وجميعها مفتوحة. فيسوع فتح الباب إلى السماء على مصراعيه، فقد قال ذات مرة: «أنا هو الباب». لذا فأنت مدعو، ولا يمكن أن يكون الأمر أكثر وضوحًا وتأكيدًا من ذلك. فأيا مَنْ كنت، أنت مدعو.

٢-الإعداد يؤكد أن أبواب السماء مفتوحة

الرسالة إلى المدعوين كانت كالتالي: «تَعَالَوْا لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ أُعِدَّ». قد أُعِدَّ الملك وليمة عظيمة، وكل شيء قد تم تجهيزه منتظرًا المدعوين. لم يكن على أي شخص أن يُحضر أي شيء معه، فالوليمة قد أُعدت كاملة. لدي بعض الأخبار السارة لك، وهي أفضل أخبار يمكنك أن تسمعها: الخلاص قد أُعِدَّ كاملاً. عندما مات يسوع على الصليب صرخ، ليس عن هزيمة ولكن بانتصار: «قد أكمل»، وهذا يعني أن «الثمن قد دفع بالكامل». ماذا كان يعني يسوع

بذلك؟ لقد كان يعني أن كل ما هو لازم لخلاصك أصبح الآن كاملاً. لقد فُتح الباب، ودُفع دين خطايانا بالكامل، وكُمِّل الطريق إلى السماء.

يؤكد سفر العبرانيين على هذه الحقيقة من خلال قوله إن يسوع مات ليكون «القربان الواحد وإلى الأبد»، فهو لن يموت لأجلنا مرة أخرى. لقد أخذ ابن الله مكاننا مرة واحدة في التاريخ، ومات بالمدينة التي كنا نستحقها، وعُلِّق على الصليب حيث كان ينبغي أن نكون نحن. ولكي يُظهر لنا أن الطريق إلى السماء قد أصبح متاحًا، شقَّ الحجاب العظيم الذي يفصل قدس الأقداس عن باقي الهيكل من أوله إلى آخره. قبل ذلك الوقت لم يستطع الشعب الدخول إلى قدس الأقداس، بل استطاع فقط رئيس الكهنة أن يدخل إلى هناك مرة واحدة في العام ليقدم ذبيحة عن خطايا الشعب. ويسوع قد قدّم نفسه كقربان واحد وإلى الأبد.

نستطيع الآن أن نأتي مباشرة إلى الإله الحي القدوس، فالطريق إلى القدوس قد أصبح مُمهّدًا ولقد تم إكمال إعداده. فنحن لا نستطيع أن نفعل أبدًا ما فعله يسوع، فهو قدّم ذبيحة عن خطايانا بالغّة في حد الكمال. من خلاله يمكننا أن نعبر خلال باب السماء. لقد قال: «أنا هو الطريق والحق والحياة». سيكون أمرًا غاية في الإحراج أن تذهب إلى عشاء رئيس الجمهورية لتكتشف عند البوابة أنك لست مدعوًا. ولكن هذا لا يمكن أن يحدث على الجانب الروحي إذا ذهبت إلى السماء على أساس دعوة يسوع. فإن سألك أحد «مَن دعاك؟»، لابد أن تكون إجابتك: يسوع دعاني، أنا ابن لله، وأنتمي إلى عائلتي هنا، فأنا وطني هنا.

هل يمكن أن تتخيل أن يقوم ضيف بإحضار عشاء لوليمة أعدها الملك؟ ستعد تلك بمثابة إهانة كبيرة، ولكن هذا ما يحاول الكثيرون فعله مع الله. فهم يحضرون معهم بعض وجبات الأعمال الصالحة والأخلاقية التي قد فعلوها والأمور الدينية، معللين ذلك بأنهم يحتاجون بالتأكيد إلى تلك الأمور. ولكن الله لا يفتقر إلى أي إمداد، فقد أعد كل شيء بصورة كاملة وكل شيء جاهزًا. أبواب السماء مفتوحة الآن، وكل ما عليك فعله هو أن تأتي وتقبل الدعوة.

٣- الاستجابة تعكس أن أبواب السماء مفتوحة

نحن الآن على أعتاب مفاجأة، فقد تعتقد أن الناس سيتدافعون لكي يصلوا إلى الاحتفال، ولكن ليس هذا ما يحدث. فقد بدأ المدعوون باختلاق الأعذار. كان عذر أحد الرجال مرتبطًا بأرضه، بينما اعتذر آخر بسبب ثوره، واعتذر الثالث عن الحضور بسبب زوجته. كان لدى جميعهم حجة، ماذا كانت تعني هذه الحجج؟ كانت تعني أنهم لا يريدون أن يأتوا.

يستمتع رعاة الكنيسة إلى جميع أنواع الأعذار. وسوف تظهر في بعض الأحيان أعذار جديدة، ولكن معظم الأعذار من النوع الذي يتم استخدامه كثيرًا. قال أحدهم أن الطريق إلى الجحيم مفروشًا بالأعذار. هل كان الملك مسرورًا بتلك الأعذار؟ لا، بل نعلم أنه أصبح غاضبًا، فلقد كلفه إعداد ذلك الاحتفال ثمنًا باهظًا، ولأجل صلاحه دعا الناس لكي يأتوا. فإن الاعتذار عن بعض الأمور لا يهم، ولكنه في غاية الأهمية عندما يتعلق الأمر بحياتنا الأبدية. لا يجب أن يتم الاستخفاف بدعوة الخلاص، لأن لها تداعيات أبدية.

يقول بعض الناس في بعض الأحيان أنهم لا يشعرون بأنهم مستحقين أن يأتوا إلى الله، ولكن هذا بالضبط هو ما يجعلنا نستطيع أن نأتي. قال يسوع أنه لم يأت ليدعو أبرارًا بل خطاة إلى التوبة، ليس الأصحاء بل المرضى. إذا كنت تعتقد أن خطيتك أو خطاياك الرهيبة تمنعك عن المجيء، فأنت مخطئ بشدة. وذلك لأن خطاياك هي ما يجب أن تدفعك إلى المجيء والسبب في أنك مدعو. لأن الخطاة فقط هم من يمكنهم أن يأتوا إلى وليمة يسوع، غير المستحقين فقط هم المدعوون.

كم كان الملك سخيًا في القصة التي رواها يسوع! فلقد دعا الملك أناسًا آخرين من الضعفاء والعاجزين. لقد دعا أشخاصًا لم يكونوا ليقدرُوا أن يقدموا له شيئًا، أشخاصًا لن يكونوا قادرين على رد إحسانه لهم. تخيل مفاجأتهم بتلك الدعوة، تلك الدعوة يجب أن تفاجئنا نحن أيضًا. فلا أحد منّا يستحق المجيء، ولكن الأمر كله يتعلق بمحبة الله الذي دعانا.

إن الأشخاص الذين اختلقوا أعذارًا لم يجادلوا بشأن الدعوة، ولكنهم ببساطة رفضوها. كان يمكنهم أن يذهبوا ولكنهم لم يفعلوا ذلك، فقد طُرحوا خارجًا بسبب قرارهم المأخوذ بمحض إرادتهم. إذا فوّت شخص دخول السماء، فلن يعود السبب إلى أنه لم يستطع المجيء أو أنه لم يتم دعوته، بل لأنه لم يُرد أن يذهب، بل أراد أشياء أخرى عوضًا عن الذهاب إلى السماء. واحدة من أعظم الترانيم هي ترنيمة:

كما أنا وليس لي عذر لديك إلا الدم المسفوك عني من يديك
وأمرك القائل أن آتي إليك آتي أنا يا حمل الله الوديع

هل تريد أن تسمع شيئاً يلاً فمك بالضحك؟ شيئاً مثيراً؟ بل يجعلك ترقص من شدة الفرح؟ هذا الشيء هو: أبواب السماء مفتوحة! يسوع بنفسه هو الباب إلى السماء، ومن ثم تستطيع أن تدخل إليها. «أَنَا هُوَ الْبَابُ. إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ.» (يوحنا ١٠:٩) فمن خلال يسوع تستطيع أن تدخل إلى محضر الله. لن تحتاج إلى أي طريقة أخرى للتعرف على الله إلا من خلال يسوع، فهو كل ما تحتاج إليه. كل ما تحتاج أن تفعله هو أن تأتي «تَعَالَوْا لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ أُعِدَّ. » فكَرَّ في الدعوة، وأنظر إلى الإعداد الذي تم، وفكر في الاستجابة. ماذا يجب أن تفعل؟ تعال! متى يمكن أن تأتي؟ الآن، فكل شيء جاهز، الأبواب مفتوحة!

الفصل الثاني الله الذي يحبك

«يَا رَبُّ، قَدْ اخْتَبَرْتَنِي وَعَرَفْتَنِي. أَنْتَ عَرَفْتَ جُلُوسِي وَقِيَامِي. فَهَمَمْتُ فِكْرِي مِنْ بَعِيدٍ. مَسَلِكِي وَمَرْبِضِي ذَرَيْتَ، وَكُلَّ طُرُقِي عَرَفْتَ. لِأَنَّهُ لَيْسَ كَلِمَةً فِي لِسَانِي، إِلَّا وَأَنْتَ يَا رَبُّ عَرَفْتَهَا كُلَّهَا. مِنْ خَلْفٍ وَمِنْ قُدَّامٍ حَاصِرْتَنِي، وَجَعَلْتَ عَلَيَّ يَدَكَ. عَجِيبَةٌ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ، فَوْقِي ارْتَفَعْتَ، لَا أَسْتَطِيعُهَا. أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ؟ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟ إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ، وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَوَايَةِ فَهَا أَنْتَ. إِنْ أَخَذْتُ جَنَاحِي الصُّبْحِ، وَسَكَنْتُ فِي أَقْصَايِ الْبَحْرِ، فَهَنَّاكَ أَيْضًا تَهْدِينِي يَدُكَ وَمُسْكِنِي يَمِينُكَ. فَقُلْتُ: «إِنَّمَا الظُّلْمَةُ تَغْشَانِي». فَالْلَيْلُ يُضِيءُ حَوْلِي! الظُّلْمَةُ أَيْضًا لَا تَظْلِمُ لَدَيْكَ، وَالْلَيْلُ مِثْلَ النَّهَارِ يُضِيءُ. كَالظُّلْمَةِ هَكَذَا النُّورُ. لِأَنَّكَ أَنْتَ أَقْتَنَيْتَ كُلَّيَّتِي. نَسَجْتَنِي فِي بَطْنِ أُمِّي. أَحْمَدُكَ مِنْ أَجْلِ أَيْ قَدْ أَمْتَزْتُ عَجَبًا. عَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ، وَنَفْسِي تَعْرِفُ ذَلِكَ يَقِينًا. لَمْ تَخْتَفِ عَنْكَ عِظَامِي حِينَمَا صُنِعْتُ فِي الْخَفَاءِ، وَرُقِمْتُ فِي أَعْمَاقِ الْأَرْضِ. رَأَتْ عَيْنَاكَ أَعْضَائِي، وَفِي سَفَرِكَ كُلُّهَا كُتِبَتْ يَوْمَ تَصَوَّرْتُ، إِذْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْهَا.» (مزمو ١٣٩: ١-١٦)

ماذا يشبه الله؟ يقول الكتاب المقدس إن «الله محبة» فهذه هي الرسالة الحقيقية للكتاب المقدس. ومن سفر التكوين إلى سفر الرؤيا يمكننا أن نقرأ

عن حب الله لنا. فحبه يأتي دائماً أولاً، فلقد أحبنا أولاً قبل أن نحبه. حب الله غير قابل للزيادة أو للنقصان، فهو حب مقدس لا يعتمد على شيء بداخلنا أو بدوننا. فلا يعتمد علينا أو على ردود أفعالنا بأي حال، فحب الله ثابت دائماً غير متغير. فهو حب شامل أبدي. فيقول سفر إرميا أن حب الله «من الأزل إلى الأبد». لم يكن هناك وقت لم يحبك الله فيه ولن يأتي وقت لن يحبك فيه.

بعض الآباء لديهم نوع مقيّد من الحب، هذا الحب الذي لا يسمح للأبناء بالنمو أو بتحمل المسؤولية. والبعض الآخر لا يظهر حبه بغض النظر عن قدر المجهود الذي يبذله الابن أو تبذله الابنة لتحقيق شيئاً ما. فليس لديهم كلمات للثناء. وهناك بعض الآباء الغائبين حتى عن مجرد التعبير عن حبهم بقولهم «أحبك» وعادةً ما تكون العواقب مأساوية بعد ذلك. هل حب الله يشبه أيّاً من هذه؟ هل يراقب الله من بعيد حتى يجد الفرصة لإدانتنا؟ مطلقاً. فالله ليس الإله الغائب غير المهتم. فحتى وإن لم نختبر حب الله، فهو لا يزال حقيقة واقعة. الله يحب الكل، الصالح والسيء فالله يحب أعدائه الرافضين له والذين ينكرون وجوده ولا شيء من هذا يمكن أن يغيّر حقيقة حب الله لنا.

١- الله الذي يحبك يعلم كل شيء عنك

يقول البعض أحياناً «لو عَلِمَت فلانة هذا الأمر عني، لما كانت أحببتي»، ولكن الله يحبنا رغم معرفته كل شيء عنا. فهو على علم بكلماتنا قبل أن نطقها وبأفكارنا قبل التفكير فيها وبأفعالنا قبل أن نقوم بها حتى خطايانا ليست بمفاجأة له. فلا حدود لمعرفة الله على أي حال فهو يعلم ماضي

وحاضرنا ومستقبلنا. يقول سفر المزامير «عَجِيبَةٌ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ» وهذا ما يجعل منه حب أكثر من رائع لأن الله لا يحبنا لاستحقاقنا ولا يحبنا لأنه يريد مقابل وليس هناك أي دافع لهذا الحب.

يمكن أن يقول صديق «إنك تقرأ أفكاري»، ولكن لا أحد منّا يستطيع أن يقوم بذلك. فأحياناً نظن أننا نعرف شخصاً ما جيداً ونكتشف لاحقاً أننا لا نعلم عنه أي شيء. حتى المتزوجون لعدة سنوات، يمكن أن يتفاجأوا بما لا يعرفون عن بعضهم البعض. لقد قرأت عن قس تم القبض عليه، ففي خلال الأسبوع يقوم بالسرقة وارتكاب العديد من الجرائم وأنا على يقين أن رواد الكنيسة يعتقدون أنهم على معرفة جيدة به. تخيلوا مدى دهشتهم لمعرفة خبر القبض عليه. تقول الآية الثانية من نفس المزمور المذكور أعلاه «فَهِمَّتْ فِكْرِي مِنْ بَعِيدٍ».

إن الله ليس فقط فاحصاً لأفكارنا ولكنه أيضاً يعلم كلماتنا. فالكلمات لها قوة يمكن أن تبني أو تهدم. هي كالقنبلة الموقوتة أو كالبركان يمكن أن تهدم علاقات أو تفسد السمعة ويمكن أيضاً أن تتسبب في معاناة غير معلنة. كم من مرة يقول الناس «كنت أتمنى ألا أقول هذا ؟» تقول الآية الرابعة من نفس المزمور: «لِأَنَّهُ لَيْسَ كَلِمَةً فِي لِسَانِي، إِلَّا وَأَنْتَ يَا رَبُّ عَرَفْتَهَا كُلَّهَا». «لِأَنَّكَ بِكَلَامِكَ تَتَبَرَّرُ وَبِكَلَامِكَ تُدَانُ» (متى ١٢: ٣٧)

إن الله أيضاً فاحص لجميع أفعالنا فهو لا يتفاجأ بأفعالنا وكما أننا لا نعلم عن أفكار وكلمات الآخرين، فنحن لا نعلم أيضاً عن أفعالهم، ولكن الله يعلم. لا يوجد شيء غامض أو مبهم لدى الله فرمما نتفاجأ عند معرفة

أن شخصًا صالحًا قام بفعل شيئًا سيئًا، لكن الله لا يتفاجأ فهو يعلم. لقد ظل يهوذا مع المسيح لمدة ثلاث سنوات ورأى وسمع كل شيء مثل باقي التلاميذ ولكن لا شك أن التلاميذ قد تفاجأوا بخيانة يهوذا. ولكن الله لم يتفاجأ، فالله كان يعلم منذ البداية بما كان سيفعله يهوذا، فقد كان يهوذا لصًا من البداية. الله لا يعلم فقط ما نفعله ولكنه يعلم السبب وراء فعلنا لهذا الشيء أيضًا.

ألا يخبرنا ذلك بشيء رائع عن الله؟ الله يعلم كل شيء، يعلم ماضيك ولكن مازال يحبك. يعلم ما الذي سنفعله اليوم لكنه بالرغم من ذلك يحبنا. لا يمكننا أن نستوعب أو نشرح مدى معرفة الله ولكن ذلك لا يغير كونها حقيقية. وعلى الرغم من معرفة الله بكل الاحتمالات وبكل ما نفعله وبكل ما يفعله كل شخص ولكن بالرغم من تلك المعرفة لم يتغير حبه. فالله الذي يعلم عنا كل شيء هو الله الذي يحبنا.

٢- الله الذي يحبك هو دائمًا بجانبك

قد ينتقل الإنسان أكثر من مرة للاختباء من أسرته أو حتى من الشرطة. ونسمع أخبارًا من حين لآخر عن قصة هارب تمكن من الاختباء لعدة سنوات وذلك محاولة منه للبحث عن هوية جديدة، فلا أحد يعلم شيئًا عن ماضيه. لقد حاول يونان كما يخبرنا الكتاب المقدس الهرب من وجه الله لأنه لم يكن يريد تنفيذ ما طلبه منه الله. فأنت لا تستطيع الهرب من الله، ولكن لماذا؟ لأنه دائمًا بالقرب منك، فهو أقرب من النَفَس الذي تتنفسه. هذا يطلق عليه بأن الله كلي الوجود، فالله يملأ الكل. قولنا هذا لا يعني أن كل شيء هو الله، ولكن الله هو الخالق وكل الخليقة أمامه.

البُعد الجغرافي لا يشكل عائق في إيجاد الله. فنحن لسنا أقرب إلى الله بوجودنا في مبنى الكنيسة عن تواجدها في المنزل. فالله كلي الوجود سواء كان ذلك في مكان عملنا أو في إحدى غرف المستشفيات. فتواجهه هو هو سواء كنا في مركبة فضائية متجهين نحو مجرة بعيدة عن الأرض أو كنا في أعماق مكان في قلب الأرض. يقول سي إس لويس C.S. Lewis: «إن السمكة ليست أكثر ولا أقل قدرًا في البحر بعد أن سبحت آلاف الأميال عما كانت عليه عند نقطة انطلاقها للبحر» فالمسافة ليست عائقًا لدى الله. يمكن أن تكون المسافة نطاق محدودية للإنسان، ولكنها ليست كذلك بالنسبة لله.

هناك محدودية لرؤيتنا، فيمكننا أن نرى لمسافة معينة فقط. يمكننا أن نتواجد في مكان واحد فقط. يمكنني أن أرى مسافة قصيرة أو محدودة أمامي وحوالي. ولكن رؤية الله مختلفة، فهو متواجدًا بالنهار وبالليل. فهو موجود الآن وللأبد، إذ أنه الإله الكلي الحضور ودائم الوجود. فهو لم يخلق الأرض ويهجرها ولم يملأ الساعة ثم تركها لتعمل بمفردها. فهو موجود في كل وقت، في الشباب وفي المشيب، موجود اليوم وغدًا ونحن دائمًا موجودون في حضوره سواء علمنا ذلك أو جهلناه.

ألا يخبرنا هذا عن مدى روعة حب الله؟ ليس من الضروري الذهاب لمكان بعينه لنجد حب الله. ولا يجب علينا أن نقوم برحلة طويلة إلى بعض الأماكن المقدسة لنجد حب الله. فيمكننا أن نختبر حب الله الآن وحالًا، فهو قريب. خلال موت المسيح على الصليب تمت إزالة كل الحواجز بين الله والإنسان. فمن خلال المسيح، يمكننا أن نقترّب إلى الله الذي هو قريب جدًا

منّا. ومن الممكن أن يكون الناس غير مهتمين أو خائفين من الاقتراب ولكن الكتاب المقدس أكد أننا نستطيع الاقتراب من الله الذي هو قريب منّا. يقول الكتاب المقدس إن كلمة الخلاص قريبة منك، فأنت لا تحتاج الذهاب إلي الفردوس أو التنقيب في عمق الأرض لتجدها. ولكننا نستطيع أن نختر حب الله اليوم بالإيمان.

٣- الله الذي يحبك لديه خطط رائعة لك

عادةً ما يبدأ الآباء بالتخطيط الدقيق لأبنائهم حتى من قبل ميلادهم، فيكون كل شيء جاهز للمولود. ويكون هذا التخطيط ممتدًا حتى إلى ما بعد ميلادهم، فالمزارع قد يسعى أن يكون ابنه مزارع مثله ويظل في المزرعة، والأب الرياضي قد يتوقع ويخطط لابنه بأن يكون مثله، كما قد تخطط المعلمة بأن تكون ابنتها مُعلّمة مثلها. وغالبًا ما تُخفق خطط الآباء وذلك نتيجة لأنانيتهم وعدم حكمتهم. ولكن الله لديه خطط عظيمة لك، فخطه حكيمة ونابعة من محبته الخالصة لنا. هل بدأت أن ترى ملمحًا من عظمة الله؟ «عَظِيمٌ هُوَ الرَّبُّ وَحَمِيدٌ جَدًّا، وَلَيْسَ لِعَظَمَتِهِ اسْتِقْصَاءٌ.» (مزمور ١٤٥: ٣)

متى بدأت خطط الله؟ تسبق خطط الله في زمنها قدرتنا على الإدراك، فالله قد خطط لنا حتى من قبل ميلادنا. فأنت عمل الله ووجودك ههنا ليس بصدفة. فكل مولد لطفل هو معجزة، حتى في الرحم الله يرشد. «لَإِنَّكَ أَنْتَ أَقْتَنَيْتَ كُلِّيَّتِي. نَسَجْتَنِي فِي بَطْنِ أُمِّي.» (مزمور ١٣٩: ١٣). وهذه الكلمات تحثنا على احترام الحياة البشرية حتى من قبل ميلادها. آلاف الأطفال يموتون كل يوم قبل ميلادهم ولكن كان لدى الله خطط لهم أيضًا. وهذا ما يؤكد

خطأ عمليات الإجهاض، فالله لديه هدف فريد لكل حياة بشرية. فلا يوجد شخص مثلك ولن يوجد من هو مثلك. وبغض النظر عن أي عجز أو عيب خلقي، فالله لديه هدف لنا. يجب علينا ألا نحاول التشبه بغيرنا، كن الشخص الذي خلقك الله لتكونه.

يفكر الله دائماً بنا فهو يريدنا ويريد حضورنا. ويا للدهشة التي يجب أن نستشعرها في هذه الكلمات «أُسْتَيْقَظْتُ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكَ». يقول لنا الكتاب المقدس أن فرح الله بنا كفرح العريس بعروسه، فيبتهج الله بنا دائماً. ويصعب على بعض الناس تصديق هذا أو فهمه. فسلوك الاعتداء والرفض الذي يمارسه البعض من البشر عادةً ما يغيّر موقف هؤلاء ممن يصعب عليهم إدراك فرح الله بنا. ولكن الله ليس كذلك فهو ليس مثلنا، فهو أفضل بكثير من أروع والدين يمكن أن نتخيلهم. هو الله الحي الذي يحبنا. قد تشعر بالتجاهل أو الضعف أو الازدراء ولكن الله يعلم عنك كل شيء ويحبك بعمق. «أَمَّا أَنَا فَمِسْكِينٌ وَبَائِسٌ. الرَّبُّ يَهْتَمُّ بِي. عَوْنِي وَمُنْقِذِي أَنْتَ.» (مزمو ١٧: ٤٠) وفي الترجمة الإنجليزية للكتاب المقدس الطبعة الدولية الجديدة يستخدم تعبير «thinks upon me» أو الله يفكر بي.

الإله الذي يحبنا ليس بضعيف وجاهل مثلنا، فهو أعظم بكثير من أي أحد، رجلاً كان أو امرأة. وأعظم بكثير من كل الرجال والسيدات مجتمعين معاً. نحن مثل جرثومة ضئيلة الحجم على مرمى بصره، فهو خالق كل هذا الكون الفسيح. الله يعلم عنّا كل شيء ومازال يحبنا. هو قريب منّا بغض النظر عن من نكون أو مكاننا ولديه خطط رائعة من أجلنا وجميعها تم

تخطيها بحب. من الرائع أن بإمكاننا أن نكون على علاقة شخصية مع الإله الذي يحبنا. هو دائماً ما يقوم بالمبادرة، فإله محبة.

الفصل الثالث

التوبة الحقيقية

«لَإِنَّ الْحُزْنَ الَّذِي بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللَّهِ يُنْشِئُ تَوْبَةً لِّخَلَاصٍ بِلَا نَدَامَةٍ، وَأَمَّا حُزْنُ الْعَالَمِ فَيُنْشِئُ مَوْتًا. فَإِنَّهُ هُوَذَا حُزْنُكُمْ هَذَا عَيْنُهُ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللَّهِ، كَمْ أَنْشَأَ فِيكُمْ: مِنَ الْأَجْتِهَادِ، بَلْ مِنَ الْأَحْتِجَاجِ، بَلْ مِنَ الْغَيْظِ، بَلْ مِنَ الْخَوْفِ، بَلْ مِنَ الشَّوْقِ، بَلْ مِنَ الْعَبْرَةِ، بَلْ مِنَ الْإِنْتِقَامِ. فِي كُلِّ شَيْءٍ أَظْهَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ أَنَّكُمْ أَبْرِيَاءُ فِي هَذَا الْأَمْرِ.»
(كورنثوس الثانية ٧: ١٠-١١)

في عام ١٩٥٩ دخل رجل مستشفى الأمراض العقلية، ولم تكن هذه هي المرة الأولى له ليتواجد هناك، فماذا كانت مشكلته؟ حاول هذا الرجل أن ينهي حياته بالانتحار، علاوة على أنه كان مذبذبًا في الكثير من الجرائم، وكان يشرب الكثير من الخمر، هذا بالإضافة إلى تحطم زواجه. كان هذا الرجل يعمل قائدًا للقوات الجوية في أثناء الحرب العالمية الثانية وكان متواجدًا في أول طائرة تقذف المفاعل النووي فوق مدينة هيروشيما باليابان، لذلك عانى كثيرًا من الشعور بالذنب الذي لم يقدر على تخطيه أو التعافي منه.

من أكبر المشاكل في عصرنا الحالي هو الشعور بأنك مذبذب أو الشعور بالذنب. فالذنب من الممكن أن يكون حقيقي ومن الممكن أن يكون شعور

وهمي بالذنب (شعور غير حقيقي). وغالبًا ما يدعو الشيطان المؤمنين للشعور بالذنب على الرغم من أنهم قد يكونوا نالوا الغفران بالفعل. إن حمل الذنب هو حمل ثقيل. روى جون بنيان John Bunyan قصة يشرح فيها ويوضح كيف كان حمل الصليب على ظهر المسيح ثقیلاً جدًا في مسيرته للصلب. وهناك في هذه المسيرة ذهبت الأحمال والأعباء الثقيلة. كثير من المرضى الذين يترددون على الأطباء لا يعانون من مشاكل صحية فحسب ولكنهم يشعرون حقًا بالذنب والغضب، فالذنب والغضب يسببان الآلام الجسدية.

عندما نتحدث هنا عن الشعور بالذنب في هذه الرسالة، نحن نتحدث عن الذنب الذي يحدث بسبب الخطية. وهو شعور حقيقي بالذنب. هو شعور حقيقي لأننا كسرنا القوانين الإلهية، لأننا تمردنا على الإله الحي، ولأننا نحينا جانبًا من أحبا للمنتهى. إذًا دعونا نسأل أنفسنا ما الذي يجب أن نفعله حيال شعورنا بالذنب؟ نحتاج أن نتوب. التوبة هي كلمة تم نسيانها هذه الأيام، وقد بشر أنبياء العهد القديم بالتوبة. ودعا يوحنا المعمدان الناس بالتوبة في إنجيل (متى ٣: ٢) قائلًا: «تُوبُوا، لِأَنَّهُ قَدْ أَقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ». وكانت أيضًا هذه هي رسالة المسيح.

١- تعريف التوبة الحقيقية

التوبة الحقيقية هي تغيير في طريقة التفكير. هي تغيير في اتجاهات ومسارات الحياة. بمعنى أوضح تغيير الطرق القديمة التي اعتدنا أن نسلکها في حياتنا. والآن، ما هو الفرق والاختلاف بين التوبة والحق؟ وصف أحدهم

التوبة والحق على أنهما وجهان لعملة واحدة. فنحن نسلك طريقًا بعيدًا عن الخطية، وفي نفس الوقت نتجه بخطوات ثابتة نحو المسيح. وأعظم مثال لنا عن التوبة هو بطرس الرسول. فلقد توقع في نفسه أنه قوي. وأصر أمام نفسه والجميع على أنه لن ينكر المسيح، ولكن عكس ما توقعه في نفسه بالضبط هو ما فعله. فبعد القبض على يسوع أنكر ثلاث مرات أنه يعرف المسيح. وبعد المرة الثالثة ملأ الألم قلبه. ثم أصبح بعد ذلك كاررًا عظيمًا بالإنجيل. وكتب رسالتين في العهد الجديد. الدليل القوي على توبته الحقيقية وتغيير قلبه من الداخل أنه استشهد من أجل إيمانه بالمسيح. ويقال إنه استشهد مصلوبًا رأسه للأسفل وقدمه للأعلى لأنه حسب نفسه غير مستحق أن يموت بنفس الطريقة التي مات بها المسيح.

في مدينتنا تُعد رياضة كرة السلة رياضة شعبية ومتداولة. منذ سنين عديدة مضت كان هناك لاعب من جامعة ميتشجان ضيَّع رميتين في نهاية اللعبة. يمكنك أن تتخيل مدى إحساسه بالذنب لأنه جعل فريقه يخسر، وعلى العكس لم يقرر أن يقلع عن لعب كرة السلة ولكنه استمر في تعلم الرمي الحر. وفي كأس البطولة القومية كانت له فرصتين للرمي الحر مما جعل فريقه يفوز بالكأس.

التوبة الحقيقية هي أكثر من مجرد اعتذار، فهي أكبر من قول «أنا أسف». قطعًا من المفترض أن تتضمن التوبة الاعتذار، ولكن التوبة أكثر من مجرد مشاعر نشعر بها؛ هي أكبر من اختلاق الأعذار لما فعلناه أو ما قلناه. إذا ذهبت لزيارة السجن ستجد العديد من الرجال والنساء الذين يتجرعون

الألم مما فعلوه، فهم يعانون لأنه تم القبض عليهم، ويعانون لأنهم تسببوا في جرح عائلاتهم. ولكن هل هذا يعني أنهم تابوا؟ ليس بالضرورة. عند إطلاق سراحهم، كثير من المساجين يكررون نفس جرائمهم، إنهم حزانى ومتألمين ليسوا تائبين. هل تاب يهوذا؟ لقد خان المسيح، وفي قمة شعوره بالألم جراء فعل ذلك ذهب ليشنق نفسه، إذ علم أنه قد خان دمًا بريئًا.

عندما يتوب الإنسان حقًا، يغيّر طريقة تفكيره، فينتقل من الطريق الواسع (الذي يبعده عن الله) إلى الطريق الضيق (الذي يؤدي إلى الله)، فيبتعد عن فط الحياة التي بدون الله ليعيش الحياة التي منحها له المسيح، ولتعرف احتياجاتنا الروحية علينا أن نذهب بأنفسنا وأرواحنا للمسيح. فالروح القدس الذي بداخلنا يطهرنا من خطايانا، وكأن الروح القدس يطلق كشاف نور على خطايانا ويوجه أعيننا نحو المسيح. ذات مرة كنت أقود سيارتي إلى المعسكر وبدأ أمامي الطريق طويلاً ثم بعد ذلك بدأت أنتبه لبعض الأشياء المألوفة التي مررت بها، واكتشفت أنني تجاوزت أحد المنعطفات وواصلت قيادة سيارتي في نفس الطريق، ثم انتبهت أنني أحتاج للذهاب إلى الطريق الصحيح لأصل لوجهتي التي أريدها، كذلك أيضًا التوبة هي الإقلاع عن الطريق الخاطئ والتوجه نحو الطريق الصحيح.

٢- الفرق الذي تحدثه التوبة الحقيقية

لاحظ عدد المرات التي استخدم فيها بولس الرسول كلمة «الحزن» في الآيات بالأعلى. فقد كان يؤكد على الفرق بين حزن العالم و«الحزن الذي بحسب مشيئة الله»؛ فالألم الذي يسببه العالم يكون به حزن بدون تغيير

داخلي حقيقي، فيتألم الإنسان دون تغيير في السلوك والتصرفات. منذ سنين عديدة كان هناك رجل يعيش في شوارع مدينة نيويورك، وكان من حين لآخر يذهب لينام على درجات سلم كنيسة بروكلين Brooklyn. ربما كان يفكر في حياة أفضل أو طالما تمنى ذلك، لكنه كان يلتقط العلب والزجاجات لبييعها حتى يتمكن بذلك من شراء المزيد من النبيذ ليعود إلى حالة السكر من جديد. وهذا ما نطلق عليه «المخمور» (المكثّر من شرب الخمر من النوع الرخيص)، وكان هذا الرجل ذا رائحة كريهة ومنظره قذر جدًا. وفي أحد احتفالات عيد القيامة سمع هذا الرجل موسيقى بداخل الكنيسة، فقرر أن يدخل الكنيسة، وتم الترحيب به. لم يطلب أحد منه أن يخرج خارجًا، ومن ضمن تعليقات راعي الكنيسة أن الرائحة كانت سيئة للغاية لدرجة اضطرت له أن يدير رأسه ليتنفس. ما حدث أن هذا الرجل عندما تلقى الدعوة استجاب لها. واليوم هذا الرجل يظهر في أبهى صورة له وليس ذلك فقط لكنه أيضًا من الأعضاء النشطين جدًا في الكنيسة. ماذا حدث؟ ببساطة لقد تاب هذا الرجل وحول مسار حياته إلى طريق المسيح.

حزن العالم لا يجلب الراحة، لكن عندما نتوب حقًا يكون بداخلنا سلام، وكأننا تخلينا عن حمل ثقيل. أتذكر جيدًا هذا الوقت الذي ركعت فيه بجوار سريري وطلبت من الله أن يخلصني، كان ذلك وكأنني كنت أحمل حملًا ثقيلًا وقررت التخلي عنه في لحظة سجودي لله. الكل قد صار جديدًا، وعلمت وقتها أن المسيح فعل ما هو ضروري حقًا ليخلصني. ولم يكن يتعين عليّ فعل أي شيء غير أن أفتح قلبي وأستقبل حضوره بداخلي. لقد أتى بالفرح والسلام لحياتي وأردت أن أحكي للآخرين عن المسيح.

تكلم يسوع عن الابن الضال الذي بدد ثروته في حياة الخطية وانتهى به الأمر وهو راعٍ للخنازير. لم يكن له شيء ليأكله حتى أنه كان يشتهي الخرنوب الذي تأكله الخنازير. وفي النهاية يقول يسوع عن الابن الضال أنه رجع إلى نفسه وقرر أن يعود لبيت أبيه، وهذه هي التوبة. أن تعود لصوابك وتذهب لبيت أبيك الذي يحبك.

الفرق بين التوبة الحقيقية والتوبة الظاهرية يتجلى بوضوح في شكل انقياد الإنسان. فحزن العالم الممثل في التوبة الظاهرية يؤدي إلى الموت، أما التوبة الحقيقية فتقود إلى الحياة الأبدية. ويقود حزن العالم إلى التدمير، أما الحزن الذي يؤدي إلى توبة فهو يبني الإنسان. كانت إحدى العقوبات قديمًا في العصور الرومانية أن يربطوا شخصًا حيًا بجثة، وعندما يحدث هذا يموت الشخص الحي ببطء. تحدث نفس النتيجة روحياً لنا إذا ربطنا أنفسنا بكل ما يمت بصلة للموت الروحي. الغريب أن كثير من البشر يخافون الموت الجسدي، ويجازفون بفعل أي شيء ليحموا أنفسهم منه، ولا يعلمون أن الموت الروحي أسوأ من الموت الجسدي. في هذه الأيام يفضل الكثير من البشر إنكار خطيتهم ويبقون عليها في قلوبهم، غير مكترثين بقول يسوع: «أَدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ، لِأَنَّهُ وَاسِعُ الْبَابِ وَرَحْبُ الطَّرِيقِ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْهَلَاكِ، وَكَثِيرُونَ هُمْ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ مِنْهُ! مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ، وَقَلِيلُونَ هُمْ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ!»

٣- الإخلاص في التوبة الحقيقية

غالبًا ما نفكر في التوبة على نحو سلبي، لكنها في الحقيقة أمر إيجابي جدًا.

فالله لا ينزعج إذا كنت متمردًا بطبيعتك، وهو يحب أيضًا الأطفال المتذمرين على والديهم. الأمر لا يقتصر على الابتعاد عن شيء ما ولكن أيضًا الاقتراب إلى شخص معين. فعندما نتوب يفتح أمامنا باب السجن الذي بداخلنا، وعندما نتوب نرى الطبيب الأعظم وهو يشفي ضعفاتنا. أيضًا عندما نتوب عن جهلنا نرى المعلم العظيم وهو يدعونا أن نتبعه، عندما نتوب سنرى ما منحنا الله إياه بداخلنا وما نستطيع أن نستقبله بداخلنا. عندما نتوب نرى الماء الحي وهو يطهرنا، ونرى دم المسيح وهو يغسلنا من خطايانا، ونرى ثوب البر الذي يكسوننا. في الحقيقة نحن نُشقى بالقوة المحيية من خلال المسيح.

في التوبة نحن نذهب إلى الشخص الوحيد القادر أن يعطينا ما نحتاج إليه بشدة. نحن نذهب إلى المخلص الذي يقدر أن يخلصنا من خطايانا، نذهب لمن لديه القدرة ليخلصنا، القدرة التي بها يحفظنا، القدرة التي يتم عمله بها. الذهاب للشخص الصحيح هو الفيصل في التوبة. لنفترض أنني أسيء لشخص ما بما أقوله، فيكون كل ما أفعله حيال ذلك أن أذهب لصديق آخر وأحكي له وأعتذر بشأن ما قلته. هل هذا يكفي؟ بالطبع لا، يتعين عليّ الذهاب إلى الشخص نفسه وتقديم الاعتذار له. فكّر معي، إلى من تكون إساءتنا موجهة عندما نخطئ في أمر ما؟ بالطبع نحن نسيء إلى الشخص الذي أخطأنا في حقه. لكن الكتاب المقدس يعلن بوضوح أن كل الخطايا هي موجهة نحو الله؛ حقًا يكون أمرًا سيئًا عندما نخطئ نحو أحد أصدقائنا أو أحد أفراد عائلاتنا، لكن ما هو أكثر سوءًا أن نخطئ نحو الله نفسه.

أدرك داود تبعيات خطيته عندما وقع في خطية الزنى مع بشبع وتسبب في قتل زوجها، وللحظة تخيل أن جريمته قد سترت. لقد رفض أن يواجه خطيته،

لكنه أقر أخيراً بما فعل عندما واجهه ناثن النبي. ما فعله داود تجاه بشبع وزوجها هو خطأ فادح حقاً. ولكن ما كسر قلب داود فعلاً إدراكه حجم خطيته التي كانت أكبر مما يظن. لقد تمرد على الله شخصياً، لذلك نرى في مزمور ٣٢ ومزمور ٥١ هذه التوبة العميقة حين قال داود في (مزمور ٥١:٤) «إِلَيْكَ وَحَدَاكَ أَخْطَأْتُ، وَالشَّرُّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ»

هل تاب داود؟ بالتأكيد تاب، فلقد صلى في (مزمور ٥:٣٢) قائلاً: «أَعْتَرِفُ لَكَ بِخَطِيئَتِي وَلَا أَكْتُمُ إِيمِي. قُلْتُ: «أَعْتَرِفُ لِلرَّبِّ بِذَنْبِي» وَأَنْتَ رَفَعْتَ أَثَامَ خَطِيئَتِي». يعد داود رجلاً من أعظم رجال الله؛ لقد تغيرت حياته بشكل جذري. نعم بالطبع لقد غرق لعمق الخطية لكن في طريق توبته وعودته لله عاد بغنى وروعة في علاقته بالله. لقد كان رجلاً «حسب قلب الله» فحدث تغيير حقيقي في حياته لأن توبته كانت حقيقية. علينا أن نعلم أن التغيير يختلف من شخص إلى آخر. فعندما تكون هناك خطية عظيمة، يكون التغيير على نحو درامي أكبر وملحوظاً أكثر وتكون النتائج النهائية مليئة بالتكريس الحقيقي لله، ومعرفة جديدة لله لبعد أعمق. في التوبة يتغير تكريسنا نحو الأشياء التي في العالم ليوجه بصدق نحو الله، فنتحول من الظلمة للنور.

إذا احتجت الذهاب إلى الطبيب فطبيعي أني لن أذهب إلي المحامي. وإن احتجت أن أكل شيئاً فبالطبع لن أذهب إلى مكتبة بيع الكتب. وإن أردت أن أذاكر فقطعاً لن أذهب إلى مباراة مصارعة. كذلك التوبة الحقيقية توجه الإنسان إلى وجهته الصحيحة، نحن لا يتعين علينا أن نغير حياتنا في المستقبل، فالله قد سبق وفعل هذا التغيير. ستكون هناك أشياء لا يمكننا التراجع عنها،

كل ما يجب علينا فعله هو أن نذهب ليسوع فهو الوحيد القادر أن يغير حياتنا. قد نكون منغمسين في الخطية لدرجة أن رائجتنا لا تطاق، لكننا بالرغم من ذلك نستطيع الذهاب ليسوع. ومن الممكن أن نكون في حالة إعياء بسبب الخطية، لكن اطمئن فكل هذا على وشك الانتهاء ولا زالت لدينا القدرة لنأتي ليسوع. ومن الممكن أن نكون متدينين ونعمل أعمال صالحة والتي من الممكن أن تسلسلنا بسلاسل من الكبرياء ولكننا لا نزال في حاجة لنأتي ليسوع. قال يسوع: «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الْأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ». ارجع الآن من الطريق التي تسلكها وتعال للمسيح.

الفصل الرابع يسوع صديقنا المفضل

«لَيْسَ لِأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا: أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ. أَنْتُمْ أَحِبَّائِي إِنْ فَعَلْتُمْ مَا أَوْصَيْكُمْ بِهِ. لَا أَعُودُ أُسَمِّيكُمْ عِبِيدًا، لِأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ سَيِّدُهُ، لَكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ لِأَنِّي أَعْلَمْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي. لَيْسَ أَنْتُمْ أَخْتَرُمُونِي بَلْ أَنَا أَخْتَرْتُكُمْ، وَأَقَمْتُكُمْ لِتَذْهَبُوا وَتَأْتُوا بِثَمَرٍ، وَبِدَوَمِ ثَمَرُكُمْ، لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ الْآبُ كُلَّ مَا طَلَبْتُمْ بِأَسْمِي.» (يوحنا ١٥: ١٣-١٦)

هناك الكثير من القصص عن الصداقات العظيمة، فداود ويوناثان كانا أقرب من إخوة. يقول الكتاب المقدس عن داود «أنه أحبه كنفسه». أيضًا دُعي إبراهيم خليل أي صديق الله. وأيضًا قال الكتاب المقدس عن موسى أن الله عرفه وجهًا لوجه. وفي العهد الجديد يتحدث بولس عن صديق يُدعى أنيسيفورس قائلاً: «لِيُعْطِ الرَّبُّ رَحْمَةً لِبَيْتِ أَنْيسِيفُورُسَ، لِأَنَّهُ مَرَارًا كَثِيرَةً أَرَاخَنِي وَلَمْ يَخْجَلْ بِسُلْسَلَتِي، بَلْ لَمَّا كَانَ فِي رُومِيَّةَ، طَلَبَنِي بِأَوْفَرِ اجْتِهَادٍ فَوَجَدَنِي. لِيُعْطِهِ الرَّبُّ أَنْ يَجِدَ رَحْمَةً مِنَ الرَّبِّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَكُلَّ مَا كَانَ يَخْدُمُ فِي أَقْسَسَ أَنْتَ تَعْرِفُهُ جَيِّدًا.» (٢ تيموثاوس ١: ١٦-١٨)

برغم عظمة رجل مثل بولس، لكنه كان يحتاج لصديق. وكان صديقه يحميه، فقد كان موجودًا عندما كان بولس في احتياجٍ له. كيف سيكون

شكل الحياة بلا أصدقاء؟ من الصعب تخيل ذلك. إلا أن الكثير من الناس لا يعلمون من هو الصديق الأفضل من الجميع. يسوع هو أفضل صديق لك. لقد كان الناس يسخرون من يسوع بقولهم أنه صديق جبابة الضرائب والخطاة، ولكنهم محقون في ذلك. بأي طريقة يمكن أن يكون يسوع صديقنا المفضل؟ لقد عرف كاتب الترنيمة يسوع كصديق عندما كتب:

يا ترى أي صديق	مثل فاديننا الحبيب
يحمل الآثام عنا	وكذا الهم المذنب

١- يحبك كما لا يستطيع أن يحبك أي صديق آخر

هناك العديد من أنواع الأصدقاء. فهناك بعض الأصدقاء الذين يريدون استغلالك، فهم يريدون صداقتك لأجل أشياء يمكنك القيام بها من أجلهم. وهم يشبهون أصدقاء الابن الضال، فعندما كان يملك النقود، اجتمع حوله الأصدقاء، ولكن لما نفدت أمواله، انقُض أصدقاؤه من حوله. عند مروره باحتياجٍ شديد، لم يجد صديقًا واحدًا بجواره. قد كان هؤلاء الأصدقاء هم أصدقاء الأوقات الجيدة فقط، فعندما تسير الأمور على ما يرام، يكونون متواجدين. ولكن عندما تدهور به الحال، اختفوا على الفور. فهم أصدقاء غير دائمين، أنت تعرف مثل هؤلاء الأصدقاء، ولكنك تُبقي العلاقات سطحية معهم، لأنهم ليسوا أصدقاءً يمكنك أن تلجأ إليهم عند حاجتك الشديدة. فهم ليسوا من نوع الأصدقاء الذي يمكنك أن تشاركه بما في قلبك.

ولكن يسوع يختلف عن كل هؤلاء الأصدقاء الذين تم ذكرهم. نحن غالبًا ما نختار أصدقاء يشبهوننا، ويحبون ما نحبه. ولكن يسوع كان يُدعى

«صديق الخطاة». هو لا يحتاج أن نفعل شيئاً لأجله، كما أنه لا يحتاج إلى أصدقاء لأجل نقص فيه، فنحن المحتاجون والمعوزون. هناك اختلاف كبير بين يسوع وبيننا، فيسوع قدوس وكامل وبلا خطية، ولكنه محباً للخطاة. أما محبتنا نحن للآخرين كثيراً ما تُبنى على الاستحقاق أو الالتزام، وكثيراً ما ننتظر من الآخرين أن يتوددوا لنا. لكن يسوع دائماً ما يبادر هو في صداقته.

في الحقيقة، يعلمنا الكتاب المقدس أن يسوع لم يمدّ يده لنا عندما كنا أصدقاء بل أعداء. من ممّا يمكنه أن يكون صديقاً لشخص يحاول قتله؟ ولكن هذا ما فعله يسوع «وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيَّنَّ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لِأَنَّهُ وَحْنُ بَعْدُ خُطَاةَ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا» (رومية ٨: ٥). وبحسب الآية ١٠ من نفس الإصحاح في رسالة رومية، فإن الله قد صالحنا عندما كنا في عداوةٍ معه. ما هو سلوكنا عادةً نحو أعدائنا؟ إما نتجنبهم أو نحاربهم. لم يفعل يسوع أيّاً من ذلك، بل سيق كغنى للذبح، بينما كان في مقدوره أن يستدعي جميع جيوش السماء لكي تهزم أعدائه. استمع له وهو يصلي على الصليب قائلاً: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ».

بذل يسوع حياته من أجل أعدائه. مَنْ مِنَ الناس يمكنه أن يفعل ذلك؟ في بعض الأحيان قد يقول أب أنه على استعداد أن يبذل حياته لأجل ابنه الذي يحتضر من السرطان، إلا أنه سيفعل ذلك من أجل شخص يحبه. ولكن من يمكنه القول أنه سيقدم حياته من أجل إرهابي عنيف لكي يقتلك ويقتل أكبر عدداً ممكناً من الأشخاص؟ يسوع مختلف عن جميع الأصدقاء، فقد اختار الكثير من أصدقائه ممن نطلق عليهم حثالة المجتمع. وحتى على الصليب،

خصص يسوع وقتاً للص يموت بسبب الجرائم التي ارتكبتها ولا تجني عليه في ذلك لكنه شيء عادل. لم يكن في مقدور اللص أن يفعل أي شيء في المقابل ليسوع، ولكن يسوع وعده «إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِيَ فِي الْفِرْدَوْسِ». ظل يسوع يعطي دائماً، وقد انطبق ذلك عليه أثناء حياته وفي موته، فقد بذل ذاته لأصدقائه وعن أصدقائه.

كان أحد أصدقاء يسوع يُدعى لعازر، وعندما رأى يسوع حزن أخواته وأصدقائه لأجله، قال الكتاب المقدس أنه بكى. عندما رأى الناس ذلك قالوا: «أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ يُحِبُّهُ». يمكن لكل من يتقابل مع يسوع أن يقول أيضاً: «انظروا كم يحبنا». فحبه عظيم جداً ويختلف عن جميع أنواع الحب في هذا العالم. حبه يشبه المحيط الشاسع والذي إذا ما قارنت جميع أنواع الحب الأخرى به تصبح أنواع الحب هذه مجتمعة كقطرة ماء واحدة فقط. حبه لك هو كجبل شاهق من جبال الهيمالايا مرتفعاً حتى السماء، والتي لا تتعدى جميع أشكال الحب الأخرى بجواره تل نمل صغير. إن حب يسوع لنا لا مثيل له، فهو يحبك كما لا يستطيع أن يحبك أي صديق آخر.

٢- يشاركك كما لا يستطيع أن يشاركك أي صديق آخر

المشاركة هي أحد أساسيات الصداقة، فالأصدقاء يأكلون معاً، ويلعبون معاً، ويعملون معاً، ويتحدثون معاً، وأحياناً يكون معاً. فالصديق أقرب من الأخ أو الأخت. ولكن الصداقة ليست علاقة من طرف واحد وهي لا تسير في اتجاه واحد، بل هي علاقة بين طرفين. بماذا تشبه صداقة يسوع؟ تتضح لنا الصورة جيداً عندما نشاهده مع التلاميذ. كان يحب قضاء الوقت معهم

وكان يحب الحديث معهم. فقد كانت في صداقة يسوع رفقة ومشاركة حقيقية. وهذا هو الوعد لكل من يفتحون قلوبهم له «هَآنَذَا وَاقِفْ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعْ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلْ إِلَيْهِ وَاتَّعَشَّيْ مَعَهُ وَهُوَ مَعِيَ.» (رؤيا ٣: ٢٠).

كيف يمكن أن توجد صداقة بلا صديق؟ لقد كان يسوع يشارك أصدقاءه، كان يشارك معهم أشياء لم يكن يشاركها مع غير المؤمنين. فقد كان يشارك أصدقائه بتعاليم عندما كانوا مستعدين لاستقبالها، ولم يخبرهم بأمور أخرى لأنهم لم يكونوا مستعدين أن يستقبلوها بعد. كان يسوع صديقًا حكيمًا، فلم يوبخهم بسبب حماقتهم ولم يتخل عنهم بسبب خيانتهم لصداقته. بل مكث معهم، حتى برغم معرفته بما في قلب يهوذا، ظل مُحِبًّا لمن علم أنه سوف يخونه.

هناك أمور تشاركها فقط مع أصدفائك، وهذا هو سبب أن الكتاب المقدس غامضًا لكثيرين، فهم يأتون كأعداء وليس كأصدقاء. فأصدقاء يسوع يستمعون ويتعلمون من الكتاب المقدس أمورًا جديدة ويدخلون إلى العمق، فتنمو صداقتهم معه. إن تلك الصداقة ليست شيئًا ساكنًا، بل هي مغامرة. إن الصداقة مع يسوع تنمو أكثر فأكثر كلما عرفناه.

ما هي بعض الأشياء التي شاركها يسوع معنا؟ لقد شاركنا بما في قلبه وبأعمق رغباته وإرادة أبيه. كما شارك التلاميذ بأسرار عن البركات المستقبلية، وقال لهم أنه لن يتركهم يتامى أبدًا. فهو لا يترك أصدقائه ولا يهملهم أبدًا بل يقف بجانبهم دائمًا ويساندتهم. إن مشاركة يسوع لك ليست قاصرة على الزمن، بل تمتد إلى الأبدية. فحتى الموت لن يكسر صداقته معك. إن الصديق

الحقيقي سوف يُدخلك إلى منزله، وقد قال يسوع أنه سيأخذنا إلى منزله الأعلى. يقول المزمور الثالث والعشرون أننا سنسكن في بيته إلى الأبد، كما قال يسوع أنه توجد منازل أو قصور كثيرة في بيت أبيه. وهو سيأخذنا ليس فقط في زيارة أو لقضاء يوم، ولكن لنكون معه إلى الأبد.

ولأن يسوع صديقنا، دائماً ما يعطينا ويسدد احتياجاتنا ويقودنا، فهو معنا في الأوقات الجيدة وفي أصعب الأوقات. فهو معنا عندما نكون على ما يرام، ومعنا عندما نسقط على وجوهنا. أذكر قصة عن بعض الأصدقاء يقضون معاً فترة الخدمة العسكرية. كان هناك جندياً مصاباً بشدة، وقد جعلت نيران العدو أي محاولة لإنقاذه أمراً مهدداً للحياة. ولذلك أمر الضابط المسئول صديقه ألا يذهب إليه، لأن محاولته ستكون بلا جدوى. ولكن صديق الجندي المصاب ذهب إليه برغم ذلك. وعندما وصل الصديق إلى جانب الجندي المصاب، قال له: «كنت أعلم أنك ستأتي». يمكنك أن تكون واثقاً أن يسوع سيأتي إليك. فهو موجود ليس فقط عندما تكون في أفضل حالاتك، ولكن أيضاً عندما تصاب بحالة يأس شديدة. هذا هو ما يفعله صديقنا المفضل، فهو يشاركنا ذاته وكل ما لديه. ولذلك نحن نُدعى «وَرَثَةُ اللَّهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ».

٣- يثق بك كما لا يستطيع أن يثق بك أي صديق آخر

هل تثق بأشخاص تعلم أنهم سيتخلون عنك في وقت احتياجك؟ هل تثق بأشخاص تعلم أنهم سيتركونك وحدك عندما تسوء بك الأمور؟ هل تثق بأشخاص سيخذلونك بعدد مرات لا تُحصى؟ هناك العديد من الأشخاص

الذين لا يمكنك أن تثق بهم. إن وضع ثقتك ببعض الأشخاص غير الأمناء يقود إلى كارثة. يسوع يعلم كل شيء عن ضعفاتنا، ويعلم كيف أننا ننسى بسهولة، ونفشل بسهولة، وهو يعلم كم أننا نتجاهله في مراتٍ كثيرة. وبرغم ذلك فصداقته نحونا لا تتغير. قد تكون سمعت من قبل مصطلح (أصدقاء مدى الحياة)، ولكن مع يسوع نحن أصدقاء (بطول الأبدية).

في صداقتنا مع يسوع، نحن غالبًا ما ننظر إلى المكان الذي نحن فيه ولكن يسوع ينظر إلى أين نحن ذاهبون. لقد وجدت هذه المقولة مكتوبةً على إحدى اللافتات (إن المكان الذي ستذهب إليه هو أكثر أهمية من المكان الذي جئت منه). سَنَعْبُرُ الكثير من الوديان في رحلتنا هنا على الأرض. فنحن سائحون ههنا؛ تقول الترنيمة: «لا بيت لي هنا». لقد بحث إبراهيم عن المدينة المبنية بواسطة الله، فعاش في خيام. ونحن الآن نعيش بالإيمان وليس بالعيان، لذا نحن نعلم أن صداقتنا مع يسوع حقيقية وتبدأ هنا على الأرض، ولكنها ستصبح أفضل كثيرًا يومًا ما. سنكون أصدقاء أفضل عندما يُكْمَلُ الله عمل نعمته فينا. نحن نريد أن نرى وجهه، ونريد أن نكون معه، وهو سيُدخلنا إلى بيته. فيا له من صديقٍ أمين! عندما يتحدث الناس بالسوء عنا، وقد يتحاشانا ويتجاهلنا البعض، أو يتركونا وحدنا تمامًا. ولكن يسوع لن يفعل ذلك معك، فهو سيظل موجودًا. لا يوجد فشل يمكن أن يجعله يتركنا أو يدير ظهره لنا «لَا أَهْمْلُكَ وَلَا أَتْرُكُكَ» (عبرانيين ١٣: ٥).

إن الثقة هي أساس إقامة أي صداقة، وقد نفكر في ثقتنا بيسوع، ولكن ماذا عن ثقة يسوع بنا؟ أعتقد أنه يمكنك أن ترى تلك الثقة من خلال العمل الذي وكَّله يسوع لتلاميذه كي يعملوه. فقد أخبرهم أن يذهبوا إلى كل العالم

ويتلمذوا. لم يكن هؤلاء على درجة عالية من التعليم وكان الكثير منهم من صيادي السمك، كانوا مجرد أشخاص عاديين. هل يمكنك أن تعطي هذا النوع من الوعود لأشخاص لا تثق بهم؟ لكن يسوع فوّض لهم عمله هذا. من هو الصديق الذي قد يعطيك بيانات حسابه البنكي؟ هذا هو ما فعله يسوع. فهو يعطينا كل شيء نحتاج إليه بل وأكثر، بل ويخبرنا أننا يمكننا أن نذهب إلى بنك السماء في أي وقت وأن نستخدم رصيدنا فيه مجانًا.

يستطيع الأصدقاء الدخول إلى أماكن لا يستطيع الآخرون الوصول إليها. وكصديق للملك أو رئيس الجمهورية، فأنت تستطيع أن تراه حينما وحيثما لا يراه آخرون. يسوع متاح في كل وقت، فلا يتوجب علينا أن نحدد موعدًا قبل مقابلته. كما يمكننا أن نطلب أي شيء باسمه. ما هو أعظم شيء يمكن أن يفعله لك أصدقاؤك المفضلون؟ قد يقوموا بعمل أشياء رائعة لأجلك، ولكن لا شيء يُقَارَن بصدقة يسوع لك. فهو سيكون معنا دائمًا عندما نحتاجه.

بدون أصدقاء نبدو وحيدين في هذه الحياة. فأجهزة الكمبيوتر مسلية ولكنها لا يمكن أن تحل محل الصديق. لا تستطيع الآلات أن تملأ الفراغ الموجود في قلبك حيث تشعر بالوحدة. ولكن هناك صديق واحد يمكنه ملء هذا الفراغ لقلبك الوحيد، وهذا الصديق هو يسوع. فهو أفضل صديق في هذا الزمان وفي الأبدية. هو الصديق الأفضل للخطاة، وهو يحبك كما لم يحبك أي صديق من قبل، ويشاركك كما لم يشاركك أي صديق من قبل، ويثق بك كما لم يثق بك أي صديق من قبل. يجعل يسوع صداقته الرائعة ممكنة لنا، وهو يدعوك لتكون صديقه. قد تكون عدوًا محاربًا لله، ولكنك في المسيح يمكنك أن تصبح صديقًا له.

الفصل الخامس

مفاجآت يسوع

«فَلَمَّا أَكْمَلَ يَسُوعُ هَذِهِ الْأَقْوَالَ بُهِتَتِ الْجُمُوعُ مِنْ تَعْلِيمِهِ، لِأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ.» (متى ٧: ٢٨-٢٩)

هل سبق لك أن قابلت شخصًا غالبًا ما كان يفاجئك؟ لم تعرف أبدًا ما سيقوله أو سيفعله. وعندما تعتقد أنك عرفتَه، يقول أو يفعل شيئًا غير متوقعًا. لابد أن التلاميذ شعروا بنفس الشيء عندما استمعوا إلى تعاليم يسوع ورأوا الأشياء التي عملها. لابد وأنهم تعلموا توقع ما هو غير متوقع. لم يكن التلاميذ وحدهم، بل أن كل من التقى بيسوع كان في حالة ترقب المفاجآت.

هل تحب المفاجآت؟ إن الأطفال يحبونها حتى أنهم يطلبون المفاجآت. وحتى الكبار يستمتعون ببعض المفاجآت. ونحن نحب أن نتفاجأ بالأخبار السارة. يسوع يفاجئ الناس اليوم! لطالما كان يفعل ذلك. فعندما جاء، كانت الناس تتوقع أنه سيأتي كملك وظنوا أنه سيكون مثل داود ويقيم مملكة عظيمة. فاجأهم يسوع بمجيئه إلى مذود، وليس قصرًا، وبارتداء إكليل من الشوك وليس من الذهب وبركوب حمار متواضع وليس عربة فارهة.

ما هي ردة فعل الناس على المفاجآت؟ أحيانًا لا يجدون الكلمات، ففي بعض الأحيان كانت الجموع تتفاجأ بما قاله أو فعله يسوع لدرجة أنهم لم

يتمكنوا من قول أي شيء. وكانت هناك أوقات أخرى أظهر فيها الناس ملامح من الذهول. ذات مرة بُهت الجمع وقالوا: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَذَا قَطُّ» وحتى أن الناس طلبوا منه في إحدى المرات مغادرة منطقتهم عندما رأوا إحدى مفاجآته.

١- يسوع يفاجئ بتعاليمه

هذه المفاجأة تم التعبير عنها بشكل جيد في هذه الكلمات. «لَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ إِنْسَانٌ هَكَذَا مِثْلَ هَذَا الْإِنْسَانِ!» قال يسوع أشياء كثيرة مُفاجئة في موعظته الشهيرة على الجبل. وكانت بها أشياء لم تخطر ببال أحد ولم يقولها أحد من قبل. ففي التطويبات قال أشياء تتعارض مع الفكر العام. على سبيل المثال، قال: «طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لِأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ» (متى ٣: ٥). ولكن معظم الناس كانوا يظنون العكس تمامًا. كما قال: «طُوبَى لِلْجِيعِ وَأَلْعَاشِ إِلَى الْبَرِّ، لِأَنَّهُمْ يُشْبِعُونَ» (متى ٦: ٥). لقد علّم أنه ليس فقط ما نفعله خطيئة بل أيضًا ما نفكر فيه. وقال أنه ينبغي أن نحب أعداءنا. كل هذه الأشياء كانت مُفاجئة بالنسبة للعامة.

علّم يسوع بسلطان. لم يكن هناك أي شكوك حول تعاليمه. لم يستخدم سلطان بل تكلم بسلطان. قال مرارًا وتكرارًا: «الحق الحق أقول لكم» والتي تعني: «بالحقيقة بالحقيقة أقول لكم». كان يسوع هو السلطان نفسه. قال: «أقول لكم» وبهذا اختلف يسوع عن جميع المعلمين الآخرين. فقد ظهر ذلك السلطان من خلال وعوده ومن خلال كل ما طلب من أتباعه أن يفعلوه. ربما لا يوجد تعبيرًا لذلك أفضل من الكلمات الأخيرة في متى: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ»

عَلَّمَ يسوع بِحِكْمَةٍ ونرى ذلك في الطريقة التي كان يجيب بها المعارضين له. لقد حاولوا الإيقاع به بشتى الطرق. ذات مرة سألوه عما إذا كان ينبغي عليهم دفع الضرائب لقيصر أم لا، فطلب منهم يسوع أن يحضروا له عملة رومانية، ثم قال لهم أن يعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله. ماذا كان ردهم على إجابة يسوع؟ اندهشوا وبُهِتوا. يمتلك بعض المعلمون معرفة ولكن تنقصهم الحكمة. ستجد هذا مع بعض الأساتذة في الجامعات، فلديهم رأس المعرفة لكنهم غير قادرين على التدريس بشكل فعال لأنهم يفتقرون إلى الحكمة. كان سليمان يعتبر أكثر الرجال حكمة في عصره لكن الكتاب المقدس يقول عن يسوع: «هوذا أعظم من سليمان ههنا».

أظهر يسوع معرفة مذهلة وهو يعلم. فقد أذهل يسوع معلمي عصره عندما كان يقضي معهم وقتاً في الهيكل حين كان صبياً في الثانية عشر من عمره. لقد أدهشتهم أسئلته وأجوبته. لم يذهب يسوع إلى المدارس ذات الصيت بل كان تلميذاً للطبيعة والإنسان. فقد عرف ما في الإنسان وكيف يفكر. أحياناً يدرس علماء النفس الإنسان لسنوات ولا يعرفون إلا القليل عنه. ولكن اندهش الناس من معرفة يسوع «فَتَعَجَّبَ الْيَهُودُ قَائِلِينَ: «كَيْفَ هَذَا يَعْرِفُ الْكُتُبَ، وَهُوَ لَمْ يَتَعَلَّمْ؟»» (يوحنا ١٥:٧).

٢- يسوع يفاجئ بمعجزاته

تعد دراسة إنجيل مرقس من الدراسات الممتعة، من حيث ملاحظة عدد المرات التي تفاجأ فيها الناس أو تعجبوا. اندهش الناس من المعجزات التي صنعها يسوع، ويذكر الكتاب المقدس العديد من المعجزات المحددة ولكنه

أيضاً يشير إلى أن هناك الكثير من المعجزات الأخرى التي صنعها يسوع، لقد كانت قدرته الشافية أعظم بكثير مما قد ندركه. «وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ كُلَّ الْجَلِيلِ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ، وَيَكْرِزُ بِبَشَارَةِ الْمَلَكُوتِ، وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ فِي الشَّعْبِ. فَذَاعَ خَبْرُهُ فِي جَمِيعِ سُورِيَّةَ. فَأَحْضَرُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ السُّقَمَاءِ وَالْمُصَابِينَ بِأَمْرَاضٍ وَأَوْجَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَالْمَجَانِينَ وَالْمَصْرُوعِينَ وَالْمَفْلُوجِينَ، فَشَفَاهُمْ» (متى ٢٣: ٤-٢٤).

كان هناك الكثير من معجزات الشفاء، فشفى يسوع الصم والمكفوفين والمرضى والمقعدين ومرضى الجذام. ذات مرة أحضر مجموعة من الرجال صديقهم إلى يسوع ولكنهم لم يتمكنوا من دخول المنزل بسبب الزحام، إلا أنهم كانوا مصممين على إيصال صديقهم المفلوج إلى يسوع لدرجة أنهم فتحوا مكاناً في السطح لينزلوه أمام يسوع، لقد كان شفاء يسوع لصديقهم ككهرباء تدفقت في الغرفة فقالوا: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَذَا قَطُّ!» (مرقس ١٢: ٢).

يسوع هو الطبيب العظيم، وعلى الرغم من أنه شفى حشود من الناس إلا أنه لم يبرئ الجميع، ومع ذلك سيأتي الوقت الذي لن يكون هناك فيه المزيد من المرض. سيأتي وقت يكون فيه لكل مؤمن بالمسيح جسد مجيد مثل يسوع. لن يكون هناك ميكروبات تدعو للقلق أو أمراض لتُحَارَب. نعم؛ لم يأت الشفاء العظيم بعد. هناك ترتيب للخلاص؛ الآن يشفى يسوع أرواحنا، وأخيراً سيفتدي أجسادنا!

كذلك هناك معجزات تحدث في الطبيعة، والتي قد يبدو الأمر فيها وكأن الطبيعة خارجة عن السيطرة. فكثيراً ما نسمع عن زلازل مروعة حيث يموت

الآلاف من الناس، أو العواصف التي تسبب خسائر فادحة في الأرواح ودمار الممتلكات، أو الحرائق التي تمحو آلاف الأفدنة من الأرض وكل ما على سطحها. يجب أن نتذكر أن الطبيعة ليست مستقلة تتحكم بنفسها، ولكن المسيح الخالق له سلطان على الطبيعة، فعندما هبت عاصفة على بحر الجليل، تكلم يسوع فهدأت الرياح وألبحر يطيعانه! (مرقس ٤: ٤١). في مرة أخرى أرسل يسوع التلاميذ في طريقهم إلى بيت صيدا بينما ذهب هو ليصلي، وجاءهم لاحقاً واقترب نحو قاربهم وهو ماشياً على المياه، فارتعب التلاميذ وظنوا أنهم يرون شبحاً، وعندما صعد يسوع إلى القارب يقول الكتاب المقدس عن التلاميذ: «فَبَهِتُوا وَتَعَجَّبُوا فِي أَنْفُسِهِمْ جِدًّا إِلَى الْغَايَةِ» (مرقس ٦: ٥١). لقد تعجبوا لأن يسوع فعل أشياء لا يفعلها الناس عادةً، لقد فعل يسوع ما يبدو مستحيلاً على الإنسان.

كانت بعض أعظم معجزات يسوع معجزات إقامة الموتي. عندما ماتت ابنة يابرس وجاء والدها ليحضر يسوع، كان المعزون قد تجمعوا بالفعل، وعندما دخل يسوع سخر الناس منه وظنوا أنه لا يمكنه فعل شيء. لكن يسوع أعاد لها الحياة مرة أخرى. ترى ماذا كان رد فعل المعزون عندما رأوا ما فعله يسوع؟ «وَلِلْوَقْتِ قَامَتِ الصَّبِيَّةُ وَمَشَتْ، لِأَنَّهَا كَانَتْ ابْنَةً أَثْنَتِي عَشْرَةَ سَنَةً». (مرقس ٥: ٤٢). واحدة من أشهر المعجزات كانت إقامة لعازر من الأموات. كان لعازر ميتاً لمدة أربعة أيام عندما أقامه يسوع، وكان لعازر في القبر ملفوفاً بالكفن حين تكلم يسوع ببساطة قائلاً: «لعازر، هلم خارجاً» فعادت إلى لعازر الحياة.

أحد معاني كلمة معجزة هي «أعجوبة» ويسوع مليء بالعجائب، وتلك المعجزات جميعها تشير إلى هويته الحقيقية، لقد كانت تعابير ملموسة لما يستطيع فعله. إذًا ليس من المفاجئ أن نطلق عليه المخلص «العجيب».

٣- يسوع يفاجئ بِصَمْتِهِ

كانت هناك أوقات لم يتحدث فيها يسوع، حتى أنه كان في حالة صمت تام أمام بعض مُتَّهِميه، وحتى عندما كان معلقًا على خشبة الصليب، سخر الناس منه واستهزأوا به لكنه لم يجيبهم. كان حاكم الكون على ذلك الصليب، وكان الرجال والنساء يحكمون على أنفسهم بإتهاماتهم. أحيانًا يستغل الناس صمت يسوع ليقولوا أن الله لا يهتم أو أنه ليس لديه سلطان، ولكن هذا غير حقيقي بالمرة.

لا يجيب يسوع دائمًا على أسئلتنا، لقد كان يسوع صامتًا أمام بيلاطس «فَلَمْ يُجِبْهُ وَلَا عَنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، حَتَّى تَعَجَّبَ أُلُوَالِي جِدًّا» (متى ١٤: ٢٧)، ولم يدافع يسوع عن نفسه. كان هيرودس حاكمًا آخرًا يريد أن يرى يسوع وهو يصنع معجزة عظيمة، لكنه أصيب بخيبة الأمل لأن يسوع رفض أن يقدم عرضًا. في الحقيقة كان يسوع صامتًا ولم يقل شيئًا لهيرودس. «وَسَأَلَهُ بِكَلَامٍ كَثِيرٍ فَلَمْ يُجِبْهُ بِشَيْءٍ» (لوقا ٩: ٢٣). لماذا كان يسوع صامتًا أمام هؤلاء الحكام؟ أعتقد أن أحد الأسباب هو أن يسوع قال لنا ألا نطرح الدرر قدام الخنازير؛ يجيب يسوع أسئلة الطالبين والمتواضعين. هناك أوقات يكون فيها من الأفضل ألا نقول شيئًا، بالطبع سمعت عبارة: «الصمت من ذهب»، نعم أحيانًا ما يكون الصمت أفضل جواب.

هناك أوقات لا يفعل فيها يسوع شيئاً، يكون صامتاً في ردود أفعاله. فعندما مات لعازر، لم يذهب يسوع على الفور، وكان هناك غرضاً لتأخيره. الصمت لا يعني أن يسوع لن يفعل شيئاً أبداً، وهناك أوقات نطن فيها أنه يجب عليه فعل شيء، ونصلي من أجل الشفاء العاجل لكننا نشعر وكأن الأمر يبدو أن صلواتنا تؤدي فقط إلى الصمت. هل هذا يعني أن يسوع غير مهتم؟ هل يعني أنه لا يستطيع تحقيق ما نطلبه؟ مطلقاً بل غالباً ما يعني أنه سيفاجئنا بطريقة أخرى. فمن الممكن أن يكون ما نطلبه أو نرغب فيه ليس الأفضل لنا. قرأت في إحدى المرات عن شخص صلى إلى الله من أجل شفاء شخص يحبه جداً، ولكن كانت هناك مأساة وأدرك المصلي أنه كان من الأفضل أن يموت الشخص المريض، كثيراً لا نعرف ما هو الأفضل. أحياناً قد نستطيع الصلاة لأحد أفراد أسرتنا فقط بقولنا: «لتكن مشيئتك.»

أحياناً يصمت يسوع في معاناتنا ولا يزيلها، لقد صلى بولس ثلاث مرات أن يزيل الله «شوكة جسده»، لكن الله أخبره أن يتوقف عن السؤال حيث أن نعمة الله تكفيه.

هناك الكثير من المؤمنين الذين يعطون شهادات عظيمة عن الله من خلال إعاقاتهم. ولقد كانت جوني إيركسون تادا Joni Eareckson Tada تشهد عن الله بشكل جبار رغم أنها كانت أحد المصابين بالشلل الرباعي، لقد خدمت آلاف الناس وهي على كرسي متحرك، وأراد الكثيرون أن يصلوا من أجل شفائها لكنها شكرت الله على الكرسي المتحرك. من الجيد أن نصلي من أجل الشفاء لكن علينا أن ندرك أن الله قد يقوم بما هو أفضل في حياتنا، فحتى يسوع كان يعاني في أوقات.

لا يجب علينا أبداً أن نقول للناس أن الله سيشفئهم خاصةً إذا كانوا يمتلكون القدر الكافي من الإيمان، فمن الممكن أن تمتلك كل ما في العالم من إيمان ولكن إن لم تكن إرادة الله فلن تُشفى. فعلينا إذاً أن نثق بالله في المرض والصحة.

تفاجأ الأشخاص الذين التقوا بيسوع بأكثر من طريقة، وأنت أيضاً ستتفاجأ. ستتفاجأ بتعاليمه، وأعماله القديرة، وأحياناً بصمته، ستتفاجأ بما يستطيع فعله في حياتك. فهو الحاضر دائماً معنا، فهو يعيش اليوم. يستطيع أن يفعل لك ما فعله للآخرين. قد تظن أنك شخص عادي ولكن هكذا كان الكثير من الأشخاص الذين التقوا بيسوع أيضاً يظنون في أنفسهم. لقد قام يسوع بفعل أشياء غير عادية وفوق منطقية في حياة أشخاص عاديين. وقد تكون المفاجأة العظمى بالنسبة لك هي مفاجأة نعمته التي تكفيك، فهو لا يزال يغير حياة الكثير من البشر حتى اليوم. هو يأخذ الأشخاص الذين توغلوا في المعاصي والذنوب، والمقيدين بالإدمان المتواصل دون خروج من دائرته، والذين يعيشون في الوحل، ويغيرهم. ويرفعهم إلى أماكن الفرح والسلام، ويجلبهم إلى عائلته. حقاً يسوع سيفاجئك!

الفصل السادس

ملء المسيح

«فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ آلَافُوتٍ جَسَدِيًّا. وَأَنْتُمْ مَمْلُوءُونَ فِيهِ،
الَّذِي هُوَ رَأْسُ كُلِّ رِيَّاسَةٍ وَسُلْطَانٍ.» (كولوسي ١٠: ٩-١٠)

في الحقيقة إن مفهوم ملء المسيح يشكل الفكرة الرئيسية للكتاب المقدس وهي الفكرة الرئيسية لهذه الرسالة أيضًا؛ ففي الإصحاح الأول من هذه الرسالة يقول بولس الرسول أن المسيح فوق كل شيء. فهو كائن من قبل الخليفة، وهو خالق الكل وفيه يقوم الكل. وفي الإصحاح الثاني تكلم بولس عن ملء الحكمة والمعرفة في المسيح، وهدفنا من دراسة هذه الرسالة هو فهم المعنى المقصود من التحدث عن ملء المسيح.

هناك طرق مختلفة لدراسة مفهوم ملء المسيح. يمكننا القيام بذلك من خلال الدراسة المتعمقة في أسماء الله، كل اسم يُخبرنا عنه شيئًا؛ فكّر في أسمائه، ستجد أن اسم «يسوع» يشير إليه كـ«مخلص»، و «عمانوئيل» يشير إلى «ألوهيته»، و «الراعي الصالح» يشير إلى «قيادته». كما أن أعمال يسوع تخبرنا عن كماله وملئه، فإذا نظرنا إلى معجزات الشفاء أو المعجزات الخاصة بالطبيعة، سنرى ملء الله وكماله. كما أن كلمات المسيح أيضًا توضح نفس العمق والملء، ففي الكتاب المقدس وتحديدًا في هذا النص الذي نشير إليه في الآية التاسعة واحدة من أوضح العبارات عن ملء الله.

١- ملء الألوهية

المسيح ليس جزء إنسان وجزء إله، فهو لم يكن مختلطاً أو ممتزجاً مثلما تَخْتَلِطُ مكونات الكعكة. هو إله كامل وإنسان كامل، فكل طبيعة منهما مستقلة بذاتها؛ ويمكننا أيضاً القول أن صفات الله كانت فيه بالكامل وليس البعض منها، فهو يمتلك كل الصفات الإلهية. وكل ما يُقال عن صفات الله يمكن أيضاً أن يُقال عن المسيح. هل الله موجود في كل مكان؟ وهكذا أيضاً المسيح! عندما قال المسيح لتلاميذه أنه سيكون معهم دائماً لم يقصد أنه سيكون متواجداً في فكرهم فقط، ولكنه كان يقصد حضور حقيقي، فالسما والأرض لا يمكنهما أن تسعا الله ولا يمكنهما أن تسعا المسيح.

هل الله كَلِّي القدرة؟ وكذلك أيضاً المسيح! قال يسوع أن له كل سلطان في السماء وعلى الأرض ولا حدود لقوته. عندما كان يسوع على الأرض كانت صفاته الإلهية محجوبة ولكنه لم يَتَخَلَّ عنهم. فهو لم يكف عن كونه الله عندما جاء إلى الأرض. لكن إذا لم يأت الله مرتدياً بُرُقع الجسد فوق لاهوته، لكان قد قام بإهلاكنا عوضاً عن إنقاذنا. يمكن القول أن قوة الله كانت مقيدة حين كان على الأرض.

يعلمنا الكتاب المقدس أن الله يعلم كل شيء، وبالتالي أيضاً المسيح. هو يعلم كل الماضي وكل الحاضر وكل المستقبل، ولا حدود لمعرفته لأن فيه يحل كل ملء الله. وماذا إذاً عن محبة الله؟ هي ذاتها في المسيح، فحيثما نرى المسيح نرى الحب، وقد تجلى حبه واضحاً على الصليب.

المسيح ليس إلهاً أحياناً وإنساناً في وقتٍ آخر. فهو لم يكف عن كونه الله عندما جاء إلى الأرض. لقد أساء بعض الناس فهم ما كُتِبَ في الرسالة إلى أهل فيليبي: «الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللَّهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا لِلَّهِ. لَكِنَّهُ أَحَلَّى نَفْسَهُ، أَخَذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ» (فيلبي ٢: ٦-٧). هذا لا يعني أن المسيح قد ترك ألوهيته في السماء، فعدم استخدام المسيح لكل قدرته الإلهية لا يعني أنه ليس لديه هذه القوة؛ فعلى سبيل المثال: عندما سُمِّرَ على عود الصليب كان لديه القدرة والسلطان لتدمير أعدائه لكنه لم يفعل ذلك لهدفٍ آخر. وكان يمكنه أن يُظهر كل مجده لكن هناك حدود لما يمكن أن يتحمّله الإنسان. فقد كان جُلِدَ وجهه موسى يلمع عندما أنهى الأيام التي قضاها على الجبل مع الله، وكانت الناس تخاف أن ترى وجه موسى حتى قام بوضع برقعاً (قناعاً) عليه.

لم يكف يسوع عن كونه الله عندما مات على الصليب. لقد كان الصليب بالتأكيد من أعظم درجات الذل والإهانة. في الحقيقة، أظهر لنا الله الكثير عن نفسه على الصليب، لقد أظهر لنا صبره، وقوته، وحبّه، وقداسته. بالتالي ملء المسيح يخبرنا عن ملء الله «ألوهيته». فهو الله الكامل.

٢- ملء الطبيعة البشرية

الطبيعة البشرية ليسوع لها بداية. لقد كان الله منذ الأزل، ولم يكن أبداً هناك بداية لألوهيته. لكن كانت هناك بداية لإنسانيته. فقد صار إنساناً ولكنه لم يصِرَ الله، فهناك وقت لم يكن فيه إنساناً. لكن ماذا حدث عند عودة يسوع إلى السماء؟ كان مازال إنساناً، لقد أخذ معه إلى السماء شيئاً لم يكن

معه عندما جاء إلى الأرض، فقد أخذ طبيعته البشرية. وسيظل يسوع هو الله والإنسان في شخص واحد. قال الكتاب المقدس أنه في المجيء الثاني سوف نرى يسوع نفسه كما كان على الأرض.

لقد تَوَاجَهْنَا بمعجزة في بداية بشريته، فيسوع وُلِدَ من عذراء بقوة الروح القدس ولم يكن له أب جسدي، ويسمى هذا بالتجسد. وكانت هذه بداية دخول الله في الطبيعة البشرية، وهذا بالتأكيد سرٌ عظيم، فكان هذا دخول الخالق في خليقته، فالذي هو حامل كل الأشياء معًا يصبح جزءًا مما يحمله.

لم يكن الميلاد العذراوي معجزة أعظم قدرًا من حياة المسيح المثالية. فلم يُعلن لنا المسيح شخص الله فقط، لكنه أظهر لنا كيف يجب أن يكون الإنسان. الكثير منّا لديه فكرة خاطئة عن الطبيعة الإنسانية، وهذا ببساطة لأننا نستقي هذه الفكرة من المكان الخطأ؛ فنحن ننظر إلى بعضنا البعض، ولكن المكان الصحيح الذي يجب علينا أن ننظر إليه هو شخص المسيح. فمن خلال المسيح يمكننا أن نرى قصد الله للبشرية، حتى عندما ننظر إلى أفضل الرجال والنساء، فنحن ننظر إلى ما تبقى مما دمّرت الخاطية فينا. بينما كان يسوع إنسانًا كاملاً بلا خطية.

لم تكن القيامة تغييرًا لطبيعته البشرية أو تخليه عنها. يسوع لم يتغير إلى طبيعة أخرى، فقد كان جسدًا بشريًا حقيقيًا ذاك الذي قام ورُفِعَ من القبر. اليوم في السماء لنا رئيس الكهنة الأعظم، يسوع المسيح، الإله والإنسان. فهو ملاذ الإنسان الخاطئ، وهو الشفيع لنا عند الله. هو يفهم ضعفنا لأنه عاش بيننا، ويمكننا أن نتقدم بثقة أمام عرش نعمته لطلب النعمة والرحمة. وهو

اليوم يشفع لنا، فهو يفهمنا تمامًا. فحين نذهب إلى السماء سنقابل يسوع نفسه الذي سار في طريق الجليل المليء بالتراب. لن تتلاشى أبدًا طبيعته البشرية في ألوهيته ولن تنتهي أبدًا. فللأبد هناك طبيعتين في شخص يسوع، طبيعة إلهية وأخرى بشرية.

٣- ملء الكفاف (الكفاية)

يحدثني ملء المسيح عن كفافه. فملء المسيح يشير إلى كينونته ولكنه بالأكثر يشير إلى ما يمكن أن يفعله. فهو لديه كل القدرة على تسديد كل احتياجاتنا فما أكثر احتياجات الرجال والنساء! ولكن هل فكرت من قبل في أنواع الأشخاص المختلفة الذين أتوا إلى يسوع؟ أتاه المتعلم والجاهل، العمال البسطاء وربات المنازل، أصحاب السمعة السيئة وأصحاب الأخلاق الرفيعة، صغار وكبار، والمهمشون في المجتمع. أيًا كانت هذه الاختلافات، فيسوع سد احتياجات الكل.

ربما تعتقد أن احتياجاتك فريدة وأنه لا يوجد شخص يواجه نفس حجم مشكلاتك. مشكلاتك لها عمق أبعد مما تواجهه. مهما كان حجم احتياجك كبير، فيسوع هو الحل لهذا الاحتياج. ولن يخيب أملك فيه أبدًا. في يوم من الأيام أتت امرأة إلى يسوع بعد أن قامت بتجربة كل العلاجات الممكنة وذهبت كل مكان يمكن أن تجد فيه العون، ولكن كل هذا كان بلا جدوى؛ وبغض النظر عن كل ما اقترحه الآخرون، لم تجد شفاء لمرضها إلى أن قابلت يسوع وتغير كل شيء منذ تلك اللحظة.

هناك من يقول أن العلاقة الشخصية مع الله مستحيلة وهذا صحيح فعلاً من دون المسيح. ولكن المسيح يأتي بنا إلى علاقة شخصية مع الله الآب، ولهذا السبب جاء المسيح. جاء ليأتي بنا إلى الآب؛ فالله ليس قوة غير شخصية. هو ليس كالحاسب الآلي المُبرمج. هو أبونا السماوي، فقد تحدث يسوع عن الله وناداه بـ «أباً» التي تعني «أبي» أو «بابا»، ويطلق الأطفال اليهود حتى هذا اليوم كلمة «أباً» على آبائهم. ويشير نَصْنَا إلى الله كشخص، هو شخص يمكننا معرفته.

هناك من يؤمنون بوجود الله، لكنهم يعتقدون أن العلاقة الشخصية معه غير مرغوبة أو غير ممكنة. إنهم مخطئون لأنهم لا يعرفون الله. صحيح أننا لا نعرف كل شيء عن الله، فهو دائماً أعظم مما تستطيع عقولنا المحدودة الضعيفة أن تستوعبه. وقد يكون هناك بعض الصفات لله التي لم يُظهرها لنا، ولكن لا يتعيّن على الطفل الصغير أن يعرف كل شيء عن أبيه وأمه للتمتع بصحبتهم وبتوفيرهم لاحتياجاته. من خلال المسيح نصبح أبناءً لله، لكي نكون على صلة بأروع شخص، وأن نكون مرتبطين به بطريقة تجعلنا نصبح كل ما يجب أن نكون عليه، فتكون بالتأكيد علاقة مرغوبة.

المسيح كافٍ، فقد أعطانا أمان مكانتنا الثابتة غير المتغيرة. تحدث بولس مراراً وتكراراً عن كوننا «في المسيح» فالله يرانا من خلال ابنه، لذلك نحن كاملون في المسيح. الله يقبلنا بسبب يسوع، بسبب ما فعله يسوع من أجلنا، بسبب بر المسيح. يجب ألا ننسى أبداً أساس قبولنا. أضطر في بعض الأحيان إلى الانتظار في المطار لفترة طويلة أثناء السفر، وفي مرات قليلة كان يدعوني

صديق لديه عضوية للدخول إلى مناطق خاصة في المطار لاستقبال الزوار من فئات معينة؛ كان يدعوني للدخول إلى هذه المناطق الخاصة. وكان لديهم بعض الوجبات الخفيفة التي يمكن أكلها أو أشياء يمكن قراءتها، كما أن هذا المكان أكثر راحة. أنا لا أذهب إلى هناك بسبب استحقاقي، لكن بسبب دعوة صديقي. وعلى غرار ذلك، لن يمكننا الذهاب إلى السماء بسبب صلاحنا أو أعمالنا، لكننا سندخل السماء فقط على أساس ما فعله يسوع من أجلنا.

يعاني المسيحيون في بعض الأحيان خللاً في مشاعرهم؛ فيقولون أنهم لا يشعرون بكونهم أبناء الله. يحدث ذلك بسبب أنهم لا يتذكرون مكانتهم. إن مكانتنا هي في المسيح، وهذا غير قابل للتغيير. فما فعله المسيح من أجلنا لا يتغير، ولكن مشاعرنا هي التي تتغير. هل من الوارد أن يقل لك ابنك أو ابنتك أنهم لا يشعرون بأنهم أبناءك؟ قد يقولون هذا إذا تم التعامل معهم بتعسف أو تم الاعتداء عليهم، لكن أبينا السماوي لا يُسيء إلى أبنائه. فهو يرحب بنا من خلال المسيح، ويرحب بنا كما يرحب بالمسيح.

لا يمكن لعقولنا المحدودة أن تستوعب المقصود بـ «ملء المسيح» بشكل كافٍ. فملء المسيح يشير بالتأكيد إلى ألوهيته، ويشير بكل وضوح إلى طبيعته البشرية، ويشير قطعاً إلى كفافه (كفايته). ففي المسيح لدينا كل ما نحتاجه خلال رحلة هذه الحياة وما سوف نحتاجه في الأبدية. يقول الكتاب المقدس أن المسيح «أُلْكَلَّ فِي أُلْكَلٍّ»، ويعبر عنها كاتب الترنيمة «يسوع هو كل العالم بالنسبة لي».

الفصل السابع

توقع الموت!

«فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ مَرَضَ حَزَقِيَا لِلْمَوْتِ، فَجَاءَ إِلَيْهِ إِشْعِيَاءُ بْنُ أَمُوصَ النَّبِيُّ وَقَالَ لَهُ: «هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: أَوْصِ بَيْتَكَ لِأَنَّكَ تَمُوتُ وَلَا تَعِيشُ». فَوَجَّهَ حَزَقِيَا وَجْهَهُ إِلَى الْحَائِطِ وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «أِهْ يَا رَبُّ، أَذْكُرُ كَيْفَ سَرْتُ أَمَامَكَ بِالْأَمَانَةِ وَبِقَلْبٍ سَلِيمٍ وَفَعَلْتُ الْحَسَنَ فِي عَيْنَيْكَ». وَبَكَى حَزَقِيَا بُكَاءً عَظِيمًا. فَصَارَ قَوْلُ الرَّبِّ إِلَى إِشْعِيَاءَ قَائِلًا: «أَذْهَبْ وَقُلْ لِحَزَقِيَا: هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلَهُ دَاوُدَ أَبِيكَ: قَدْ سَمِعْتُ صَلَاتَكَ. قَدْ رَأَيْتُ دُمُوعَكَ. هَآنَذَا أُضِيفُ إِلَى أَيَّامِكَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً». (إشعيا ٣٨: ١-٥).

تخيل معي أنك في عيادة الطبيب وقد انتهيت لتَوَكُّ من بعض الفحوصات الطبية. وعندما عاد الطبيب إلى الغرفة رأيته جامد الملامح ولا تَعْلُو وجهه أي ابتسامة، ثم نظر إلى التقارير ونظر إليك وأخبرك أن «الأمر ليس على ما يرام» و«أنك تعاني من سرطان في القولون غير قابل لإجراء عملية جراحية. ستبقى بعدها على قيد الحياة لمدة ستة أشهر تقريبًا، وسنبذل قصارى جهدنا لكي تشعر بالراحة قدر المستطاع. سنوفر الرعاية المناسبة لتحجيم آلامك، وسيكون من الأفضل لك أن تنجز أي أعمال تحتاج إليها الآن، فلأسف ليس في وسعنا أن نقدم لك شيئًا».

ماذا كنت ستفعل عند سماع مثل هذا التشخيص؟ من الممكن أن تكون في حالة صدمة وبكاء، ومن الممكن أيضاً أن تغضب وتقول: «إن هذا ليس عدلاً»، أو تستنكر هذا التشخيص وتبحث عن رأي طبيب آخر، ويمكن أن تستجمع قواك النفسية وتقول: «من المستحيل أن يكون هذا صحيح، من المؤكد أن الطبيب قد أخطأ التشخيص». ومن الممكن أيضاً أن تستجمع أفكارك وتقول: «سوف أخطئ كل هذا، فالطبيب لا يعلم مدى قوتي».

منذ زمن بعيد، تلقى حزقيا (أحد ملوك يهوذا) أخباراً شبيهة، أخباراً بتوقع الموت له. فقال له الرب: «أَوْصِ يَبْنَكَ لِأَنَّكَ تَمُوتُ وَلَا تَعِيشُ»، وكانت صدمة كبيرة له، وربما اختبر نفس مشاعر الشخص الخيالي الذي وصفته أعلاه.

١- توقع الموت يفاжنا

لقد كان حزقيا مريضاً بشكل خطير، وبدون شك راودته أفكار الموت. وبعد كل ذلك عَلم أنه سيموت، ولم يكن يتوقع أن ذلك سوف يحدث سريعاً. وربما حدث معه ما يحدث للعديد من الناس هذه الأيام، وقد صرف هذه الأفكار من عقله. فلماذا إذاً تفاجأ عندما تم إخباره أنه سوف يموت؟ لماذا تصدمنا حقيقة الموت؟

من الواضح أن الموت لا ينتمي إلى منظومة فكرنا. هو لا يناسب توقعاتنا عن الحياة، فالموت يعلن لنا عن عجزنا. الناس يعملون جاهدين ثم يتركوا كل شيء. ويضعون خططهم لسنوات، فلديهم «قائمة من الأهداف» التي يرغبون في تحقيقها. ثم يأتي الموت ليهدم كل هذا. لقد قرأت عن رجل تقاعد،

ثم مات سريعاً بعد تقاعده. وهناك بعض من الموسيقيين العظماء ماتوا في مقتبل عمرهم. وبالنظر إلى صفحة الوفيات في الجريدة الصباحية، لاحظت موت البعض في ريعان شبابهم. رأيت أعمار الشباب في صفحة الوفيات تتراوح بين ٣٣، ٢٨، ٣٨، ٤٥، ٢٩، ٣٥ وكان بينهم طفلاً أيضاً. ومن أعمار كبار السن رأيت مَنْ كانت أعمارهم تتراوح بين ٨٩، ٩٧، ٦٦، ٥٢، ٥٦، ٦٤، ٩٦، ٧١، ٥٩، ٦٩، ٧٣، ٧٥، ٨٨، ٩٠. يمكنك أن ترى من قائمة الأعمار في صفحة الوفيات أن الموت يفاجئ الأطفال والشباب كما يفاجئ كبار السن.

هناك شيء عميق في داخلنا يتوق إلى الخلود، فنحن نريد أن نبقى على قيد الحياة. يزعجنا جداً حدوث شيء ما يبدو أنه يضع نهاية للحياة والسعادة، ويظل بداخلنا شعور بأنه لم يكن من المفترض أن يأتي الموت على هذا النحو، أو بالأحرى لا يجب أن يحدث، وهذه حقيقة. الموت جاء نتيجة الخطية، فيقول الكتاب المقدس أن أجره الخطية هي موت. نعاني جميعاً من مشكلة الخطية، ونعاني جميعاً من مشكلة الموت.

ربما السبب الآخر الذي يجعلنا نتفاجأ بالموت هو أنه مؤجل لبعض الناس. يمكنك أن تلاحظ أعمار كبار السن في القائمة السابقة أن معظمهم يعيشون حياة طويلة، ليس من الشائع أن يعيش الناس حتى مئة عام، والكتاب المقدس يُخبر عن كثير من الناس - في العصور القديمة من تاريخ البشرية - عاشوا لمدة أطول كثيراً، ومع ذلك يخبرنا أنهم ماتوا. لا نحبذ التفكير في الموت، أو أن يتوارد حتى لأذهاننا، ونميل إلى التفكير في أنه لن يأتي، فنخدع أنفسنا بالتفكير في أننا يمكن أن نؤجله.

فُجائية الموت تُفجعنا، فيكون الشخص معنا في لحظة ثم يرحل عنا في اللحظة التالية؛ ومن الممكن أن نتحدث مع أشخاص في يوم، ثم نجدهم يرحلون عن عالمنا في اليوم التالي. لقد صُدمت عند سماع خبر انتقال زميل مُبشر في اليابان، لقد كنت معه قبلها ببضعة أيام. مات بسبب أزمة قلبية حين كان يلعب التنس. لم يكن مريضًا، وكان يبدو بصحة جيدة. عندما يأتي الموت سريعًا أو بطيئًا سيظل مفاجأة على أي حال، سوف يأتينا جميعًا، ولا نعلم متى سيأتي، ولكن مثل حزقيا، نحن نحتاج أن نسمع تلك الكلمات: «أوص بيتك لأنك تموت ولا تعيش».

٢- توقع الموت يتحدانا

التحدي هو الاستعداد. عندما تعرف ما هو قادم، ستعرف ما أنت بحاجة للاستعداد له. عندما تعلم بقرُب موعد الاختبار النهائي في المدرسة، ستدرك أنه يجب عليك الاستعداد عاجلاً وليس آجلاً. لعمل بعض الفحوصات الطبية، يجب أن تستعد مسبقًا. للمقابلة الشخصية للعمل، تحتاج أن تكون مستعدًا للمقابلة. لجميع الألعاب الرياضية، يُعد الاستعداد أمرًا ضروريًا. بدون استعداد تكون الهزيمة مؤكدة. يستعد المدربون جيدًا للمباراة مسبقًا. والفريق الذي يُحسن الاستعداد والتدريب للمباراة في الغالب يفوز في المباراة.

لماذا لا يستعد الناس للموت؟ إنهم يماطلون. ربما يكون لديهم النية للاستعداد فعلًا، لكنهم يؤجلون هذه الفكرة. الطلاب غالبًا ما يفعلون ذلك، فينتظرون حتى اللحظة الأخيرة للاستعداد للاختبار. كذلك ينوي كثير من الناس الاستعداد لمقابلة الله، لكنهم لم يجدوا أبدًا الوقت لفعل هذا،

نحن نحتاج لسماع كلمات عاموس النبي حين قال: «أُسْتَعِدَّ لِلِقَاءِ إِلَهِكَ»
(عاموس ٤: ١٢)

لم يتم إخبار حزقيا بموعد موته، ولم يكن يعرفه. فما حدث هو أن الله سمع لصلاته، وسمح له بوقت أكثر ليعيشه، لكنه حتمًا سيموت في وقت ما. إن عدم اليقين بشأن الموت يضعنا في تحدٍ أن نكون مستعدين كل يوم؛ فكل يوم من الممكن أن يكون آخر يوم لنا على سطح الأرض. الحياة ليست مضمونة، فالحوادث تقع في كل وقت، والموت يحصد حياة الكثير من الناس؛ وبالنظر إلى أعمار الشباب في صفحة الوفيات التي أشرت إليها مسبقًا؛ يمكننا أن نستنتج أن كثير من هؤلاء ماتوا نتيجة حوادث أو أمراض. هل أنت على استعداد أن تترك الكل وتموت اليوم؟ عندما تتوقع المرأة الحامل أن وقتها حان لتضع مولودها، سوف تحزم كل ما تحتاجه وتستعد للمغادرة إلى المستشفى سريعًا. أليس من الحكمة أن نفعل نفس الشيء نحو استعدادنا للموت؟

حتمية الاستعداد لتحذانا، فأنت فقط من تستطيع الاستعداد لخلاص نفسك. لا يمكنك الاستعداد نيابة عني، وكذلك لا يمكنني الاستعداد نيابة عنك. لا يوجد وكلاء عندما يكون الاستعداد روحي. أفضل وقت للاستعداد هو الآن، والاستعداد الذي أتحدث عنه ليس جسديًا بل روحيًا. أنا أتحدث عن الثقة بالمسيح كمخلص لك، وأن تحيا من أجله. أتحدث عن الدخول في علاقة صحيحة مع الله، وعن فعل ما تعلم جيدًا أن الله يريدك أن تفعله. مرارًا وتكرارًا يقول الكتاب المقدس اليوم يوم خلاص، ربما لا يأتي الغد أبدًا، إذًا فالآن هو وقت الله.

٣- توقع الموت يشعُرنا بالعجز

لقد كان حزقيا مَلِكًا لكنه بكى كالطفل عند سماع خبر انتقاله. المنصب لا يعني شيئًا، والثروة لا تعني شيئًا، والشهرة لا تعني شيئًا، والإنجازات لا تعني شيئًا. أقوى إنسان وأضعف إنسان يفارقان الحياة بنفس الطريقة. نحن نترك الحياة بأيدي فارغة وعريانين. قال أحدهم: أنهم لم يروا من قبل مقطورة سحب تتبع نعش. لقد كان ملوك المصريين القدماء يُدفنون في بعض الأحيان مع بعض جواهرهم، وعندما تم العثور على بقايا أجسادهم المدفونة؛ كانت الجواهر لا تزال موجودة، فهي لم تذهب إلى حيث ذهب الشخص. الموت هو تجربة تدعو للشعور بالعجز والذل، فيمكن أن يُحرق الجسد في محرقة، أو يمكن أن يتم دفنه في بطن الأرض حيث يتحلل. نحن نترك كل شيء خلفنا.

يجب أن يذكرنا الموت بسلطان الله. كان حزقيا مَلِكًا وكانت لديه القوة والسلطان، ولكن عندما تطرق الأمر إلى موته؛ أصبح شأنه شأن أي إنسان. فأتى إلى الله يطلب إليه بتواضع متضرعًا للرب أن ينقذ حياته. الله هو صاحب السيادة في كل شئون البشر، لذلك يجب علينا أن نأتي أمامه. هو الرب، ما يحسُن في عينيه يفعل. ويمكن أن يكون له أهداف من حياتنا أو موتنا حتى لو لم نكن على معرفة تامة بقصده، لديه قصد وهدف من وجودنا هنا. ويمكن أن يكون لديه هدف من البقاء في الحياة لفترة قصيرة على الأرض. فقد كان عُمر يسوع ٣٣ عامًا حين صُلب. فقد أتم الله كل قصد من وجود يسوع على الأرض خلال ٣٣ عامًا.

ما فعله حزقيا يجب علينا أيضًا فعله، فقد أتى أمام الله بكل هَمِّه، وسكب قلبه، وبكى أمام الله؛ في الحال أتى أمام الله، ولم يهتم وقتها بما سيقوله أو سيفكر فيه الآخرون، فبالنسبة له كانت هذه من أهم الأمور العاجلة، فأتى متواضعًا متضرعًا أمام الله. عندما نتحدث إلى الله؛ نحن لا نتحدث إلى معبود (صنم) عاجز على رف، أو نتحدث إلى ملاك قوي مثلنا في بعض النواحي. نحن في الحقيقة نتحدث إلى الإله الحي كلي القوة، كلي المعرفة، كلي الوجود، نحن نتحدث إلى الله الأزلي الأبدي الجالس على العرش.

لقد استجاب الله لتضرع حزقيا، وأضاف إلى عُمره خمسة عشر عامًا. لم يكن عليه فعل ذلك، لكن الله يستجيب إلى صلواتنا وتضرعاتنا. نحن لا نستطيع أن نرغمه على فعل شيء، ولكن يمكننا أن نأتي أمامه متضرعين وطالبيين الرحمة. هل يجب إذًا أن نصلي من أجل المرضى والذين على وشك الموت؟ في الحقيقة يجب، يمكننا أن نأتي بهم أمام إله المحبة الذي يعرف ما هو الأفضل. لا يمكننا خداع الموت. فلقد تأجل موت حزقيا، ولكنه لم يُلغ.

هل يعلم الله بدموعنا ومعاناتنا؟ هذه التجربة في سفر إشعياء تجيبنا على هذا السؤال، فالله يهتم لأنه يحبنا. يقول الله: «قَدْ سَمِعْتُ صَلَاتَكَ. قَدْ رَأَيْتُ دُمُوعَكَ»، أنظر إلى يسوع وستعرف إجابة هذا السؤال، اجتاز يسوع في أحزاننا فقد قيل عنه: «رجل الأوجاع»، فيسوع قد اختبر الموت، وبكى عند قبر لعازر. يعلم يسوع كل شيء عن أحزاننا ومخاوفنا ومعاناتنا، وعندما نأتي إلى يسوع؛ فنحن نذهب إلى الشخص الذي يعرف كل ما نمر به. نحن نذهب إلى الشخص الذي غلب الموت. الموت ليس هو الكلمة الأخيرة للمؤمنين بالمسيح،

لأن حياة يسوع صار لنا حياة، وبقيامته من الموت سننال القيامة. القبر ليس بالطريق المسدود، فيوماً ما ستفتح القبور والموتى في المسيح سيقومون، وتتحد أرواحنا بأجسادنا. ستتغير هذه الأجساد وتختبر أن الموت لا يكون في ما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد.

توقع الموت هو نفسه لكل البشر، كلنا سوف نموت، وكلمة الله لنا هي نفسها كما كانت لحزقيا. استعد لمقابلة الله ولا تؤجل إلى الغد ما يمكن أن تفعله اليوم. استعد الآن. فالآن هو وقت الله! على الصليب كان يوجد لصان بجوار يسوع، أحدهما تمرد للنهاية والآخر طلب يسوع، فقال يسوع له: «إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِيَ فِي الْفِرْدَوْسِ». كان هنا رجل فاسد وشرير وضع نفسه ودعا يسوع وكاد أن يكون متأخراً جداً. مهما كنت وأينما كنت يمكنك أن تدعو الله اليوم. «كُلُّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ» (رومية ١٠: ١٣).

الفصل الثامن

الطريق إلى الآب

قَالَ لَهُ تُومَا: «يَا سَيِّدُ، لَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ تَذْهَبُ، فَكَيْفَ نَقْدِرُ أَنْ نَعْرِفَ الطَّرِيقَ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الْآبِ إِلَّا بِي. لَوْ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضًا. وَمِنْ الْآنَ تَعْرِفُونَهُ وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ» (يوحنا ١٤: ٥-٧)

نحن نعيش في عصر الطرق والشوارع والممرات الواسعة. ففي يومنا هذا يمكنك أن تذهب بسيارتك إلى أي مكان؛ إلا أنه لا تزال هناك العديد من الطرق الصغيرة، وأحيانًا نتساءل إلى أين سوف تؤدي بنا! إنه أمر يُعَدُّ بمثابة مغامرة كبيرة أن تسلك طريقًا لا تعرفه، وقد لا تصل إلى أي مكان، ومن ثم تضطر إلى الدوران للخلف مرة أخرى. كما أن هناك طريق قد يبدو جيدًا للوهلة الأولى ثم يتضح بعد ذلك أنه طريق غير مكتمل.

يخبرنا يسوع عن الطريق إلى الآب فيقول: «أنا هو الطريق والحق والحياة»، ونقرأها في ترجمة موفات Moffat للكتاب المقدس بما يعني: «أنا هو الطريق الحقيقي والحي». كما يتحدث سفر العبرانيين عن يسوع باعتباره «طَرِيقًا حَدِيثًا حَيًّا» (عبرانيين ١٠: ٢٠). وكتب توماس أ. كيمبيس Thomas A Kempis حول هذا الأمر: «بدون الطريق لا نقدر أن نذهب،

وبدون الحق لا نقدر أن نعرف، وبدون الحياة لا نقدر أن نحيا». من المحتمل أنه لا يوجد ما يزعج الناس أكثر من تلك المقولة ليسوع، حيث يقول يسوع هنا أنه يوجد طريق واحد فقط إلى الله. إن أتباع يسوع كثيرًا ما يُتهمون بالتعصب عندما يقولون هذا، ولكن لا مجال للشك فيما قاله يسوع أو ما كان يعنيه. فيسوع هو الطريق إلى الله الأب.

١- الطريق بسيط

عندما يتدخل الإنسان في أمر ما، فإن هذا الأمر يميل إلى أن يكون أكثر تعقيدًا. لقد صاغ الإنسان ديانات معقدة تتطلب شروطًا كثيرة. ينبغي أن تفعل هذا وألا تفعل ذاك، يجب أن تذهب إلى هنا ولا تذهب إلى هناك. وتستمر قائمة القوانين التي يضيفها الإنسان. هناك الكثير من الأمور الدينية في العالم اليوم. ولكن هل يمكن لتلك الأنظمة المعقدة أن تنشأ من عند الله؟

قال يسوع: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ»، وتقرأها في ترجمة فيليب للكتاب المقدس Phillips Translation كالتالي: «أنا بذاتي هو الطريق». يعلمنا الكتاب المقدس أن يسوع نفسه هو الطريق إلى الخلاص، كل ما في العهد القديم يشير إليه. هو المخلص المنتظر، كما تشير إليه كل ذبائح الكتاب المقدس. ويوضح لنا العهد الجديد أن يسوع هو الذي وُعِدَ به لكي يخلصنا. فبدون يسوع لا توجد مسيحية. ولكن في الحقيقة ربما أصبحت الكنائس الآن هي مراكز دينية، وتاه الكثيرون في التدين داخل الكنائس. فهم يحاولون في الأساس أن يجدوا طريقهم نحو الله.

بصفة عامة يعتقد الكثير من الناس أن الإخلاص هو الطريق إلى الله، وأن فعل أفضل ما لديك هو أمر مقبول لديه. ولكن إن كان يمكننا أن نخلص بأعمالنا الصالحة، فلم يكن هناك سبب لكي يأتي يسوع. لقد كانت هناك العديد من الديانات عندما أتى يسوع، وكان الفريسيون من الأشخاص الأكثر تدينًا، فقد التزموا بالمئات من الشرائع بمنتهى الدقة؛ وفي ذات الوقت كانوا أكثر مَنْ عارضوا يسوع بشراسة. يمكن للإخلاص أن يكون مميّزًا، فرها قد تؤمن بإخلاص أنك تسير على الطريق الصحيح، بينما أنت مخطئ تمامًا. مثلما يحدث أحيانًا عند ممارستي القيادة؛ فقد أخطأت قراءة الكثير من اللافتات مما أدى بي إلى الذهاب في اتجاهات خاطئة.

وهما أن يسوع نفسه هو الطريق إلى الآب، فماذا نحتاج؟ يسوع فقط هو كل ما نحتاج إليه. عندما سئل بولس الرسول عن الخلاص، أجاب: «أَمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ فَتَخْلُصَ» (أعمال الرسل ١٦: ٣١)، ينبغي أن تكون لنا علاقة مع المسيح. هناك بعض الطرق التي يصعب الوصول إليها، ومن ثم يتوقف الناس عن محاولة إيجادها. ولكن الطريق إلى يسوع سهل للغاية حتى أن الأطفال الصغار يمكنهم إيجادها؛ فنحن لا نحتاج للسفر إلى مكان بعيد لكي نجد هذا الطريق. كما أن هذا الطريق ليس نظامًا معقدًا، لأن الطريق ببساطة هو يسوع. ونحن ندعو الناس لكي يأتوا إلى يسوع، قال يسوع: «تَعَالَوْا إِلَيَّ» وقال أيضًا: «اتَّبِعْنِي». ما هو الأمر المعقد في تلك الكلمات؟ «لَكِنْ مَاذَا يَقُولُ؟» «الْكَلِمَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ، فِي فَمِكَ وَفِي قَلْبِكَ» أَيَّ كَلِمَةٍ الْإِيمَانِ الَّتِي نَكْرُرُ بِهَا: لِأَنَّكَ إِنْ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ مِنْ الْأَمْوَاتِ، خَلَصْتَ.» (رومية ١٠: ٨-٩).

قد يتعثر الناس في بساطة الأخبار السارة، ولكن حتى الأطفال الصغار يمكنهم أن يفهموها، كما أننا لا نحتاج أن نتلقى تدريبًا خاصًا لكي نصبح تابعين للمسيح. هذا الطريق ليس نظامًا؛ أيضًا هذا الطريق ليس كنيسة. هذا الطريق هو يسوع ببساطة.

٢- الطريق ضيق

من الحكمة قبل أن نذهب في رحلة ما، أن نُلقي نظرة على الخريطة ونُفكر في الطريق الذي سوف نسلكه، لكي نصل إلى وجهتنا. وإذا لم نفعل ذلك فقد ينتهي بنا الأمر عند طرق سيئة كثيرة، وهو ما سيجعل وقت الذهاب إلى الرحلة أطول بكثير مما نرغب. كذلك أيضًا نحتاج أن نسأل الله عن الطريق. هل هناك طرق مختلفة، أم أنه يوجد طريق واحد فقط إلى الله؟ إن الإجابة الشائعة هي أنه يوجد طرق مختلفة، ولكن يسوع لم يرَ هذا. في الواقع، يسوع لم يكن ليأتي أبدًا إن كانت هناك طرقًا أخرى إلى الآب، سواء كنا نصدق ما قاله يسوع أم لا. إذا كنا نعتقد أن يسوع كان مخطئًا بشأن الطريق إلى الله، فكيف لنا أن نتأكد أنه لم يكن مخطئًا بشأن كل الأشياء الأخرى التي قالها؟

من المؤكد أن ما قاله يسوع كان حتميًا ومطلقًا. قال يسوع: يوجد طريق واحد فقط يمكننا به أن نأتي إلى الله، وذلك من خلال يسوع نفسه. ربما تقول أن هذا الطريق ضيق، ولكن أليست الحقيقة محددة وضيقة؟ فإذا كنت على متن طائرة، ألا تريد طيارًا منضبطًا عالمًا بما يقوم به؟ كذلك إذا كنت في بنك، ألا تريد أن تتعامل مع موظف جدير بالثقة ودقيق في التعامل مع أموالك؟

وإن لجأت إلى جراح، ألا تحتاج إلى جراح دقيق النظرة، بحيث تصبح متأكدًا أنه لن يقوم بقطع أي مكان آخر؟

كان المبشرون الأوائل بالكتاب المقدس واضحين جدًا بشأن ما آمنوا به، فقد آمنوا أن يسوع وحده هو الطريق إلى الخلاص، «وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلَاصُ. لِأَنَّ لَيْسَ أَسْمَ آخَرَ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلَصَ» (أعمال الرسل ٤: ١٢). تحدث يسوع خلال عظته الشهيرة على الجبل عن طريقين: الطريق الواسع والطريق الضيق، «أَدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ، لِأَنَّهُ وَاسِعُ الْبَابِ وَرَحْبُ الطَّرِيقِ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْهَلَاكِ، وَكَثِيرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ مِنْهُ! مَا أَضْيَقُ الْبَابَ وَآكِرَبُ الطَّرِيقِ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ، وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ!» (متى ٧: ١٣-١٤).

لقد تحدث الله نهائيًا وبشكل كامل عندما أرسل يسوع إلينا. وإذا لم نؤمن بما قاله فلن يكفيننا أي إعلان آخر، ولن يكون هناك أبدًا طريقًا آخرًا للخلاص. صرخ يسوع على الصليب: «قَدْ أُكْمِلَ» وهذا يعني أن العمل قد اكتمل، ودُفِعَ دَيْنُ الخطية بالكامل. إن الطريق إلى السماء قد أصبح الآن مفتوحًا، ولن يكون هناك صليبًا آخرًا. في مرحلة ما من التاريخ، أصبح يسوع المسيح حاملًا عنا خطايانا، مُمهِّدًا الطريق إلى الله. واليوم هناك صليب فارغ وقبر فارغ لأن يسوع قد قام من الأموات، وهو حي اليوم. فهو الرب والمُخْلِص والمَلِكُ، وباب الخراف والراعي الصالح، وهو القيامة والحياة، وخبز الحياة، ونور العالم، والأول والآخر، وهو الحق.

هل أنت على الطريق الصحيح؟ يقول الكتاب المقدس أن هناك طرق كثيرة تؤدي إلى الاتجاه الخاطئ. «تُوجَدُ طَرِيقُ تَظْهَرُ لِلإِنْسَانِ مُسْتَقِيمَةً،

وَعَاقِبَتْهَا طُرُقُ أَلْمَوْتِ» (أمثال ١٤: ١٢). الطريق إلى الآب متسع بما يكفي لكي تدخل فيه أنت وجميع الناس الذين يرغبون في السير إلى هناك. لقد مات يسوع من أجل جميع الناس، مات من أجلك أنت. هناك فجوة كبيرة من الانفصال بين الله والإنسان بسبب الخطية. فكيف يمكن لإنسان خاطئ أن يأتي إلى إله قدوس؟ هذا هو السؤال الذي أجاب عنه يسوع، فمن خلال الصليب الذي مات عليه يسوع، أصبح هناك جسر يَسِد تلك الفجوة، وهو جسر ضيق لكنه حق.

٣- الطريق آمن

إن بعض الطرق ليست آمنة للسفر، فقد يهاجم قُطَاع الطرق المسافرين ويسرقونهم أو حتى يقتلونهم. ولكن ماذا عن الطريق إلى الآب؟ هل هو طريق آمن؟ يمكننا أن نجيب عن هذا السؤال بـ «نَعَمْ» واضحة وصریحة. نحن بأمان مثل يسوع، ونحن آمنون بقدر يسوع، كما أن علاقتنا معه تضمن أماننا. وبقول ذلك لا نعني أنك لن تواجه مشكلات أثناء تبعيتك ليسوع. فعندما نأتي إلى المسيح، ستكون هناك حرب روحية، وسوف يسعى أعداء غير مرئيين أن يحطموا إيماننا لكي يضلونا. إن يسوع نفسه قد تعرض إلى التجارب. بل أنه قد يكون هناك متاعب عندما تتبع المسيح أكثر من تلك التي كانت موجودة قبل أن تتبعه؛ فالشيطان وأعوانه لم يكونوا قلقين حيالك من قبل، ولكن الآن بعدما تبعك يسوع فإنك ستُصبح أكثر عُرضة لحيل وخداع الشيطان.

كم أنت آمن مع يسوع؟ أنت في يديه، وينبغي للشيطان أن يكسر يد الله لكي يصل إليك ويدمرك. لكن يسوع قال أن لا أحد يستطيع أن يأخذنا

من يده، لذلك فالطريق إلى الآب هو طريق آمن ومضمون. يمكنك أن ترتاح هناك، وسوف تختبر السلام. لقد نقض يسوع حائط السّياج الذي يفصلنا عن الله مُحَضِّرًا إيانا إلى الآب وإلى عائلة الله والوطن السماوي. حتى خلال حياتنا هنا، نحن مواطنون سماويون. من خلال المسيح يكون لنا سلام مع الله ويصبح لنا الحق في الوقوف أمام الإله القدوس، ويقبلنا الله من أجل ما فعله المسيح لأجلنا، فهو قد أخذ ثيابنا المتسخة وكسانا رداء البر الكامل الذي للمسيح. يبدو الأمر كما لو أننا فعلنا كل ما فعله يسوع. إن الله ينظر إلينا ويقبلنا من خلال يسوع.

في هذا الطريق سوف نختبر الحب. حب أعظم مما يمكننا أن نتخيل، حب يتوجه بنا دائماً نحو الأفضل. إن محبة الإنسان كثيراً ما تقوم على حُسن الأداء، ولكن ليس هذا هو الحال مع محبة الله. لقد قرأت عن رجل أراد والده أن يقول له دائماً أنه يحبه، ولكن بدلاً من ذلك، كان والده يقول له أشياء مثل: «أنت لن تصل إلى أي شيء أبداً»، فقد كان دائماً ما ينتقده ويحبطه، ويطلبه بالمزيد دائماً. ليس الله هكذا، فالله يعرف كل شيء عنا وهو لا يزال يحبنا. يتحدث يوحنا كثيراً في رسائله عن المحبة «انظُرُوا آيَةً مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الْآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلَادَ اللَّهِ!» (يوحنا الأولى ١:٣). إن الله ليس شحيحاً في محبته، بل أن حبه مثل المحيط الشاسع، وهناك دائماً المزيد منه.

في هذا الطريق سوف يكون هناك فرحاً، فأينما يوجد المسيح يوجد الفرح. أن تكون مع المسيح، تلك هي السعادة المطلقة. وكما أن حبه يزداد، فإن هذا الفرح يزداد أيضاً. كيف حال الطريق الذي تسافر من خلاله؟ هل هو ممتع ومُرضي؟ عندما كنت صغيراً اعتدنا أن نرسم تلك الترنيمة التي تقول:

«إذا كنت تريد الفرح، الفرح الحقيقي، دع يسوع يأتي إلى قلبك» عندما تسير مع يسوع لن يخيب أملك بل ستنال الفرح، فالفرح يأتي معه. ومن يسافر في هذا الطريق الضيق يمتلك فرحًا لا يستطيع أي شيء أن يأخذه منه، حتى الموت أو المرض أو المعاناة.

إن الطريق إلى الآب بسيط وضيق وآمن. هل يمكن أن تفكر في طريق أفضل؟ يسوع هو الطريق إلى الآب. فالطريق الذي تحتاجه يبدأ بيسوع وينتهي به؛ هو الطريق الذي ينبغي أن نسافر من خلاله بينما نحن هنا على الأرض، فهو الطريق الذي يصل بنا إلى السماء. عندما تأتي إلى يسوع، سوف تختبر لمحة من السماء. لا يهم أين أنت الآن أو ماذا تفعل. يمكنك أن تتخذ هذا الطريق اليوم، فالطريق أمامك والطريق هو يسوع ذاته.

الفصل التاسع

النعمة الفياضة

«وَلَكِنْ لَيْسَ كَالْخَطِيئَةِ هَكَذَا أَيْضًا الْهَبَةُ. لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِخَطِيئَةِ وَاحِدٍ مَاتَ الْكَثِيرُونَ، فَبِالْأُولَى كَثِيرًا نِعْمَةُ اللَّهِ، وَالْعَطِيَّةُ بِالنِّعْمَةِ الَّتِي بِالْإِنْسَانِ الْوَاحِدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، قَدْ أَزْدَادَتْ لِلْكَثِيرِينَ! وَلَيْسَ كَمَا بِوَاحِدٍ قَدْ أَخْطَأَ هَكَذَا أَلْعَطِيَّةُ. لِأَنَّ الْحُكْمَ مِنْ وَاحِدٍ لِلدَّيْنُونَةِ، وَأَمَّا الْهَبَةُ فَمِنْ جَرَى خَطَايَا كَثِيرَةٍ لِلتَّبَرِيرِ. لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِخَطِيئَةِ الْوَاحِدِ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ بِالْوَاحِدِ، فَبِالْأُولَى كَثِيرًا الَّذِينَ يَنَالُونَ فَيْضَ النِّعْمَةِ وَعَطِيَّةِ الْبَرِّ، سَيَمْلِكُونَ فِي الْحَيَاةِ بِالْوَاحِدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ!» (رومية ٥: ١٧-١٥)

ما هو برأيك الشيء الأوفر على هذه الأرض؟ قد يقول أحدهم أن الشيء الأوفر هو الماء لأن هناك الكثير منه، ومع ذلك فهناك أماكن تكون المياه فيها شحيحة؛ كما أن هناك بعض المناطق الصحراوية التي تُعتبر فيها المياه سلعة ثمينة. وقد يقول شخص آخر أن الهواء هو الشيء الأكثر وفرة على هذه الأرض - وهذا صحيح - ولكن توجد أماكن تعاني من تلوث الهواء. قد تعتقد كذلك أن الحشائش في فصل الربيع هي الشيء الأكثر وفرة، حيث يمكنك أن تجدها في جميع أنحاء العالم، وعلى الأغلب في أماكن غير مرغوب فيها.

يخبرنا الكتاب المقدس عن شيء كثير الوفرة بشكل مذهل، هو نعمة الله. إن الحياة المسيحية تحتاج إلى النعمة في بدايتها، فالنعمة هي أمر أساسي لاستمرار

حياة الشخص المسيحي. ونعمة الله تسير معنا طول الطريق حتى نهاية رحلتنا هنا. قال بولس أنه حيثما كَثُرَت الخطية ازدادت النعمة جدًّا. وترجمها العديد من ترجمات الكتاب المقدس إلى «ازدادت كثيرًا جدًّا»، ولكن في أصل الكلمة اليونانية تعني «فائقة»، فهي لا تزداد فقط بل تزداد بطريقة فائقة.

١- النعمة الفياضة مجانية

النعمة مجانية في طبيعتها، ولكن لكي نتأكد من فهمنا لهذا الأمر، من الجيد أن نُطلق عليها «النعمة المجانية»؛ فالنعمة لا تعتمد بأي حال على أي شيء مُملكه أو نفعله. وينبغي أن يكون هذا الأمر واضحًا لدينا ابتداءً من الآية السادسة من نفس الإصحاح، حيث يقول إننا عندما كنا خطاة مات المسيح لأجلنا. لقد حدث هذا عندما كنا ضعفاء وعاجزين وضالين وأموات في الذنوب والخطايا. فلم يَمُت المسيح لكوننا صالحين، بل لأننا خطاة.

إن النعمة تعني «إحسان غير مستحق» أو «عطية مجانية لمن لا يستحقها». ولكن يَصْغَب علينا قبول شيء ما مجاني في المطلق، فنعتقد أنه لا بد من وجود خدعة في مكان ما. قد تتلقى بعض المكالمات التليفونية مفادها أنك ربحت رحلة مجانية إلى أحد المنتجعات الاستوائية، ولكنك تشعر بوجود خطأ ما. ويبدو أنه من الراسخ في أذهاننا أننا يجب أن نعمل لنستحق الحصول على شيء ما، وتصيينا الشكوك حول العروض المجانية. وقد يُعَد هذا من الأسباب التي تجعل من الصعب على الإنسان أن يقبل العطية المجانية للحياة الأبدية. فنفكر أنه «بالتأكيد يجب أن نفعل شيئًا» أو «بالتأكيد يجب أن نحصل عليها عن طريق أعمالنا الصالحة». نقرأ في (رومية ٣: ٢٤) أننا «مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ».

هل تحب أن تتلقى الهدايا؟ أنا أحب ذلك. يستمتع كل الأشخاص الذين أعرفهم تقريباً بتلقي الهدايا. ففكر في أعظم هدية ممكنة يمكنك أن تتلقاها. هل هي سيارة؟ السيارة تصبح قديمة بمرور الوقت وستحتاج في النهاية إلى التخلص منها. هل هي منزل جديد؟ قد يحدث هذا أحياناً. ولا شك أنها هدية مشوّقة. ولكن برغم كون جميع تلك الهدايا هي هدايا مثيرة، إلا أنها ليست الهدايا الأفضل. فالهدية الأفضل هي التي تتحدث عنها تلك الكلمات: «فَشْكُرًا لِلَّهِ عَلَى عَطِيَّتِهِ الَّتِي لَا يُعْبَرُ عَنْهَا.» (كورنثوس الثانية ٩: ١٥). ما هي تلك العطية؟ إنها عطية الخلاص، عطية عضوية الانضمام لعائلة الله، والمواطنة في ملكوت الله.

أخبرنا القس والكاتب الأمريكي برينان مانينج Brennan Manning عن زيارته لمزرعة للأميش (والأميش هي إحدى الطوائف المسيحية المتشددة بأمريكا)، وقد كان لدى المزارع عدة أبناء، وكان ثلاثة منهم مصابين بإعاقات ذهنية؛ كان إيلام Elam يبلغ من العمر في ذلك الوقت سبعة وأربعين عامًا. وقد قبل إيلام Elam - هذا الشخص المنغولي - برينان Brennan عندما تقابل معه. وأثناء تناولهم الطعام، بكى إيلام Elam كثيرًا كالطفل الصغير عندما اصطدم كوع برينان Brennan به بشكل غير مقصود. إلا أنه لم يتوقع ما فعله إيلام Elam بعد ذلك، فقد صعد إيلام Elam إلى حضنه مقبلًا إياه على وجهه. وقد لاحظ برينان Brennan أن إيلام Elam قد أحبه حبًا غير مشروط. أليست تلك صورة عن الطريقة التي يحبنا بها الله؟

كيف تُعطى لنا هذه النعمة الرائعة؟ يقول النص الذي لدينا هنا «عطية الواحد» و «بر الواحد» و«طاعة الواحد»، وهذا الواحد هو يسوع المسيح.

فتلك النعمة تأتي من خلال عطيته وبره وطاعته، فهي تتعلق بما قد أثمّه هو. ومن ثم فهي تتمحور حول عمله وليس أعمالنا، فالنعمة تأتي من عنده. ليس الله غير عادل عندما يعطينا، فهو لا يتغافل عن خطيتنا، ولكن جزاء خطايانا قد تم دفعه، هذا ما ندعوه بـ «بدلية موت يسوع»؛ فيسوع الذي هو بلا خطية قد حمل خطايانا، وكما أن في آدم دخلت الخطية إلى التاريخ وأصابت جميع الجنس البشري، أيضًا - في المسيح - قد دُفع ثمن الخطية. عندما نأتي إلى المسيح، لا يوجد هذا الجُرم المزدوج، فثمن الخطية قد تم نقله بالكامل، وأزيلَ دَيْنُها.

لاحظ كم كان هناك تأكيدًا على حرية نعمة الله في الفقرة الكتابية من (رومية ٥: ١٥-١٧)، حيث نجد أن الكلمتين «هبة» و«عطية» تتكرر أكثر من مرة، كما تكررت كلمة «نعمة» ثلاث مرات. واستخدم تعبير «فِي الْأَوَّلَى كَثِيرًا» مرتين، وهو يتحدث عن «فيض نعمة الله». ويبدو من ذلك أن بولس كان يبحث عن الكلمات التي من شأنها أن تعبر عن مدى حرية وعظمة نعمة الله.

وقد كان هذا هو اكتشاف مارتن لوثر Martin Luther، الاكتشاف المُعْجِز للحياة؛ فطالما حاول أن يحصل على عطف الله، ولكنه لم يستطع أبدًا أن يفعل ما يكفي لكي يتخلص من خطيته ويريح ضميره. ولكن بعدما تعلم من خلال الكتاب المقدس أننا نتبرر مجانًا بنعمة الله، أصبح شخصًا مختلفًا، وإنسانًا حرًا. هذا هو ما ستفعله نعمة الله، فهي ليست متعلقة بإنجازنا، إنما هي هبة مجانية، وهذه أخبار سارة للخطاة.

٢- النعمة الفياضة وفيرة

منذ عدة سنوات، ارتفعت أسعار النفط ارتفاعاً مُريعاً، مما أدى بالناس إلى محاولة توفير الكهرباء بعدة طرق؛ حيث أطفأوا مصابيح الإنارة وقللوا من درجات أجهزة التدفئة. هناك حدود لمصادرنا الطبيعية، إذا استخدمناها بكثرة، فإن المتبقي منها قد لا يكفي للأجيال القادمة. ولكن هذا الأمر لا ينطبق على نعمة الله، فهي دائماً تكفي وتفيض. ولن تقل كميتها لك إن اختبر الآخرون هذه النعمة. فنعمة الله غير محدودة، ولذلك لن تنطبق عليها قوانين الأسواق فيتجاوز في وقت ما الطلب العرض. تقول إحدى الترانيم «هناك مكان لك على الصليب على الرغم من قدوم الملايين، لا يزال هناك مكان لك».

يحاول بولس أن يصل باللغة إلى أقصاها خلال حديثه عن نعمة الله؛ فهو قد اختبر هذه النعمة بنفسه. وقد عاش حياة دينية صارمة لعدة سنوات، كما كان غيوراً جداً حتى أنه عزم على هدم هذا الإيمان الجديد المنتشر؛ فقام بمضايقة المسيحيين والقبض عليهم، وكان مزمماً أن يفعل ما هو أكثر من ذلك عندما سافر إلى دمشق. وفي الطريق حدث ما لم يكن في الحساب، فقد رأى نوراً عظيماً تسبب في إصابته بالعمى، وتحدث إليه المسيح الحي. انقلبت حياة بولس رأساً على عقب، فبدأ على الفور في التبشير بالإيمان الذي كان يحاول قبلاً تدميره، داعياً نفسه «أول الخطاة»، وقد أصبحت رسالته عن نعمة المسيح.

ألا نحتاج إلى مثل تلك النعمة في حياتنا؟ نتحدث إحدى الترانيم عن «النعمة التي تفوق كل خطايانا». فنحن نحتاج إلى النعمة التي تكفي جميع خطايانا السابقة، وأيضاً أي خطايا حاضرة أو مستقبلية. فحاجتنا إلى النعمة

لا تنضب ولا حصر لها. هذا هو قلب الإنجيل، إنجيل النعمة، النعمة الوفيرة. نحن نحتاج إلى النعمة التي تفيض في حياتنا اليوم وكل الأيام. نحن نحتاج إلى نعمة تكفي أسوأ الخطاة، وقادرة على أن تصل إلى أدنى الأماكن، وأن ترفع من هوة اليأس وفقدان الأمل.

يمكنك أن تتأكد من أن نعمة الله كافية لك. فمهما كانت خطاياك، تستطيع نعمة الله أن تجدك وترفعك، وذلك لأن نعمته وفيرة. إن الله ليس بخيلاً أو شحيحاً في العطاء، فنعمته فيّاضة. نحن لا نحتاج إلى أن نتوسل إلى الله لكي نقنعه بأن يعطينا نعمته، فهي متاحة ووفيرة، ولا تحدث بها مجاعات، كما لا يوجد بها فترات توقف أو قيود. إن نعمة الله ثابتة اليوم كما كانت منذ البداية. والطريقة الوحيدة التي يمكنك أن تأتي بها إلى الإله القدوس هي من خلال نعمة يسوع المسيح.

٣- النعمة الفيّاضة قوية

كانت هناك بعض الزلازل القوية التي أودت بحياة الكثيرين. وفي وقت كتابة هذا الكتاب، يحدث في إفريقيا إعصار شديد، حيث فقد الكثيرون حياتهم، وأبديت قرى كاملة، كما هُدمت عشرات الآلاف من المباني وأصيبت بأضرار جسيمة؛ كذلك منذ عدة أشهر حدث حريق في كاليفورنيا تسبب في تدمير مدينة. إن الماء والنار هما قوتان جبارتان، ولكن تظل نعمة الله هي الأقوى.

يتحدث بولس عن قوة الموت والخطية، ولكن إذا ما تم مقارنتها بنعمة الله تصير كمجرى صغير بالنسبة للمحيط. إن نعمة الله تُشبه المحيط، فلا

يمكنك إدراك مدى اتساع المحيط حتى تُبحر فيه. في البداية عندما سافرت إلى اليابان ذهبت إلى هناك على متن سفينة، وقد استغرقني الأمر حوالي أسبوعين لكي أصل إلى مدينة يوكوهاما، حيث توقفنا في محطة واحدة في هاواي. يومًا بعد الآخر كنت أنظر في جميع الإتجاهات وكان كل ما يمكنني أن أراه هو المحيط. كذلك أيضًا نعمة الله. كنت مسافرًا على متن سفينة ضخمة، ومع هذا صدمت أمواج المحيط السفينة. إن المحيط قوي، ولكن نعمة الله هي أكثر قوة بكثير من أي محيط.

اعتدت أن أعيش في مدينة توماكوماي باليابان، وكان هناك مصنعًا كبيرًا للورق في تلك المدينة، وبالقرب منه نهرًا يصب في المحيط. هذا النهر هو أقدر نهر قد رأيته في حياتي، فقد كانت الملوثات الناتجة عن المصنع تصب في ذلك النهر، وبالتالي لم يكن ذلك المكان مناسبًا لأي كائنات حية؛ ولكن كانت مياه النهر تتدفق إلى المحيط حيث تُبتلع هناك. إن حياتنا تشبه هذا المجرى الملوث، فهي قبيحة وقذرة ولكنها عندما تتدفق إلى محيط نعمة الله فهي تُغمر هناك. إن مياه النعمة هي مياه عذبة وجديدة وواهبة للحياة، فتُغسل هناك نجاسة خطايانا. في نسخة الكتاب المقدس لكينج جيمس King James تقول الآية العشرون: أن حينما تزداد الخطية، تزداد النعمة أكثر منها.

قرأت عن رجل أمضى أكثر من تسع سنوات في السجن. كان يقضي عقوبة قضيتين كل منهما عن جريمة قتل وعقوبة الواحدة فيهما السجن لمدة الحياة. لقد كان هذا الشخص بريئًا ولكن تمت إدانته بتورطه في الجريمة. لم يشعر هذا الرجل أبدًا بمحبة والده له، فوالده لم يكن يقول عنه شيئًا جيدًا،

بل وأن عائلته لم تكن تعرف أين كان. ثم في وقت لاحق زاره صديق من أيام المدرسة الثانوية وقد أحضر له كتابًا مقدسًا. وهناك في السجن، تغيرت حياة هذا الرجل. هذا الرجل لم يكن يرغب في أي شيء له علاقة بالمسيحيين، ولم يكن يؤمن بالله، ولكن محبة الله وجدته فتغيرت حياته بشكل جذري.

لا يهم ما هي القيود التي تقيدك. فقد تكون واقع تحت نير الإدمان ولا تستطيع التغلب عليه، حتى أنك يمكن أن تكون الآن في السجن. قد يكون سجنًا تقضي فيه عقوبة أو سجنًا بداخل عقلك. أنت تحتاج إلى نعمة الله. فنعمته مجانية ووفيرة وقوية. لقد غيّرت لَصًا على الصليب، وبولس المُضْطَّهَدُ في طريقه إلى دمشق؛ كما غيرت جون نيوتن John Newton على سفينة العبيد. تستطيع النعمة أن تغيرك اليوم، فالنعمة فقط هي ما نحتاجه. وبالإيمان وحده يمكننا أن نحصل على هبة الحياة الأبدية.

الفصل العاشر

لقد فوتَ الحفل!

«وَكَانَ ابْنُهُ الْأَكْبَرُ فِي الْحَفْلِ. فَلَمَّا جَاءَ وَقَرَّبَ مِنَ الْبَيْتِ، سَمِعَ صَوْتَ آلاَتِ طَرَبٍ وَرَقْصًا. فَدَعَا وَاحِدًا مِنَ الْعِلْمَانِ وَسَأَلَهُ: مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هَذَا؟ فَقَالَ لَهُ: أَخُوكَ جَاءَ فَدَبَّحَ أَبُوكَ الْعِجَلَ الْمُسَمَّنَ، لِأَنَّهُ قَبِلَهُ سَالِمًا. فَغَضِبَ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَدْخُلَ. فَخَرَجَ أَبُوهُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ. فَأَجَابَ وَقَالَ لِأَبِيهِ: هَا أَنَا أَخْدِمُكَ سِنِينَ هَذَا عَدْدُهَا، وَقَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ، وَجَدِيًّا لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ لِأَفْرَحَ مَعَ أَصْدِقَائِي. وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ ابْنُكَ هَذَا الَّذِي أَكَلَ مَعِيشَتَكَ مَعَ الزَّوَانِي، دَبَّحْتَ لَهُ الْعِجَلَ الْمُسَمَّنَ! فَقَالَ لَهُ: يَا بَنِيَّ أَنْتَ مَعِيَ فِي كُلِّ حِينٍ، وَكُلُّ مَا لِي فَهُوَ لَكَ. وَلَكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْرَحَ وَنُسَرَّ، لِأَنَّ أَخَاكَ هَذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالًّا فَوُجِدَ.»

(لوقا ١٥: ٢٥-٣٢)

ألن يكون من الأفضل أن ندعو هذا المثل «مثل الابنين الضالين» بدلًا من «مثل الابن الضال»؟ فقد تظن أن الابن الأكبر كان ابنًا مثاليًا. قد يبدو من الناحية الظاهرية أن الابن الأكبر كان يعمل باجتهد، وأنه شخص يمكن الاعتماد عليه. فقد ظل في المنزل ولم يفعل أيًا من الأمور التي فعلها أخوه. كما أنه لم يضيّع إرثه مثلما أضاعه أخوه، لكنه بالرغم من ذلك فوتَ الحفل.

لقد فوّت الحفل ليس لأنه لم يستطع المجيء ولكن لأنه لم يُرد المجيء. فهو كان يعلم ماذا يحدث. لم تكن المشكلة تتعلق ببُعد المسافة أو سهو عن الحضور، بل كانت تتعلق باختيار متعمد لعدم المشاركة. لم يكن سبب عدم حضور الابن الأكبر أنه لم يكن مدعوًا، فلقد خرج إليه أبوه داعيًا إياه للمشاركة في الاحتفال، لكن لم يثنه عن رغبته.

يشبه الكثير من الناس اليوم الابن الأكبر، فهم سيفوّتون أعظم حفل مُنح إليهم على الإطلاق - حفل نعمة الله - لماذا؟ ليس لأنهم لم يستطيعوا المجيء، بل لأنهم اتخذوا قرارًا متعمدًا بعدم المجيء. إن المشكلة تكمن في إرادة الإنسان. في بعض الأحيان يكون أصعب الناس في الوصول إليهم هم الأشخاص الجيدين وأصحاب الأخلاق الحميدة وحتى المتدينين؛ بينما غالبًا ما يكون الأشخاص الذين يشبهون الابن الأول (الأصغر) مدركين تمامًا لاحتياجهم. أنت لا تحتاج إلى إقناعهم بأنهم خطاة، هم يعرفون أنهم غارقون في الخطية. ولكن من يشبهون الابن الثاني (الأكبر) من الأشخاص الجيدين والأخلاقين هم أصعب الناس في الوصول للمسيح. دعنا نتأمل بعض الأسباب التي جعلت الابن الأكبر يفوّت الحفل.

١- لقد فوّت الحفل بسبب كبريائه

واجه مبشر كان يقوم بأعمال ترجمة صعوبة في العثور على كلمة مرادفة لكلمة «كبرياء» في تلك اللغة، فقرر أن يترجمها بتلك الطريقة «الرأس المتضخم». بعبارة أخرى، لقد اعتقد أن مصطلح «الرأس الكبير» سوف يعمل على توصيل الفكرة. هذا هو الوصف الدقيق للكبرياء، ففي كبريائنا نميل لأن

نكون قضاة على الآخرين. لقد حكم الأخ الأكبر على أخيه بأقسى الطرق. فقال أن أخاه قد أضاع ممتلكات أبيه لدى العاهرات، وكان ذلك صحيحًا. وبازدراء قال عنه: «أَبْنَتُكَ هَذَا»، فهو حتى لم يُرد أن يدعوه أخاه.

أعمى الكبرياء عينيه، فلم يستطع أن يرى إلا قرارات أخيه السيئة وإخفاقاته. وهو لم يحكم فقط على أخيه، بل حكم على أبيه أيضًا. كان الأمر أشبه بانفجار بركان من المشاعر. لقد قال أن أبوه لم يُعطه أي شيء مثلما فعل مع أخيه الضال. كم هذا محزن! كان كل ما حوله من دلائل يؤكد على محبة أبيه، فقد كان أبوه يعوله يوميًا بعد يوم. أما الابن الأصغر ذهب بعيدًا عن المنزل، ما فعله كان مريعًا، لقد كان ضالًّا؛ وهو ما أحزن الأب وجعله ينتظر عودة ابنه إلى المنزل. وعندما عاد لم يستطع الأب إلا أن يرحب به. لم يهتم أبوه بقذارته، بل ركض ليرحب به ويُطوّقه بذراعيه.

كان الابن الأكبر ضالًّا أيضًا، هو فقط لم يترك المنزل، كان ضائعًا في كبريائه. في الحقيقة لقد حكم على نفسه أيضًا. لاحظ كم كان يرفع من شأن نفسه بقوله: «هَآ أَنَا أَخْذِمُكَ سِنِينَ هَذَا عَدْدُهَا، وَقَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ». لقد كان يشبه الفريسي في صلاته، الذي عندما كان يصلي يقوم بتلاوة قائمة بكل الأمور التي لم يفعلها العشار الذي كان يقف بالقرب منه؛ وبالمثل أيضًا لم يفعل الأخ الأكبر ما فعله أخوه، لكنه كان ضائعًا على أي حال. فهو كان ضائعًا عن محبة أبيه، وضائعًا في كبريائه فأصبح يرى كل شيء من خلال عين مشوّهة.

هل كان الأخ الثاني (الأكبر) سعيدًا؟ بالكاد يمكننا أن نقول ذلك، فقد كان يشعر بالمرارة. مع أنه كان يعيش في بيته، إلا أنه كان بالحقيقة خارجه.

هو لم يذهب بعيداً أبداً، ولكن قلبه كان مبتعداً بعيداً. إن الابن الأصغر عاد إلى المنزل، بينما لم نر أي تسجيل عن رجوع الابن الأكبر لبيته أبداً. فقد كان يعيش في حظيرة خنازير الكبرياء دون أن يعلم. فإن كانت ملابس أخيه ينبعث منها رائحة كريهة، إلا أن معطف الكبرياء كانت رائحته أكثر بشاعة.

يصبح الشخص في أكثر موقف خطير يمكن تخيله عندما يمتلكه الكبرياء. يقول الكتاب المقدس: «قَبْلَ الْكَسْرِ الْكِبْرِيَاءُ، وَقَبْلَ السَّقُوطِ تَشَامُخُ الرُّوحِ» (أمثال ١٦: ١٨). في الكبرياء يكون الشخص واقفاً بالقرب من منحدر عالٍ بينما هو لا يعلم. يُطلق سي إس لويس C. S. Lewis على الكبرياء «الخطية العظيمة». فهي الخطية التي أبقت الكثيرين بعيداً عن الله معتمدين على ذواتهم وإنجازاتهم. ففي كبريائهم يصبحون آلهة أنفسهم، فيُصبح الكبرياء كسجن لهم يسد الطريق نحو الله.

٢- لقد فوّتَ الحفل بسبب تظاهره

كان باراً في عيني نفسه. اعتقد أنه - بالمقارنة بأخيه - يتفوق عليه بعدة درجات، فكان يثق في برّه الذاتي. يمكننا دائماً أن نقارن أنفسنا بشخص أسوأ منا. فقد يقارن مسجونان أحدهما بالآخر، فقد يكون أحدهم قد دخل إلى السجن بسبب ارتكابه جريمة قتل، بينما آخر بسبب السرقة، وآخر لأجل تجارته في المخدرات، وآخر بسبب الاستغلال الجنسي للأطفال. وفي عقولهم، يفكر كل منهم أنه أفضل من الآخرين ممن حوله في السجن. فيقول القاتل: «على الأقل أنا لم أعتد على الأطفال، وهذا أمر فظيع»، بينما يقول الشخص الذي سرق الممتلكات: «على الأقل أنا لم أقتل أحداً».

إننا نتظاهر بأننا أفضل من الآخرين. جميع الحالات التي ذكرتها أعلاه كانت لأشخاص بداخل السجن. ورغم أن جرائمهم كانت مختلفة، إلا أن جميعهم كانوا يقضون فترة عقوبتهم داخل السجن بصرف النظر عن تظاهريهم أو مشاعرهم الشخصية. قد نتظاهر بأننا أفضل من الآخرين، وقد يلتمس الناس العذر لأنفسهم قائلين: «أن هناك أشخاص منافقون بداخل الكنيسة»، ولكنك سوف تلتقي بأشخاص منافقين في كل مكان. هناك فارق بين من يُخفق بينما يحاول أن يخدم الله، ومن يخفق ولا يحاول أن يخدم الله.

ماذا يقول الكتاب المقدس عن البر الذاتي؟ «وَقَدْ صِرْنَا كُلُّنَا كَنَجَسٍ، وَكَتَوَّبِ عِدَّةَ كُلِّ أَعْمَالٍ بِرَّنَا، وَقَدْ ذَبَلْنَا كَوَرَقَةٍ، وَأَتَّامُنَا كَرِيحٍ تَحْمِلُنَا» (إشعياء ٦٤: ٦). لا يبدو هذا الأمر كشيء ترغب في الاعتماد عليه أو أن تضعه كأساس لحياتك. فالبر الذاتي يشبه ثوبًا غير نظيف أو ورقة شجر ذابلة.

لقد وُجِّهت أقسى كلمات يسوع نحو مَنْ وثقوا في برهم الذاتي. لقد انتقد بعض الناس يسوع لأنه كان يحتفظ بصحبته مع «الخطاة»، ولكنهم بالطبع لم يعتبروا أنفسهم ضمن الخطاة، وهكذا فعل الابن الأكبر. لقد حفظ الفريسيون الشريعة إلى أقصى درجة، حتى أنهم أضافوا لها بعض الأشياء. فعلى سبيل المثال، كانوا يمتنعون عن القيام بأمور كثيرة في يوم السبت لأنهم كانوا يعتبرونها كعمل، ولذلك فهم انتقدوا يسوع لأنه شفى أناسًا في يوم السبت. الابن الأكبر كان يشبه الفريسيين.

في برنا الذاتي يتوجب علينا أن نفعل كل ذلك. إن الابن الأكبر لم يشعر بفرح الحرية، ولم يشعر بفرح كونه ابنًا، فقد كان عبدًا دون أن يعلم. كل

شيء كان يبدأ وينتهي به، لذلك لم يكن لديه متسع للحب الذي كان عند أبيه. لقد كانت محبة أبيه معطاة ومشاركة ومضحية، ولكن الابن الأكبر لم يكن كذلك. كان يعمل بصفة مستمرة، ولم يكن يعرف أبداً متى ينبغي عليه التوقف. إن السلام يأتي من قبول بر المسيح، فنتحول من برنا الذاتي لاستقبال برِّه. وكمثل الابن الضال يُلبسنا الآب رداءً جديداً، وهذا الرداء هو رداء البر.

يمكننا أن نمضي في حياتنا متظاهرين ببر لا نملكه. لقد اكتشف بولس أن برنا ليس كافياً عندما نقف أمام إله قدوس. فبعدما تقابل مع المسيح، اعتبر أن برِّه الذاتي هو «نفاية» و«بلا قيمة»، فما نحتاج إليه هو البر الكامل، نحن نحتاج إلى بر يسوع نفسه، وهذا هو ما دعا يسوع إلى المجيء إلينا، وأن يعيش هنا، وهو مات وقام من بين الأموات لأجل ذلك. هل أنت مُعطى ببر يسوع المسيح؟

٣- لقد فوّت الحفل لأجل شفقتة على ذاته

بالتأكيد الابن الأكبر هو أحد أكثر الأشخاص إثارة للشفقة في الكتاب المقدس. لقد كان أخوه يحتاج للشفقة، إلا أن الابن الأكبر لم يشعر بشفقة نحو أخيه، كان يشعر بالشفقة على نفسه فقط، كان يشعر بالأسى لأجلها. ومع أن الابن الأكبر كان يستمتع بخيرات أبيه، فقد تصوّر نفسه محروماً، كما أنه كان غاضباً من أخيه ولم يُرد أن يسامحه. لو كان هناك حباً في قلبه لاختلفت الأمور، ولكنه لم يستطع أن يرى سوى نفسه.

إن قلب الله مليء بالشفقة والحب، فعندما عاد الابن الأصغر، لم يطلب منه الأب أن ينظف نفسه أولاً، أو أن يعيد إليه كل ما بدده من نقود؛ كما أنه

لم يرسله خارجًا ليعيش مع العبيد، بل رحب به وأقام احتفالاً له، وهذه صورة لتعامل الله معنا. يقول الكتاب المقدس أنه يوجد فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب. السماء كلها تبتهج، فالآب يرحب بنا ويُلبسنا رداء ابنه المصنوع لأجلنا، ويحضرنا إلى منزله، لكي تبدأ الاحتفالات.

قال الأب أن ابنه الأصغر كان ضالًا وميتًا، ولكن قصة الابن الأكبر هي الحدث الأكثر مأساوية، فقد كان ضائعًا وميتًا داخل المنزل. بدون المسيح نحن «أموات بالذنوب والخطايا»، وهذا يعني أننا منفصلين عن الله. فقد نمشي في شوارع مدننا بحرية، ولكننا نظل رجالًا ونساءً أمواتًا روحيًا. إن الابن الأكبر كان ميتًا وهو حي، لقد كان ميتًا عن محبة أبيه، ولم يعرف نفسه، فهناك حكمة تقول «اعرف نفسك». كما أنه لم يعرف أخاه ولم يعرف أباه.

إن الابن الأكبر هو الابن الضال الحقيقي، هو لم يترك بيته أبدًا، ولكنه لم يكن في بيته أبدًا. لقد كان كل شيء متاحًا من حوله لكي يستمتع به، ولكنه لم يجد الفرح. كان الحفل قائمًا، وهناك رقص واحتفال ولكنه لم يُرد أيًا من ذلك. وكان ذلك بسبب كبريائه وتظاهره وشفقته على ذاته. فهل ستفوّت الحفل؟ أنت مدعو. إنك لا تستطيع أن تحضر بعض الحفلات حتى إن أردت ذلك، ولكن حفل الله ليس كذلك. يمكنك أن تأتي، فهو حفل النعمة. هل تأتي؟

الفصل الحادى عشر

خلق الله كل الاشياء

«فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» «وَرَأَى اللَّهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ
فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا سَادِسًا. فَأَكْمَلَتِ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَكُلَّ جُنْدِهَا» (تكوين ١: ١، ١٠: ١ - ٣١: ١ - ٢: ١)

الله هو خالق كل الأشياء. وبدون أن نعلم هذا، لا يمكن لباقي الأمور أن تتلاءم معًا. إنها الحقيقة التي تناساها أو تجاهلها البعض. فلا تستطيع أن تقرأ الكتاب المقدس بدون أن تسمع هذه الرسالة، فهي تشبه سيمفونية عظيمة تتكرر بها النغمات من خلال الحركات المختلفة. فنقرأ في (مزمو ٦: ٣٣) «بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ، وَبِنَسَمَةٍ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا»، كما أعلن الأنبياء أيضًا عن هذه الحقيقة «فَبِمَنْ نُسَبِّحُوتَنِي فَأَسَاوِيَهُ؟» يَقُولُ الْقُدُّوسُ. أَرْفَعُوا إِلَى الْعَلَاءِ عُيُونَكُمْ وَأَنْظُرُوا، مَنْ خَلَقَ هَذِهِ؟ مَنْ الَّذِي يُخْرِجُ بَعْدَ جُنْدِهَا، يَدْعُو كُلَّهَا بِأَسْمَاءٍ؟ لِكثَرَةِ الْقُوَّةِ وَكَوْنِهِ شَدِيدِ الْقُدْرَةِ لَا يُفْقَدُ أَحَدٌ» (إشعياء ٤٠: ٢٥-٢٦).

يعتقد البعض أن العلم قد ألغى الحاجة إلى وجود خالق، ولكن هذا الأمر ليس صحيحًا، فالعلم يدرس فقط ما صنعه الله. إن القنوات الخاصة بنظرية التطور تتغير، حتى أن بعض العلماء لم يعودوا يؤمنون بها، كما أن

اكتشافات العلم تشير إلى وجود بداية؛ فسواء كانت جزيئات صغيرة من الخليقة لا يمكن أن تُرى سوى بالميكروسكوب، أو أجسام سماوية بعيدة في الفضاء لا يمكن أن تُرى إلا بالتليسكوب، فجميعها تشير إلى وجود خالق. الله خالق عظيم، وهذه حقيقة هامة تُخبرنا ببعض الأمور الهامة عن الله. فبماذا تخبرنا هذه الحقيقة عن الله؟

١- تخبرنا تلك الحقيقة بأن الله يختلف عن الخليقة

الله كائن (موجود) من قبل الخليقة. فقبل أن توجد الأرض أو أي من المجرات في الفضاء، كان الله موجودًا. قبل ظهور الخليقة كان الله ما زال هناك لأنه أزلي أبدي. لم يكن الله وحيدًا لأن الإله الواحد كان موجودًا في صورة الآب والابن والروح القدس. إن الله يختلف عن الخليقة كما يختلف الفنان عن اللوحة التي يرسمها، وكما يختلف المهندس عن المبنى الذي يقوم بتصميمه، أو الشاعر عن القصيدة التي يكتبها. هناك اختلاف شاسع بين ما صنعه الله وبين ما يكونه الله بالفعل. وإذا لم يتم هذا التمييز، سوف نقع في أخطاء جسيمة.

إننا نرى الكثير من الأخطاء الفادحة في التاريخ، فقد يعبد الناس أحيانًا أشياء مصنوعة ويصنعون آلهة من أشياء مخلوقة. وتأخذ تلك العبادة عدة أشكال: ففي بعض الأحيان كان الناس يعبدون الشمس، أو يعبدون شجرة أو أي جسم من الطبيعة. لا تفرّق الهندوسية بين الخليقة والخالق، فهي تؤمن أن جميع الأشياء هي جزء من الله. وتقع البوذية في خطأ مشابه، وهذا يفسر لماذا يعبد الناس الأموات، فهم يعتقدون أن الشخص الراحل قد أصبح جزءًا من الله.

وتنشأ أخطاء بالغة أخرى من تلك المعتقدات، وهي تعاليم العصر الجديد والتي تُفيد بأن جميعنا آلهة؛ ومن ثم يُفقد التمييز بوجود كائن أعظم وهو الخالق، فيبدأ الناس بعبادة أنفسهم أو عبادة أحدهم الآخر، بل وتقودهم تلك العبادة إلى الوثنية. إن الوثنية هي عبادة أي شيء بخلاف الخالق، والكتاب المقدس يدينها بشدة، حيث تقول إحدى الوصايا العشرة «لَا يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي». إن جميع الديانات الوثنية لديها آلهة خاصة بها، وكان اليهود يُغَوِّونَ دائماً بأن يصنعوا آلهة لأنفسهم. إن الناس يريدون إلهًا يرونه ويتحكمون به.

إن الوثنية هي اعتبار أن الصورة هي الفنان والتحدث إليها بدلاً منه؛ فهي تشبه زوجة تحب المنزل الجديد الذي بناه زوجها كثيراً حتى أنها لم تعد تتحدث إلى زوجها، بل وبدأت تدعو منزلها باسم زوجها وتتحدث إلى المنزل بدلاً من زوجها نفسه. عندما كنت أعيش في اليابان، أتت امرأة إلى منزلي في أحد الأيام تريد أن تعرف إن كنت أرغب في شراء «إله السعادة». قد تكون تلك المرأة قد باعت هذا الإله لبعض الناس في هذا اليوم، ولكنها مجرد دمية عديمة الجدوى مصنوعة من أخشاب من الطبيعة. إن أعظم اللصوص في العالم هم من يعبدون الخليقة وليس الخالق، فالخالق العظيم هو وحده من يستحق العبادة.

يكتشف علماء الفلك دائماً مجرات جديدة في الفضاء، وهم ينظرون في الفضاء إلى ما هو أبعد وأبعد؛ وتشير جميع تلك الاكتشافات إلى عظمة خالقنا. يقول سفر إشعياء أنه يدعو النجوم بأسمائها؛ قد نستطيع أن نرى

في إحدى الليالي الصافية حوالي ثلاث آلاف نجمة بالعين المجردة، ولكن هذا العدد هو بالكاد البداية؛ حيث يخبرنا العلماء أن عدد النجوم في السماء يفوق عدد حبات الرمل على الأرض. إنها حقائق مذهلة للعقل. عندما نرى تلك النجوم اللامعة في الليل ينبغي علينا أن نمجد أبا الأنوار، وعندما نرى الزهور ذات التنوعات الهائلة، فلنمجد خالقنا الجميل.

كتب جاي بي فيليبس J. B. Phillips كتابًا شهيرًا بعنوان «إلهك صغيرًا أكثر مما ينبغي». إن الإله الذي نعرفه هو الإله الحي الذي خلق كل الأشياء، وعظمته تفوق إدراكنا ودرجة استيعابنا. هو ليس تميمة معلقة في سلسلة أو خرافة من الماضي. إنه الخالق الذي بدونه تتفكك جميع العناصر. نحن نعتمد عليه في كل نفس نأخذه. قد ينكر الناس وجوده، لكنهم يظلون يعتمدون عليه في وجودهم المادي.

٢- تخبرنا تلك الحقيقة بأن الله شخص فاعل

إنه لأمر غريب ما نسمعه من أفكار لدى الناس عن الله. وقد تتساءل من أين أتى الناس بتلك الأفكار. بالتأكيد إن الكثير منها لم يأت من الكتاب المقدس. يفكر الكثير من الناس في الله على أنه فراغ شاسع أو ليس شخصًا محددًا. إنهم يفكرون في الله باعتباره مجرد قوة مؤثرة؛ كما يعتقد بعض الناس أن الله هو شخص مثلنا تمامًا إلا أنه يمتلك المزيد من القوة. لكنك لن تجد أبدًا تلك الأفكار في سفر التكوين الإصحاح الأول أو في بقية الكتاب المقدس. إن الإنسان غالبًا ما يخترع آلهته الخاصة، وهي دائمًا ما تكون أقل كثيرًا من الله بحسب وصف كلمته.

الخالق هو الإله الحي، وهو شخص حقيقي. إن الكلمات المستخدمة في الفصل الأول من سفر التكوين تُظهر أنه شخص فاعل وَحَي. لاحظ بعض الأفعال المذكورة «وقال الله» «وعمل الله» «ورأى الله»، فتلك الأمور جميعها يقوم بها شخص. إنه شخص يخلق وليس قوة عمياء. يصف الإصحاح الأول الأشياء الكثيرة التي صنعها الله، مشيرًا إلى أنه قد صنع الإنسان على صورته كتتويج لعمل خليقته «فَخَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللَّهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ» (تكوين ١: ٢٧). إن وجود الإنسان ليس حادثًا، كما أن الكون ليس من نتاج الصدفة؛ هناك شخص يقف خلف كل هذا، إنه الإله الحي.

إذا قلت لك أن هناك طفلًا رضيعًا قد وُلد من الصخور، سوف تضحك. وإن قلت لك أن سيارة جديدة قد ظهرت للتو لأن أحدهم قد ألقى بكل المعادن في الهواء فأخرجت لنا تلك السيارة، سوف تظنني مجنونًا. لقد أوضح سي إس لويس C. S. Lewis أن الله حقيقي أكثر بكثير منّا نحن، حتى أن وجوده هو أكثر تماسكًا من وجودنا، لكننا غالبًا ما نظن العكس، وذلك لأن الخالق ينبغي أن يكون حقيقي أكثر من خليقته. الله هو الإله الحي الذي يتفاعل في التاريخ. الله أعظم من كل الخليقة ولكنه لم يخلق فقط كل الأشياء ثم تركها وشأنها، بل هو فاعل في الخليقة وهو يحمل كل الأشياء معًا.

الله ليس هو الخليقة، ولكنه مبدع الخليقة بصنعة يديه. لقد دخل المسيح إلى الخليقة وأصبح إنسانًا، وقد صُلب على نفس الشجرة التي صنعها، وقُتل بيد الناس الذين أعطاهم نفسًا وحياءً. وقد تتساءل إن كان إيماننا

بأن الله هو شخص أمراً ذو أهمية أم لا. إنه أمر في غاية الأهمية؛ فطريقة تعاملك وتفكيرك حول شيء ما تختلف كثيراً عنها نحو شخص.

٣- تخبرنا تلك الحقيقة بأن الله قد خلق كل شيء حسناً

اعتقد اليونانيون بفكرة أن المادة هي شر، وأن الإنسان يحتاج إلى أن يهرب منها. وقد نشأت تلك الفكرة بسبب الطريقة التي نفكر بها حول الأشياء. إن الأشياء التي خلقها الله حسنة، وقد كان الله مسروراً بها. قد نعتقد أن الأشياء المادية هي مشكلة الإنسان، كما قد نعتقد أن أجسادنا هي المشكلة، ولكن كيف يراهم الله؟ «وَرَأَى اللَّهُ ذَلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ» (الآيات ١٠، ١٢، ١٨، ٢٥). خلق الله عالماً رائعاً، فما هو الخطأ الحادث اليوم؟

إنه عالم ساقط، لقد أصابت الخطية البشرية، بل والنظام المخلوق. تقول رسالة رومية أن حتى الخليقة تن وتتمخض. وإن كان هذا العالم الساقط لديه مثل هذا الجمال متبقياً لديه، تخيل كم كان شكله بالأحرى في جماله النقي. إن الأشياء المادية ليست سيئة في حد ذاتها، فهي قد أعطيت لنا لكي نستخدمها. كما أن أجسادنا ليست سيئة ولكن قد يساء استغلالها واستخدامها أو تتعرض للأذى؛ ولكن الله هو خالق أجسادنا. كمؤمنين فإن جسدكم هو هيكل للروح القدس، ومن الخطأ أن ندمر أجسادنا، فنحن وكلاء عليها وعلى الأشياء المادية في الخليقة. هناك خطر عظيم قائم بأننا يمكننا أن ندمر جزءاً كبيراً من الأرض بسبب طمعنا.

إن كل الخليقة هي كتاب لنا لكي نقرأه، فيمكننا أن نرى من خلالها حكمة الله وصلاحه «السَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللَّهِ، وَالْأَفْلاكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ

يَدِيهِ» (مزمور ١٩: ١). وبغض النظر عن إذا كان يمكننا قراءة كتاب أم لا، فالله دائماً ما يتحدث إلينا من خلال الأشياء التي صنعها. إن كل الخليقة تُشير إلى وجود خالق، تماماً كما يُشير أي كتاب إلى وجود مؤلف. وإن لم تقودنا الخليقة إلى الخالق، فإننا لا نكون قد قرأنا الرسالة؛ وهي تخرج إلينا في كل صباح ومساء. هي ليست موجودة فقط في السماء، ولكن كل شيء نراه في الطبيعة يُظهر لنا بصمات الخالق. الله صالح وكل ما صنعه هو حسن.

خلق الله كل الأشياء، لذلك فنحن نعلم أنه أعظم من الأشياء التي صنعها ومختلف عنها. كما نعلم أنه شخص فاعل وأن ما صنعه هو حسن. إننا قد نتحدث أحياناً عن إنسان عمل على خلق شيء ما، ولكننا في الحقيقة لا نخلق أي شيء. إننا ببساطة نستخدم الأشياء التي خلقها الله لكي نصنع بها أشياء. الله خلق كل شيء من عدم، هو تكلم فكان.

ولأن الله هو الخالق ينبغي أن ننحني أمامه في العبادة، وأن نعطيه الكل. هذا الخالق الرائع قد أظهر نفسه لنا من خلال يسوع المسيح. ونحن الآن نعرف الله، ليس فقط كخالق بل أيضاً كأبينا السماوي. الخالق هو مخلصنا!

الفصل الثاني عشر

حقيقة السماء

«تُمْ رَأَيْتَ سَمَاءَ جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً، لِأَنَّ السَّمَاءَ الْأُولَى وَالْأَرْضَ الْأُولَى مَضَتَا، وَالْبَحْرُ لَا يُوجَدُ فِي مَا بَعْدُ. وَأَنَا يُوحَنَّا رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُهَيَّاةً كَعَرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا. وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا: «هُوَذَا مَسْكَنُ اللَّهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، وَاللَّهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلَهًا لَهُمْ. وَسَيَمَسَحُ اللَّهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لَا يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلَا يَكُونُ حُزْنٌ وَلَا صَرَاحٌ وَلَا وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لِأَنَّ الْأُمُورَ الْأُولَى قَدْ مَضَتْ». وَقَالَ الْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ: «هَا أَنَا أَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ جَدِيدًا!». وَقَالَ لِي: «اُكْتُبْ: فَإِنَّ هَذِهِ الْأَقْوَالَ صَادِقَةٌ وَأَمِينَةٌ» (رؤيا ٢١: ١-٥)

ماذا تشبه السماء؟ قال بعض الناس أنهم قد ماتوا وذهبوا إلى السماء، وكتبوا كتبًا واصفين بها ما يُفترض أنهم قد رأوه وسمعوه هناك؛ ولكن بعض الروايات تختلف تمامًا عما يقوله الكتاب المقدس. ربما أفضل ما يمكن أن نقوله عن خبرات الاقتراب من الموت تلك هو أن بعض الناس كانوا قريبين من السماء ولكنهم بالتأكيد لم يموتوا بالمعنى النهائي. لقد كان لدى بولس الرسول تحفظًا كبيرًا عندما تحدث عن خبرته، وفي الحقيقة لقد قال إنه قد

أُخبر بالآلا يتحدث عن الأمر. كذلك لا يوجد تسجيل في الكتاب المقدس عما رآه الأشخاص الذين عادوا إلى الحياة مثل لعازر أو ابن الأرملة.

عندما تستمع إلى قصص بعض الناس، قد تعتقد أن السماء هي استكمال للحياة هنا على الأرض، فهم يتحدثون مستخدمين مصطلحات مادية بحتة. بينما هناك آخرون يعتقدون أن السماء هي وجود غامض ومليء بالطيوف. أنا أعتقد أن الفكرتين خاطئتين، فالسماء مكان حقيقي ولكنه يختلف عن أي مكان قد ذهبنا إليه من قبل، كما أنني لا أعتقد أنها تقع على كوكب في الفضاء الخارجي؛ وكذلك فأنا لا أؤمن بأننا سوف نذهب في رحلة طويلة إلى أعماق الفضاء لكي نصل إلى هناك. فالسماء هي بُعد مختلف تمامًا. أنا أعتقد أن هذا الأمر يشرح الكثير مما في الكتاب المقدس، فهو يفسر كيف استطاعت الملائكة أن تظهر وتختفي بتلك السرعة، كما تفسر ظهورات يسوع بعد القيامة. وهذا يعني أن السماء قريبة منا، فعندما نموت نحن ننتقل ببساطة إلى بُعد آخر.

إن أفضل وصف للسماء في الكتاب المقدس يمكن أن نجده في الإصحاحين ٢١ و ٢٢ من سفر الرؤيا. فمن خلالهما نتعلم أن السماء تشبه المدينة، وأنها أيضًا تشبه الحديقة. إن اللغة البشرية تصل إلى أقصاها لكي ترسم صورةً عن السماء. إذ كيف يمكنك أن تصف جمال الأرض والحياة هنا لطفل جنين في رحم أمه؟ إن ذلك مستحيل. هذا الأمر يشبه كثيرًا حديثنا عن الذهاب إلى السماء. فما يمكننا قوله: أن السماء مكان حقيقي وأنها أكثر روعة جدًّا مما نستطيع أن نفهمه نحن الآن!

١- السماء مكان جديد

لقد رأى يوحنا سماء جديدة وأرضًا جديدة. إن كلمة «جديدة» تخبرنا بأنها ستكون مختلفة، ولكن هذا لا يعني أنها ستكون مختلفة تمامًا، فسيكون هناك شيء من الاستمرارية. يؤمن العديد من علماء اللاهوت بأن هذا الكون الحالي سيكون له ولادة جديدة وسوف ينضم إلى السماء؛ بينما يعتقد آخرون أن الله سوف يصنع شيئًا جديدًا تمامًا، أي أنها ستكون جديدة تمامًا بالنسبة إلينا.

ما هو الشيء الأروع في السماء؟ أن الله سيكون هناك، فهو جاذبية السماء. وخلال تلك الحياة الجديدة سيعيش الله معنا ويكون معنا بطريقة جديدة. ومن ثم، فالسما هي مكان مقدس، وهناك لن يوجد مكان للخطية. ألن يكون رائعًا أنك لن تضطر إلى التعامل أبدًا مع مشكلة الخطية مرة أخرى؟ يمكننا أن نكون متأكدين أننا لن نواجه الإغراءات أو الخطايا في محضر الله القدوس، وستكون الخطية شيئًا من الماضي، إذ أن عقولنا وأرواحنا وأجسادنا سوف تصبح مقدسة. فالخطية هي ما تسبب الكثير من البؤس في هذه الحياة، ولذلك فهي غالبًا ما ترتبط بالمعاناة وحتى الموت.

الشيء المدهش عن السماء أنه لن يكون هناك دموع أو حزن أو موت أو ألم. تخيل مكان مثل هذا! إن جزءًا كبيرًا من الحياة الإنسانية هنا يمكن أن ينقضي من خلال تلك الأمور الأربعة: الدموع والحزن والألم والموت. ويختبر بعض الناس واحدة منهم أكثر من الباقين، ولكن يتلامس جميعنا مع تلك الأمور بطريقة أو بأخرى. إن السماء تختلف جدًّا عن الأرض، حتى أن الكلمات السلبية تُستخدم لوصفها «وَأَلْبَحْرُ لَا يُوْجَدُ فِي مَا بَعْدُ» لماذا يقول

الكتاب المقدس ذلك؟ لأن البحر كان يُعَدُّ فاصلاً عظيمًا ويمثل صعوبة لدى الأشخاص القدامى؛ كما أنه كان يتميز بالغدر، وقد فصل بين أمم وشعوب.

هناك ترنيمة أُحِبُّهَا كثيرًا لكارمن Carmen، وتقول التالي عن الوجود مع المسيح في السماء «إن الوجود معه هو أن أحصل على كل شيء قد أردته يومًا، أن أكون أي شيء قد تخيلته يومًا، وأن أصل إلى أي مكان حلمت بالذهاب إليه يومًا». هذه الترنيمة من ألبوم ترانيم بعنوان «مدمنة ليسوع» واسم الترنيمة هو «السماء الثالثة».

لن تكون السماء مكانًا مملًا، بل أنها سوف تكون جديدة دائمًا بالنسبة إلينا. كيف تكون مملة عندما نقرأ تلك الكلمات من سفر الرؤيا «هَا أَنَا أَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ جَدِيدًا!» (رؤيا ٢١: ٥). إن الأشياء تشيخ هنا، فحتى أجسادنا تشيخ، لكنها لن تكون كذلك في السماء، كل الأشياء ستكون يانعة، ولكننا هنا قد نكون مُقَيَّدِينَ بأجسادنا وعقولنا. تأمل هذا الوعد الرائع: «مَنْ يَغْلِبْ يَرِثْ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَكُونُ لَهُ إِلَهًا وَهُوَ يَكُونُ لِي أَبْنًا» (رؤيا ٢١: ٧). هناك بعض الأماكن التي لا نستطيع أن نذهب إليها هنا، وأيضًا بعض الأمور التي لا يمكننا أن نفعلها، ولكن تخيل كيف سيكون الأمر أن تمتلك جسدًا جديدًا دائم الشباب، جسدًا لا يمكن أن يمرض أو يموت؟

٢- السماء مكان جميل

يستخدم الكتاب المقدس كثيرًا كلمة النور لكي يعبر عن مجد الله. إن السماء مدينة النور. لقد رأى يوحنا أورشليم الجديدة نازلة مثل عروس متزينة لعريسها؛ فهي مدينة تمتلئ أرجائها بالنور. إن جواهر تلك المدينة

تعكس نورها، وشوارعها من الذهب النقي، ولن تكون هناك حاجة إلى القمر أو الشمس «وَالْمَدِينَةُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى الشَّمْسِ وَلَا إِلَى الْقَمَرِ لِضِيئِهَا، لِأَنَّ مَجْدَ اللَّهِ قَدْ أَنَارَهَا، وَالْخُرُوفُ سَرَّاجُهَا» (رؤيا ٢١: ٢٣). سوف لن يكون هناك ليل. إن الوقت الأصعب لدى بعض الناس خلال اليوم هو الليل، فهو وقت تحدث فيه أمور سيئة؛ فغالبًا ما تتم الجرائم ليلاً. الليل أيضًا هو وقت للاستراحة من إرهاق العمل، ولكن في السماء سيكون هناك دائمًا راحة مثالية، فلا وجود لليل هناك.

ما الذي يجعل أي شيء جميلًا؟ إنها الطريقة التي بها تتوافق الأمور في وحدة. لن يكون هناك أشياء تشتت في السماء أو أمورًا غير مناسبة، أو أشياء في غير محلها، فكل الأشياء سوف تكون متناغمة في السماء. جميع الألوان والقياسات هناك هي كما يجب أن تكون. لقد رأى يوحنا المدينة المقدسة كمكعب مثالي، متساوي من حيث الطول والعرض والارتفاع. كما رأى يوحنا في هذه الرؤيا مدينة كاملة. هل يمكننا أن نأخذ كل تلك الأمور عن السماء بشكل حرفي؟ هل هناك شوارع من ذهب وبوابات مصنوعة من اللؤلؤ؟ إن كانت تلك الأشياء هي رموز، فهي تعني ببساطة أنها حقيقية أكثر من الأشياء المادية التي قد استخدمت لوصفها.

ما هو الجمال الذي نجده في هذه الحياة؟ إن الجمال في هذه الحياة يذبل سريعًا، فنحن نرى ورودًا جميلة، لكنها سرعان ما تفقد جمالها. كما نرى منزلًا جديدًا، لكنه سوف يحتاج إلى إجراء إصلاحات بعد سنوات قليلة، ونشتري سيارة جديدة لكنها سوف تبلى مع مرور الوقت. فالجمال هنا لا

يدوم لأن الأشياء هنا هي في حالة تفكك وتميل إلى السقوط والاضمحلال مهما كان مقدار جمالها. ولكن في السماء يكون الوضع معكوسًا، فهناك لا يوجد انحلال، بل الجمال يصير أكثر جمالًا.

جمال السماء آمن برغم أن بوابات المدينة مفتوحة طوال الوقت. في العصور القديمة كان لابد أن يتم غلق بوابات المدينة ليلاً لأجل الحماية من تهديدات الجيوش؛ لكن في المدينة السماوية لن يكون هناك تهديدات بالجرائم، لذلك فلا حاجة إلى غلق الأبواب أو أن يحمل أحد سلاحًا، كما لن يكون هناك حاجة أن يقوم رجال الشرطة بعمل دوريات في الشوارع، أو أن توجد سجون أو مستشفيات أو دور للجناز. لن نجد أحد يقوم بأفعال أذى في السماء كما لن توجد هناك إمكانية لحدوث أذى. بل ما سيكون هناك هو الأمان والمحبة في محضر الله إلى الأبد.

يتحدث سي إس لويس C. S. Lewis عن شوق الإنسان إلى الجمال، فيقول: «نحن نريد شيئًا آخرًا، بالكاد نستطيع التعبير عنه بالكلمات، نحن نريد أن نتحد بالجمال الذي نراه، وأن نعبر داخله، ونستقبله في أنفسنا، ونُغمّر فيه، وأن نكون جزءًا منه...» سوف يصبح كل هذا حقيقيًا في السماء، حيث سندخل إلى هذا الجمال، وسوف يكون الجمال حولنا بل وفي داخلنا أيضًا، كما سنصير جميعنا في صورة جميلة في نور السماء.

٣- السماء مكان غني ووفير

إحدى أكبر الاختلافات بين السماء والأرض هو أن السماء ستكون مليئة بالوفرة في كل شيء. فالذهب هنا هو معدن نادر، ولكن في السماء ستكون

الشوارع مرصوفة بالذهب. في الشرق الأوسط هناك ندرّة في المياه حتى أنه يتم تحويلها أحياناً من مياه البحر، ولكن في السماء ستتدفق المياه من عرش الله، لأنها نهر ماء الحياة. أيضاً هناك أماكن على الأرض ينذر بها وجود الطعام، بينما في السماء توجد شجرة الحياة التي تحمل ثماراً طوال العام.

إن ما قاله يسوع سوف يتم إدراكه واستيعابه في السماء؛ قال يسوع إنه جاء لكي يكون لنا حياة وأن توجد لنا هذه الحياة بوفرة، كما يتحدث الكتاب المقدس عن الحياة الأبدية، وتلك هي الحياة التي سوف نخبرها في السماء، حياة إلى الامتلاء. فلن يكون هناك أي شخص غير راضٍ عن حياته هناك، بل أن الحياة سوف تصبح أفضل وأفضل، بل وسيظهر أكثر فأكثر أموراً تستحق أن نحيا لأجلها. لن تسير الحياة في السماء وفقاً للتوقيّات الزمنية، إذ سيكون هناك وقت دوماً لكي نفعل ما نريده. أنا أؤمن أننا سوف نتعلم دوماً أكثر فأكثر عن الله، ولكننا لن نتعلم كل شيء، بل لن يكون هناك حدوداً لما يمكن أن نكتشفه في السماء.

إذا كنا نفكر في السماء باعتبارها مكان خامل، فإننا سوف نتفاجأ، لأن السماء لا تعني التقاعد وعدم فعل أي شيء، كما أنها ليست مكاناً للسير فوق السحب والعزف على القيثارات. بل ستكون هناك أنشطة مثيرة، حيث يقول الكتاب المقدس: «وَعَيِيدُهُ يَخْدِمُونَهُ» (رؤيا ٣: ٢٢)، مما يخبرنا أنه يوجد عمل لنعمله في السماء. تخيل الواعظ سبيرجون Spurgeon أننا سنذهب إلى كواكب بعيدة مبشرين بالإنجيل هناك. نحن لا نستطيع أن نعرف على وجه التأكيد ما هي الأنشطة التي يمكننا أن نقوم بها، ولكن يمكننا التأكد من

حدوث ذلك. فالسماء لن تكون منزلاً للتقاعد، بل أن كل عمل سنعمله هناك سيكون مُفرح لنا لأن أجسادنا وعقولنا لن تصبح ضعيفة.

إن السماء مكان فسيح وبالتأكيد هي ليست مكاناً للوحدة وسوف يكون هناك مكان للجميع، كما سوف نقابل أعداداً لا حصر لها من الأشخاص اللطفاء، وأيضاً سوف نرى أحبائنا، والذين قد يكون بعضهم أشخاصاً لم نراهم من قبل. إننا سوف نكون مع يسوع. تخيل أن تمشي مع يسوع وتنظر إلى وجهه. يقول الكتاب: «وَهُمْ سَيَنْظُرُونَ وَجْهَهُ». هناك حقيقة أخرى غير عادية قد تم ذكرها عن السماء، وهي أنه لن يوجد هناك كنائس أو معابد «وَلَمْ أَرْ فِيهَا هَيْكَلًا، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَ الْقَادِرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، هُوَ وَالْخُرُوفُ هَيْكُلُهَا» (رؤيا ٢١: ٢٢)، فكل مكان في السماء سوف يكون مكاناً للعبادة.

لن يكون هناك تقارير إخبارية حول عمليات القتل، أو أعمال الشغب، أو الأنشطة الإرهابية التي حدثت مؤخراً. على الجانب الآخر فقد نسمع موسيقى مجيدة، وقد ينضم إليها الملايين من منطقة أخرى لتمجيد الله. من الصعب أن نتخيل أن الأمر سيكون أشبه بوجود اتحاد في كل مكان والعيش في مكان فيه يحب كل شخص الآخر. لن يوجد في هذا المكان غيرة، أو نميمة، أو أنانية، أو كراهية. كذلك لن تكون العبادة استثناء في السماء، إذ ستظل موجودة دائماً بينما يستمتع أحدنا بالآخر بينما نخدم الله.

كيف نصل إلى السماء؟ لن يذهب كل شخص إلى السماء، بل سيشعر كثير من الناس بالتعاسة إذا ذهبوا إلى السماء؛ إذ ستبدو كالجحيم بالنسبة لهم. يسوع هو الطريق نحو السماء. وأنت تحتاج إلى تذكرة لكي تذهب إلى

السماء، يمكنك الحصول على هذه التذكرة من المسيح. وهذه التذكرة هي دمه، إنها علامة دمه الموضوعة عليك. بالإيمان نحصل على تذكرتنا إلى السماء، وهذه التذكرة ببساطة هي يسوع المسيح نفسه.

إن نهاية القصة ستكون هي الجزء الأفضل فيها لدى الشخص المؤمن. عندما استمعت ملكة سبأ إلى حكمة سليمان قالت: «فَهُوَ ذَا النِّصْفِ لَمْ أُخْبَرْ بِهِ». أيًا كان حجم معرفتنا عن السماء فإننا سوف نقول مثل ملكة سبأ عندما نصل إلى هناك: «هُوَ ذَا النِّصْفِ لَمْ أُخْبَرْ بِهِ». السماء مكان حقيقي وجديد وجميل وغني. إنها سوف تكون أعظم بكثير مما نرغب أو نتخيل.

الفصل الثالث عشر

وعود مطمئنة

«لَا تَخَفْ لِأَيِّ مَعَكَ. لَا تَتَلَفَّ لِأَيِّ إِلَهَكَ. قَدْ أَيْدَتَكَ وَأَعْنَتَكَ
وَعَصَدْتُكَ يَمِينِ بَرِّي» (إشعيا ٤١: ١٠).

قد يضطرب القلب بسبب كثير من الأشياء، فمن الممكن أن اضطرب بسبب الخوف. هناك الكثير من الأمور المروعة وغير الأكيدة في العالم الحاضر، وقد تؤدي خيبة الأمل في أنفسنا أو في الآخرين إلى القلق. والقلق يزعجنا؛ الكثير من القلق غير ضروري لكنه قد يؤدي إلى اضطراب عظيم. نحن اضطرب بسبب أمور من حولنا، أو أمور بداخلنا، أو حتى أمور لا نملك أن نسيطر عليها ومع ذلك تسبب ضيق شديد في قلوبنا.

تكلم يسوع عن ذلك الأمر قائلاً: «لَا تَضْطَرْبْ قُلُوبُكُمْ. أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ فَأَمِنُوا بِي» (يوحنا ١٤: ١)، ومثال ذلك ما واجهه بولس الرسول من مشكلات كثيرة في حياته وقد وثق العديد من هذه الأحداث؛ حيث عانى من تحطم السفن، والجوع، والاضطهادات وأمور أخرى كثيرة، حتى أن حياته كانت تتعرض للخطر؛ ومع ذلك تعلم أن يكون مطمئناً وسط كل هذه الضيقات، وذلك لأنه عرف وعود الله واستمد منها قوته. ويمكن تلخيص كل ما تعلمه بولس في عبارة واحدة هي: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي (نعمة الله)» وكذلك توجد في إشعيا وعود تجلب الطمأنينة في أي وقت.

١- حضور الله

غالبًا ما نشعر بالوحدة الشديدة عندما نكون وسط مشكلة ما ولا نجد أحدًا بجانبنا، فنبداً في التفكير في محنتنا التي تتفاقم مع الوقت وتتغلب علينا، حتى قبل أن ندرك ذلك. قد نشعر أيضًا بالوحدة الشديدة أثناء المرض الذي يستمر لفترة طويلة حتى أننا نتساءل ما إذا كنا سنتعافى منه يوم ما أم لا، لدرجة أنك قد تقطع زيارتك لأصدقائك وعائلتك أثناء إصابتك ببعض الأمراض. كذلك بسبب الموت يكون هناك شعور قوي بالوحدة، حين يرحل الشخص الذي تشاركنا معه لحظات الحياة. في مثل هذه الأوقات يحاول أصدقاؤنا تعزيزتنا ولكنهم لا يستطيعون ملء الفراغ الذي تركه الراحلون في قلوبنا.

مذهل ذلك الشعور بالقوة الذي يبداً الشعور بالوحدة حين يكون هناك صديق يساندنا؛ فعلى الرغم من أنه من الممكن ألا يقولوا شيئاً مميزاً إلا أن وجودهم يعني الكثير. غالبًا ما يتضح ذلك عند موت أحد الأقارب، فقد لا نعرف ماذا نقول أو لا نجد الكلمات المناسبة، ولكن مجرد حضورنا في هذا الحدث يتحدث أعلى بكثير من كلماتنا. وإذا كان وجود الأصدقاء الأرضيون يعني الكثير فكم بالحري سيكون وجود الله.

أراد الله أن نفهم ذلك لأنه يكرر وعده بالحضور عدة مرات في الكتاب المقدس. نحن نميل إلى نسيان وعوده بالحضور عندما تجري الأمور على ما يرام، ونميل لأن نشكك في وعوده بالحضور عندما تسوء الأمور من حولنا؛ ولكن حضوره ثابت دائماً في جميع الأحوال، فهو موجود سواء شعرنا بذلك أم لا. قبل صعود يسوع للسماء، وعد تلاميذه قبل صعوده وأكد لهم أنه لن يتركهم يتامى بل سيرسل لهم الروح القدس، فيكون معهم، ويكون بداخلهم ولن يكونوا

وحدهم أبداً. وأكد لهم ذلك مرة أخرى قبل صعوده إلى السماوات مباشرة وذلك في كلماته الأخيرة في إنجيل متى: «وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ».

تأمل في بركات وجود الله، شخص يحبنا أكثر من أي شخص آخر حاضر معنا. حضوره يعني حضور العريس، حضوره يعني حضور الأخ الأكبر، حضوره يعني حضور الصديق المقرب الذي يفهمنا، فهو حاضر معنا بشكل كامل. هو يعرف كل شيء عنا ويعرف أين نحن، لن يتركنا أبداً وسط مشكلاتنا، لأنه وعدنا قائلاً: «لَا أَهْمِلُكَ وَلَا أَتْرُكُكَ» (عبرانيين ١٣: ٥). يمكن للآباء أن يهجروا أطفالهم، ويمكن للأصدقاء أن يرحلوا عند وقوعنا في مشكلة، ويمكن للمديرين أن يتخلوا عنا عند ارتكابنا لخطأ جسيم في العمل؛ أما الله فلن يتخلى عنا أبداً. سيظل معنا كل حين حتى النهاية.

لا يقتصر حضور الله على مكان ما؛ فهو حاضر أينما ذهبنا. حضوره لا يحده توقيت؛ فهو حاضر في ذات اللحظة التي تقرأ فيها هذا الكتاب. أحياناً علينا أن نعترف مثلما فعل يعقوب عندما قال: «حَقًّا إِنَّ الرَّبَّ فِي هَذَا الْمَكَانِ وَأَنَا لَمْ أَعْلَمْ» (تكوين ٢٨: ١٦). تكمن المشكلة في الوعي، فأحياناً يقول الأشخاص في الكنيسة أن الرب حقاً يُظهر حضوره بوضوح في خدمة ما. بالطبع يظهر حضور الرب في كل خدمة، ولكن وعينا وإدراكنا هو الذي يختلف، فنحن لا نحتاج أن نصلي إلى الله ليحضر معنا لأنه بالفعل موجود، بل بالأحرى علينا أن نصلي لنكون نحن أكثر وعياً وإدراكاً بحضوره.

٢- اقتناء الله

ما هو أكثر شيء تُقدِّره من ممتلكاتك؟ قد يكون المنزل الذي تسكنه، قد

يكون بالنسبة لبعض الناس الحديقة أو مكان يمحون فيه، وقد تكون المزرعة التي يعمل بها المزارع بكل جدية؛ أما بالنسبة للشخص المسيحي المؤمن فلهذه ممتلكات أعظم بكثير من كل ذلك. وهذه هي الحقيقة المدهشة أن الله لنا بشكل أروع بكثير من امتلاكنا لأي شيء آخر. استخدم الكتاب المقدس العديد من كلمات الملكية الشخصية، يصرح الرب بوضوح قائلاً: «لَا إِلَهَ كَمَا أَنَا». ولاحظ أيضًا استخدام الضمائر الشخصية في هذه العبارات: «الرَّبُّ رَاعِيٌّ» و «الرَّبُّ نُورِي وَخَلَّاصِي» و «الرَّبُّ نَصِيبٌ قِسْمَتِي وَكَاسِي» و «اللَّهُ لَنَا مَلَجًا وَقُوَّةً».

لم تُستخدم الكلمات التي تعبر عن الملكية بشكل أناني على الإطلاق، بل هي كلمات تعبر عن الإيمان؛ ككلمات العشاق مثلما تقول الزوجة عن زوجها: «هذا زوجي». فالملكية هنا متبادلة. أي أن الله لنا ونحن أيضًا له. ويتم التعبير عن ذلك في: «حَبِيبِي لِي وَأَنَا لَهُ» (نشيد الأنشاد ١٦:٢) حيث يتحدث عن العلاقة الشخصية والتميز.

كيف يصبح الله إلهنا؟ يعلمنا الكتاب المقدس أننا في تمرد على الله، وإن لم يأخذ الله المبادرة، فلن يتثنى لنا أن نأتي إليه. لقد انفصلنا عن الله بسبب الخطية، ولا نستحق لطفه نحونا؛ ولكن الله أتى لنا في شخص ابنه، يسوع المسيح. جعل يسوع معرفتنا بالله ممكنة، فقرَّبنا إلى الله؛ وقد فعل ذلك عندما دفع الثمن من أجل خلاصنا واشترانا بدمه على الصليب. يُدَكِّرُنَا بطرس في رسالته الأولى أننا لم نُشْتَرِ بفضة أو ذهب لكننا اشْتَرِينَا بدم ثمين، دم الحمل الذي لا عيب فيه ولا دنس. هذا الحمل هو الرب يسوع المسيح. ما فعله يسوع يفتح لنا الطريق لنذهب إلى الآب. نحن نذهب من خلاله. لقد تأسست العلاقة مع الآب من خلال يسوع المسيح، وبها أصبحنا أبناء الله بالإيمان بيسوع المسيح.

٣- معونة الله

قد يترك الآباء في وصيتهم أموالاً كثيرة لتكون سنداً لأطفالهم؛ فهم يريدون أن يتأكدوا من عدم إصابة عائلاتهم بمكروه إذا حدثت أي مأساة. وقد أعطانا الله وعده بشكل متكرر بقوله: «قَدْ أَيَّدْتُكَ» و«أَعَنْتُكَ» و«عَصَدْتُكَ». قرأت ذات مرة عن عثور الشرطة على تسعة وعشرين طفلاً صغيراً في شقة متهدمة، وكانت حالتهم مروعة لدرجة أن البعض من هؤلاء الأطفال كان يتشاجر مع الكلاب للحصول على الطعام، وكانوا متروكين ومهملين. فألقت الشرطة القبض على أربع أو خمس أمهات. لكن الله ليس هكذا على الإطلاق فهو يرفع أولاده، وإن كنت تنتمي إلى الله فتأكد أنه سيعولك.

ما هي بعض الأشياء التي يمدنا بها الله؟ يمدنا الله بالقوة التي نحتاجها. نصبح أكثر وعياً بنقاط ضعفنا في مشاكلنا، فالإنسان ضعيف للغاية حتى في أحسن أحواله. إمدادات الله لا ينقصها شيء، وليست مؤقتة فهو يمدنا باحتياجاتنا بالكامل، وقد لا ترى طريقاً لهذه الإمدادات الآن لكن كما تقول التزيمة: «سَيَصْنَعُ اللَّهُ طَرِيقاً، عندما يبدو أنه لا يوجد طريق»، «فَيَمْلَأُ إِلَهِي كُلَّ أَحْتِيَاجِكُمْ بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي الْمَجْدِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (فيلبي ١٩:٤) وهذا عرض متجدد لا ينضب، بحسب غناه ليس بحسب قدرتي.

يوجهنا الله في مسيرتنا معه. فهو لا يضعنا على المسار ويطلب منا أن نعثر على الطريق بأنفسنا، لكنه يرشدنا ويقودنا خلال رحلتنا. هو يسير معنا بل ويسير أمامنا. هو يعرف الطريق ونحن نتبعه. قرأت مؤخراً كتاباً عن المزمور الثالث والعشرين حيث يشير الكاتب إلى أن الخراف تحتاج إلى راعٍ ليقودها. هذه الخراف تحتاج لشخص يجد لها مراعي خضراء ومياه عذبة. من ناحية

أخرى فإن الخراف حيوانات اعتمادية فهم يعتمدون على الراعي وكذلك نحن نعتمد على الراعي الصالح فهو يرشدنا ونحن نتبعه.

يوفر الله الحماية التي نحتاجها. فهو سيحفظنا، لا من الضيق بل وسط ضيقنا وأثناء الشك والتغيير، وسيقينا في الطريق الصحيح. لذلك بهذه الحقائق نستطيع أن نقول: «الرَّبُّ رَاعِيٌّ فَلَا يُعْوزُنِي» فهو يمنحنا الشبع في وقت الفقر، ويمنحنا بهجة في وقت الحزن، ويمنحنا النور في وقت الظلمة، وهو كل شيء بالنسبة لنا، كما كتب بولس: «الْمَسِيحُ الْكُلُّ»، وكما يعبر عن ذلك كاتب التزنية قائلاً: «طول الطريق مخلصي يقودني، فماذا أحتاج إذًا!». بعبارة أخرى، المسيح هو كل ما أحتاج فلا يوجد يوم مظلم إلا وأضاءه بنوره، ولا يوجد يوم محزن إلا وكان حاضرًا.

قد تفوق احتياجاتك قدرة البشر على المساعدة، لكنها لن تفوق قدرة الله على التسديد أبدًا. فحيثما يوجد وعد، يوجد يقين؛ مثلما يعطي الله القلب المضطرب وعدًا في (إشعياء ٤١: ١٠) حيث يشبه هذا الوعد الحصول على شيك على بياض مع التوقيع. التوقيع هنا هو توقيع الله. نستطيع أخذ كل ما نحتاج إليه وأكثر من بنك المملوكوت. هل نحتاج إلى الحكمة؟ فهو حكمتنا. هل نحتاج إلى القوة؟ نستطيع كل شيء في المسيح الذي يقوينا. هل نحتاج إلى مساعدة؟ هو إلهنا وهو ليس بعيدًا. لكنه معنا وهو لنا وبالتأكيد سيمدنا بما نحتاجه «كُفُّوا وَعَلِّمُوا أَنِّي أَنَا إِلَهُ» (مزمور ٤٦: ١٠).

الفصل الرابع عشر

أقصى درجات الفقر

«وَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْجَمْعِ: «يَا مُعَلِّمُ، قُلْ لِأَخِي أَنْ يَقَاسِمَنِي الْمِيرَاثَ». فَقَالَ لَهُ: «يَا إِنْسَانُ، مَنْ أَقَامَنِي عَلَيْكُمَا قَاضِيًا أَوْ مُقَسِّمًا؟». وَقَالَ لَهُمْ: «انْظُرُوا وَتَحَفَّظُوا مِنَ الطَّمَعِ، فَإِنَّهُ مَتَى كَانَ لِأَحَدٍ كَثِيرٌ فَلَيْسَتْ حَيَاتُهُ مِنْ أَمْوَالِهِ». وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا قَائِلًا: «إِنْسَانٌ غَنِيٌّ أَحْصَبَتْ كُورَتُهُ، فَفَكَرَّ فِي نَفْسِهِ قَائِلًا: مَاذَا أَعْمَلُ، لِأَنْ لَيْسَ لِي مَوْضِعٌ أَجْمَعُ فِيهِ أَثْمَارِي؟ وَقَالَ: أَعْمَلُ هَذَا: أَهْدِمُ مَخَازِنِي وَأَبْنِي أَعْظَمَ، وَأَجْمَعُ هُنَاكَ جَمِيعَ غَلَّتِي وَخَيْرَاتِي، وَأَقُولُ لِنَفْسِي: يَا نَفْسُ لِكَ خَيْرَاتٍ كَثِيرَةٍ، مَوْضُوعَةٌ لِسِنِينَ كَثِيرَةٍ. اسْتَرِيحِي وَكُلِّي وَأَشْرَبِي وَأَفْرَحِي! فَقَالَ لَهُ اللَّهُ: يَا غَنِيُّ! هَذِهِ أَلِيلَةٌ تَطْلُبُ نَفْسَكَ مِنْكَ، فَهَذِهِ أَلْتِي أَعَدَدْتُهَا لِمَنْ تَكُونُ؟ هَكَذَا الَّذِي يَكْنِزُ لِنَفْسِهِ وَلَيْسَ هُوَ غَنِيًّا لِلَّهِ.» (لوقا ١٢: ١٣-٢١)

قد يكون أغنى الناس في العالم هم أفقر الناس، وقد يكون أفقر الناس في العالم هم أغنى الناس، دعني أشرح لك هذا الأمر؛ القصة كلها متوقفة على ماهية الغنى الذي نقصده وأين يكون. إذا كان الغنى بالنسبة لنا متمثلًا في الأشياء المادية فقط، فنحن بالحق فقراء، فكثير من الناس لديهم القليل من الممتلكات المادية، ولكن لديهم غنى روحي.

لا شك أن الرجل الغني في هذا المثل كان موضع حسد ناس كثيرة ممن حوله، فقد ظهر أنه يمتلك كل شيء، لدرجة أن قلقه الوحيد ومشغوليته هو كيفية الحفاظ على أملاكه الكثيرة. فمحاصيله أثرت بوفرة لدرجة أنه لم يجد مخازن تحتوي كل هذه الكميات. ولكن هل كان حقاً غنياً؟ لا أعتقد، لذلك سأطلق عليه لقب «أفقر الفقراء». لقد اختبر أقصى درجات الفقر، والسبب في قولي هذا هو تلك الكلمات: «هَكَذَا الَّذِي يَكْنِزُ لِنَفْسِهِ وَلَيْسَ هُوَ غَنِيًّا لِلَّهِ» (لوقا ١٢: ٢١)

١- تبدأ من الافتراض الخاطئ

افترض الرجل الغني أنه سيكون سعيداً بسبب ما يمتلكه، فقال لنفسه: «يَا نَفْسُ لِكَ خَيْرَاتٍ كَثِيرَةٍ، مَوْضُوعَةٌ لِسِنِينَ كَثِيرَةٍ. اسْتَرِجِي وَكُلِّي وَأَشْرِي وَأَفْرَحِي!». لقد ظن أنه امتلك كل شيء يحتاجه للمستقبل، وظن أيضاً أنه امتلك كل ما يجعله سعيداً. هو ليس الوحيد في هذا العالم الذي افترض مثل تلك الافتراضات، بل كثير من الناس في يومنا هذا يظنون أنهم سيكونون سعداء فقط إذا تمكنوا من شراء ممتلكات أكثر. في الواقع لا تتوقف السعادة الحقيقية على الممتلكات المادية، لو كانت سعادتنا تتوقف على الأشياء المادية لأصبحت حياتنا غير مستقرة.

يُفَضِّلُ المسيحيون أن يكون المسيح هو مصدر غناهم. قال اللاهوتي إريك سوير Erich Sauer أنه لو عرض أحد عليه كرة مصنوعة من الذهب حتى ولو كان حجمها يساوي حجم الشمس، فسوف يرفض لأنها لا تساوي شيئاً بالنسبة له، هو يعلن أنه من الممكن أن يرفض أي شيء مقابل «القيمة

اللامتناهية التي في المسيح». عبّر بولس الرسول عن هذا الاعتقاد بما يساوي هذا الكلام قائلاً: «بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نَفَايَةً لِكَيْ أَرْبِحَ الْمَسِيحَ» (فيلبي ٣: ٨)، وكلمة نفاية هنا تعني «القمامة» أو «الروث».

قد يفترض الناس أن امتلاك الأشياء هو علامة النجاح، لكن ليس بالضرورة أن يكون هذا هو المقياس الحقيقي للنجاح؛ فالأضعف ربما يكون هو الأقوى، ومن لا يمتلكون شيئاً كأن لهم كل شيء. هلا فكرت معي في هذا الوصف الذي شرحه بولس الرسول، هل كان يتحدث عن شخص ناجح؟ تعال لننظر: «مَنْ الْيَهُودِ خَمْسَ مَرَّاتٍ قَبِلْتُ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً إِلَّا وَاحِدَةً. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ضُرِبْتُ بِالْعَصِي، مَرَّةً رُجِمْتُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ انْكَسَرَتْ بِي السِّفِينَةُ، لَيْلًا وَنَهَارًا قَضَيْتُ فِي الْعُمُقِ. بِأَسْفَارٍ مَرَارًا كَثِيرَةً، بِأَخْطَارٍ سَيُولٍ، بِأَخْطَارٍ لُصُوصٍ، بِأَخْطَارٍ مِنْ جَنْسِي، بِأَخْطَارٍ مِنَ الْأَمَمِ، بِأَخْطَارٍ فِي الْمَدِينَةِ، بِأَخْطَارٍ فِي الْبَرِّيَّةِ، بِأَخْطَارٍ فِي الْبَحْرِ، بِأَخْطَارٍ مِنْ إِخْوَةٍ كَذْبَةٍ. فِي تَعَبٍ وَكَدٍّ، فِي أَسْهَارٍ مَرَارًا كَثِيرَةٍ، فِي جُوعٍ وَعَطَشٍ، فِي أَصْوَامٍ مَرَارًا كَثِيرَةٍ، فِي بَرْدٍ وَعُرْيٍ.» (كورنثوس الثانية ١١: ٢٤-٢٧).

هذه هي كلمات الرسول بولس الذي كتب الكثير من كتابات العهد الجديد وبشّر بالإنجيل في مناطق كثيرة من العالم؛ فرغم عدم امتلاكه الكثير من الاحتياجات، لكن الله استخدمه ليساعد في تغيير العالم. والآن قل لي من هو الناجح إذا؟ الرجل الغني الذي تفاخر بثروته أم بولس الرسول الذي عانى كثيراً بسبب إيمانه؟

افتراض آخر يتم طرحه أن ما نمتلكه هو باقي لنا. فالرجل الغني لم يضع في اعتباره أي احتمالية لتترك هذه الممتلكات في أي وقت، لقد خطط لأزمة عديدة، في الحقيقة لا أحد منا يعرف كم الوقت الذي لديه في هذه الحياة. فبعض الناس يعيشون فقط ٢٥ عامًا ويفعلون الكثير من الأمور الحسنة ويعيشون بشكل أفضل ممن عاشوا لعمر ٧٥ عامًا. لا تزال كتابات القس روبرت ماكين Robert McCheyne تُبارك وتُغير مَنْ يقرأها رغم أنه مات في عامه التاسع والعشرين. أيضًا بيل بوردن Bill Borden أعطى ثروته لخدمات مسيحية، ذهب إلى مصر حين كان شابًا صغيرًا في رحلة تبشيرية بالإنجيل ومات في سن مبكرة.

نحتاج أن ندرك أننا سنترك هذه الأشياء والممتلكات الأرضية في أي وقت، فكر معي في أوجه التشابه بين أغنى رجل وأفقر رجل عند الموت؟ ببساطة أنهم يموتون دون أن يأخذوا أي ممتلكات مادية معهم. لن يستطيع الإنسان أن يشترى طريقه نحو السماء. لقد تفاجأ التلاميذ حينما قال يسوع أنه من الصعب دخول الأغنياء إلى ملكوت السماوات، لماذا؟ لأن غناهم المادي يقف حاجزًا في طريقهم للملكوت.

٢- تقود إلى الأنانية

المأساة الأخرى في حياة «أفقر الفقراء» هي التوقعات الأنانية. عندما ننظر لأفكار الرجل الغني نرى ما يعيش من أجله وما يكرس حياته له، لقد عاش حياة أنانية يتمحور فيها حول نفسه فقط. فكر فيما قاله: «سأهدم» و «سأخزن» و «هذا ما سأفعله» هل لاحظت صيغة «أنا» و «خاصتي» المستخدمة في كلماته؟ يا لها من حياة حزينة عاشها! كان كل شيء يدور حول نفسه.

فكر فيما كان ممكن أن يفعله، كان من الممكن أن يوجه ما يمتلكه لمجد الله ولخير الإنسان، بدلاً من ذلك كان يفكر في نفسه فقط. ولكن هل كان فعلاً يمتلك هذه الأشياء؟ أود أن أقول إنه لم يمتلك سوى القليل، فعند موته ترك هذه الممتلكات كلها. لقد فقد كل شيء بما في ذلك روحه، أعتقد أنه من الأفضل أن نقول أن هذه الأشياء هي التي امتلكته.

عندما روى يسوع هذه القصة كان يعلن بوضوح تحذيراً من خطية الشهوة، فالشهوة هي عبادة في غير محلها، إنها عبادة أوثان. وإذا كنت تريد أن ترى أسوأ عبادة وثنية، فلا داعي للذهاب إلى معبد وثني لرؤية الأصنام الخشبية؛ اذهب إلى شوارع أي مدينة كبيرة وسترى بنفسك؛ جرب أن تستمع لمحتوى وشكل إلقاء الإعلانات التجارية في التلفزيون وسوف تشعر بذلك بوضوح. عندما تستمع لآمال وطموحات وأهداف الكثير من الناس ستجد هذه العبادة التي نتحدث عنها. للأسف أحياناً تحتفظ بداخلك بوثن أكبر من أي وثن يمكنك أن تراه على الأرفف. وإليك واحد من أكبر الأصنام المنتشرة حديثاً وهو صنم المادية، فالحياة المادية أصبحت حلم الكثير من البشر في هذه الأيام.

من حين لآخر حين تحدث كارثة كبرى، يقوم مذيعو الأخبار بعمل مقابلات مع الأشخاص الذين تعرضوا لمخاطر في مثل هذه الأحداث مثل الأعاصير أو الحرائق، فنجد من المألوف أن نسمع هؤلاء الناس يقولون: «لقد فقدت كل شيء. كل شيء اختفى. وكل ما أملكه هو تلك الملابس التي على ظهري» بالطبع نحن نفهم ما يقصدون قوله. لو كان كل ما يمتلكونه ويعيشون لأجله

هو فقط الأشياء المادية، عندئذ ما يقولونه حقيقي وقد فقدوا كل شيء فعلاً. لكن إن كان غناهم الحقيقي روحياً، فلن يستطيع إعصار أو حريق أن يدمرهم. لقد أخطأ الرجل الغني في تقدير أشياءه ووقته بشكل سيء، لقد ترك كل شيء، وكانت أقصى خسارة.

٣- تنتهي على نحو مأساوي

إذا كنت تقود سيارة تحتاج أن تعرف إلى أين ينتهي الطريق. هل سيأخذك الطريق إلى وجهتك التي تريد أن تصل لها؟ قال يسوع أنه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك وكثيرون هم الذين يدخلونه. لقد دخل الرجل الغني من هذا الباب الواسع والطريق الرحب، انتهى كل ذلك بخيبة أمل. كان هنا رجل على دراية تامة بطرق الربح والخسارة، وقد عانى ما لا يمكن تصويره حين خسر كل شيء، حتى أنه خسر روحه أيضاً. سأل يسوع هذا السؤال: «لِأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ لَوْ رَجَحَ أَلْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطَى الْإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟» (متى ١٦: ٢٦). لاحظ معي المقصود في السياق: إن امتلاكنا كل شيء لا يساوي شيئاً أمام خسارتنا لأرواحنا، فنعيش لزمن طويل ولكن لا نملك شيئاً في الأبدية، ونكون أثرياء لفترة قصيرة ولكن لا نأخذ شيئاً من ثروتنا.

إن أقصى خسارة ليست هي خسارة الأشياء المادية، ولكن تعد الخسارة الفادحة هي خسارة الروح. فما هي قيمة الروح؟ في الحقيقة هي أثمن من أن تُقدر أو تقاس؛ ولكن على الأقل نحن نعلم أن خسارة الروح تعني خسارة أعظم وأثمن الأشياء التي نمتلكها. قرأت ذات مرة مقالاً في إحدى الصحف

عن امرأة في الهند باعت ابنها الذي يبلغ من العمر يومًا واحدًا بمبلغ خمسة وسبعين سنتًا؛ إذا بماذا تباع روحك؟ في الحقيقة لن يكون الأمر مهمًا لأنه لا يمكنك أبدًا دفع القيمة الحقيقية.

لم تكن خسارة الرجل الغني لا تقاس فقط، بل أيضًا خسارة غير قابلة للاسترداد، لقد كانت خسارة لا تعوض وليس لها شفاء. لذلك نعتة الله بـ «الغبي»، لأنه ترك كل ما كان يعتبره ذا قيمة طوال حياته، وكل ما عاش حياته لأجله، كل ما كان يعبده داخل قلبه. لقد ذهب للأبدية خاوي اليدين، ذهب ولم يترك شيئًا وراءه غير ثروات مادية تفنى وتهلك. ذهب للأبدية آخذًا معه الأنانية وفقره الروحي، لم يكن غنيًا من جهة علاقته بالله. إنها حقًا نهاية مأساوية تصل لأقصى درجات الفقر. لقد تدرج في حياته الروحية من فقير لأفقر، أما هؤلاء من لديهم ثروات روحية يتدرجون في غناهم الروحي من غنى لغنى.

دعونا نتأكد من هذا، يسوع لم يقل لنا أن الثروات المادية شيء سيئ؛ فالله قد خلق هذه الأشياء المادية، ونقدر أن نستخدم هذه الثروات لنُبَارِك بها أناسًا آخرين. المشكلة الحقيقية تكمن في دوافعنا نحو الأمور المادية. وكم هي حقيقية تلك الكلمات المكتوبة في (تيموثاوس الأولى ٦: ١٠) «لِأَنَّ مَحَبَّةَ أَلْمَالِ أَصْلٌ لِكُلِّ الشُّرُورِ، الَّذِي إِذْ أَبْتَغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الْإِيمَانِ، وَطَعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ». المشكلة ليست في المال في حد ذاته، المشكلة الحقيقية تكمن في حب المال. فكثير من الجرائم التي يتم ارتكابها لها علاقة وثيقة بالمال، فالناس يريدون الأموال التي يمتلكها شخص آخر فيسرقون ليحصلوا عليها؛

والبعض الآخر يريدون الحصول على المال بصورة مُلحة فيقتلون. إن الأمر يتعلق بدوافعنا ناحيته، وما يترتب عليه من تصرفاتنا، وتلك كانت المشكلة الحقيقية في قصة الرجل الغني، أنه أحب الأشياء التي في العالم.

هل تكنز لك كنوزاً في الحياة أم تكنز كنوزاً تأخذها معك السماء؟ إن الغنى الحقيقي هو في المسيح. فمهما أعطانا الله، لأبد وأن نستخدمه لتمجيد اسم الله. مهما أعطى لنا الله، نقدر أن نقرر استخدامه لتسديد احتياجاتنا واحتياجات الآخرين. فنحن وكلاء على كل ما منحنا الله إياه، الكل به وله ومنه، لقد أعطانا كل هذه الأشياء الجيدة ليباركنا ونبارك بها العالم. إلى أين تقودك الأشياء التي تمتلكها؟ هل ستقودك إلى عتبة باب بيتك وتتوقف عند هذا الحد؟ أم أنك مثل القناة التي تمر من خلالها هذه الأشياء المادية لمباركة العالم؟ إن أقصى درجات الفقر تبدأ بالافتراضات الخاطئة، ثم تقودك إلى الأنانية وتنتهي بك إلى نهاية مأساوية.

الفصل الخامس عشر الأنشودة التي لا تنتهي

«وَهُمْ يَتَرَمَّوْنَ كَتَرْنِيْمَةٍ جَدِيْدَةٍ أَمَامَ الْعَرْشِ وَآمَامَ الْأَرْبَعَةِ الْحَيَوَانَاتِ وَالشُّيُوخِ. وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَتَعَلَّمَ التَّرْنِيْمَةَ إِلَّا الْمِئَةُ وَالْأَرْبَعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ أَلْفًا الَّذِينَ اشْتَرَوْا مِنَ الْأَرْضِ. هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ لَمْ يَتَنَجَّسُوا مَعَ النِّسَاءِ لِأَنَّهُمْ أَطْهَارٌ. هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْخُرُوفَ حَيْثُمَا ذَهَبَ. هَؤُلَاءِ اشْتَرَوْا مِنْ بَيْنِ النَّاسِ بَاكُورَةً لِلَّهِ وَلِلْخُرُوفِ.»
(رؤيا ١٤: ٣-٤)

«وَهُمْ يُرْتَلُّونَ تَرْنِيْمَةُ مُوسَى عَبْدِ اللَّهِ، وَتَرْنِيْمَةُ الْخُرُوفِ قَائِلِينَ:
«عَظِيْمَةٌ وَعَجِيْبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ، أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهِ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ!
عَادِلَةٌ وَحَقٌّ هِيَ طُرُقُكَ، يَا مَلِكَ الْقَدِيْسِينَ! مَنْ لَا يَخَافُكَ يَا رَبُّ وَيُحَدِّدُ
أَسْمَكَ؟ لِأَنَّكَ وَحْدَكَ قُدُّوسٌ، لِأَنَّ جَمِيعَ الْأُمَمِ سَيَّائِثُونَ وَيَسْجُدُونَ
أَمَامَكَ، لِأَنَّ أَحْكَامَكَ قَدْ أُظْهِرَتْ.» (رؤيا ١٥: ٣-٤)

هل سبق لك أن استمعت إلى أنشودة رائعة، وكنت تود سماعها مرات عديدة، بل ويظل يتردد صدى هذه الأنشودة في ذهنك، فتغنيها مرات ومرات؟ هل سبق لك أن استمعت إلى أنشودة تحرك أعماق مشاعرك، بل وتدعوك للتفاعل معها بدموعك التي تتلألأ في عينيك أو بابتسامتك التي تنير وجهك؟ لقد استمعت إلى بعض الموسيقى الرائعة. استمعت إلى حوالي

خمسین ألفاً إلى سبعین ألفاً يسبحون الرب في ملاعب كبيرة؛ في مثل هذا الوقت تشعر وكأنك تستمع إلى موسيقى سماوية. تخيل لو كان بإمكاننا تجميع كل فرق التسبيح الرائعة على مر العصور في مكان واحد، ونستمع إليهم ينشدون «أنشودة هلوليا»!

أينما تجد مؤمنين، ستجد التسبيح. فنحن لا نستطيع إلا أن نسبح لمن أحبنا وفدانا يسوع المسيح. وإن كانت الموسيقى هنا على الأرض بهذه الروعة، فهي لا تقارن بموسيقى السماء. ففي سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي نجد نبذة عن روعة أناشيد السماء، إنها أنشودة الحمل، وهي لن تنتهي، ولن يكون هناك نشازاً، بل سنعتقد أننا لم نستمع إلى موسيقى من قبل أثناء وجودنا على الأرض. موسيقى السماء ستدهشنا وترفعنا وتُحيي ما بداخل أعماق مشاعرنا.

١- إنها أنشودة حب

بعض من أعظم موسيقانا تقوم على فكرة «الحب»، وهذا أمر حقيقي فيما يخص موسيقى التسبيح المسيحية. فكيف لنا ألا نغني عن محبة الله؟ هناك أناشيد يتم كتابتها فقط للتسلية، وهذا مهم ومفيد لنا في بعض الأوقات. وأحياناً تُكتب أناشيد لتعليمنا شيء معين. ولكن الأنشودة التي لا تنتهي هي أنشودة تسبيح الرب، بينما ترتمها يبدو الأمر كما لو لم يكن هناك أحد غيرك أنت والرب فقط، تتحدث عن المؤمنين كالمفدين، وهم يتبعون الرب أينما ذهب.

نشيد الأنشاد في العهد القديم كان أنشودة حب، وقديماً قالوا أن الحب أعمى؛ وهذا التعبير قد يكون حقيقياً في بعض الأحيان، ولكن محبة المسيح

ومحبة الله ليست عمية أبدًا. قال بيتر كريفت Peter Kreeft: «ليس الحب هو أن تنتظر لنفسك، لكن الحب هو أن تنتظر لمن تحبه».

لماذا يحبنا الله؟ بالتأكيد ليس لأننا نستحق محبته؛ أيضًا لماذا يصل حب الله للمسجون ويلمس قلب القاتل؟ ولماذا تصل محبة الله لشخص مضطهد يُدعى شاول وتُغير حياته؟ بل ولماذا تصل محبة الله إلى الأشخاص المنبوذين الذين تملكهم اليأس من أنفسهم والذين تخلى عنهم الجميع أيضًا؟ ولماذا تمتد محبة الله لتصل إلى بيوت الدعارة، إلى أدنى مستويات البشرية؟ إنه سبب واحد فقط «الله محبة»، ويعلن الكتاب المقدس أنه أحبنا أولًا، لا يوجد حب يشبه أبدًا حب الله.

تُرى متى بدأ حب الله؟ هل أنت مستعد لتعرف الإجابة؟ لقد بدأ من قبل حتى أن تولد، فالله يعرف عنا كل شيء حتى من قبل ولادتنا، ويعرف كل شيء عنا في الوقت الحالي؛ يعلم عمق فسادنا وعلى الرغم من ذلك لا يزال يحبنا، ويعرف كم من الرجال والنساء الذين يحاربونه هو شخصيًا ومع ذلك يحبهم. إن غير المؤمنين لن يذهبوا إلى الجحيم بسبب كونهم غير محبوبين، بل سيذهبوا لأنهم رفضوا الذي أحبههم. الله يُعلن لك حبه في هذه اللحظة، حتى لو كنت تحاربه كل ساعة من عمرك، هو يحبك ويشاق أن تنضم لعائلته.

يعتقد الكثير من الناس أن عليهم بذل مجهود والقيام بأعمال معينة لكسب محبة الله؛ فإذا كانوا سيئين حقًا، يعتقدون أن الله لا يحبهم، وإذا كانوا صالحين حقًا، فإنهم يعتقدون أن الله يحبهم. لكن ليس الأمر بهذه الطريقة،

فمحبة الله ثابتة، أبدية، غير محدودة، ولا يوجد شيء يمكنك فعله لتجعل الله يحبك، أيضًا لا يوجد شيء يمكنك فعله لجعل الله يتوقف عن حبك.

دعنا نرى الأمور بشكل أوضح. الله يكره الخطية، وهو يكره أي خطية أو تمرد موجه نحوه، لكنه يحبك ويبحث عنك؛ لقد دعاك منذ طفولتك، ويحاول أن يتواصل معك في شبابك، وبينما أنت في عنادك متصلبًا في رأيك كشخص بالغ لا يزال يتحدث بكلمات الحب لك. واحدة من الترانيم المسيحية هي ترنيمة «ما أعجب النعمة». تقول أناشودة النعمة هذه:

ما أعجب النعمة لي من قلبك الكبير

من بعد ما ذقت العمى ها إنني بصير

من يحبك سيظل بجانبك، وسيراك بنظرة مختلفة حين ينتقدك الآخرون. جاء يسوع «ليطلب ويخلص ما قد هلك». لقد جاء من أجل المكسور، وفاقد الأمل، والمنبوذ في المجتمع. «في هذا هي المحبة: ليس أننا نحن أحببنا الله، بل أنه هو أحببنا، وأرسل ابنه كفارة لخطايانا» (يوحنا الأولى ٤: ١٠). على الصليب نرى حبه بوضوح تام. عندما تلتقي الشخص الذي أحبك للمنتهى ستبدأ في أن تنشده له وستكون أناشودة محبة.

٢- إنها أناشودة فريدة من نوعها

لا يستطيع الجميع أن ينشدوا تلك الأناشودة. أنا لا أستطيع أن أنشد أناشيد الأوبرا مهما حاولت ذلك. حتى إذا حاولت فهم تقنيات طبيعة غناء

الأوبرا، سيكون ذلك فوق قدراتي على الغناء. غير أن هناك فرق بين مجرد الأداء والغناء الذي يخرج من القلب، ففي بعض الأحيان يرنم المرمعون المحترفون ترنيمة «المسيا» التي كتبها هاندل Handel. وهذه الترنيمة من وجهة نظر فنية قد يكون كل شيء بها جيدًا وصحيحًا، لكن عندما نسمعها نشعر أن هناك شيء ناقص، فما هو هذا الشيء؟ الشيء الناقص أنهم لا يعرفون ذلك الشخص الذي يتغنون عنه. قرأت في مرة عن ممثل أو شخص تلقى تدريبًا خاصًا فقرأ المزمور الثالث والعشرون، وقرأه ببلاغة عظيمة وانهر من سمعوه يقرأه. لكن عندما قرأ واعظ نفس المزمور بدون أي تدريب احترافي تحركت أعماق مشاعر من سمعوه. وعندما سأل الناس يا ترى لماذا حدث هذا الفرق؟ أجابهم الممثل بأن الواعظ يعرف الراعي شخصيًا.

المفديون فقط هم القادرون أن ينشدوا هذه الأنشودة: «وَهُمْ يَكْرُمُونَ كَتَرْنِيْمَةٍ جَدِيْدَةٍ أَمَامَ الْعَرْشِ وَأَمَامَ الْأَرْبَعَةِ الْحَيَوَانَاتِ وَالشُّبُوحِ. وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَتَعَلَّمَ التَّرْنِيْمَةَ إِلَّا الْمِئَةُ وَالْأَرْبَعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ أَلْفًا الَّذِينَ أَشْتَرَوْا مِنَ الْأَرْضِ» (رؤيا ١٤: ٣). ولغة الأرقام مهمة جدًا في هذا السفر، فالرقم ١٢ يستخدم بشكل متكرر مرات أخرى؛ فهناك ١٢ بوابة لدخول أورشليم السماوية، وكان سور المدينة ١٤٤ ذراعًا والذي يتكون من ١٢ مضروبًا في ١٢، وكان هناك أيضًا ١٢ تلميذًا، وفي العهد القديم كان هناك ١٢ سبطًا. ويعد الرقم اثني عشر رمز الكمال والاكتمال، ورقم ١٤٤,٠٠٠ سيكون ناتج ضرب ١٢ في ١٢,٠٠٠، وهذا يعني الكمال الفائق، لهذا نعلم أنه فقط هذه المجموعة - المفديين - هي الوحيدة القادرة على إنشاد تلك الأنشودة.

في بعض مدارس الدولة، توجد فصول لدراسة للكتاب المقدس. قد يقوم المعلم بتدريس هذه الدراسة الكتابية كما يفعل في أي مادة دراسية أخرى، وفي معظم المواد الدراسية ليس من الضروري معرفة مؤلف الكتاب المدرسي، لكن هذا ليس صحيحًا عندما يتعلق الأمر بالكتاب المقدس. يقول الكتاب المقدس أن الإنسان بدون الله أعمى، ولا يمكنه فهم حكمة وأمر الله. يشهد العديد من المؤمنين الجدد أنهم عندما أتوا إلى المسيح استطاعوا فهم الأشياء التي لم تكن منطقية بالنسبة لهم من قبل؛ هذا يعني أن معلم مدارس الأحد الذي لا يمتلك الكثير من الثقافة والمعرفة لكنه يمتلك معرفة الرب الحقيقية ويحبّه هو أفضل معلم للكتاب المقدس أكثر من أي شخص غير مؤمن متعلم يحاول تدريس الكتاب المقدس.

أتذكر عندما كنت شابًا في سن المراهقة أنني رأيت امرأة مؤمنة تحب الله بكل قلبها وتحفظ كلامه جيدًا. وكانت هذه المرأة تعاني من مرض الشلل، لكن بالرغم من ذلك كانت نشيطة جدًا وكانت تحب جدًا أن تتحدث عن الرب. أعلم أنه لا يوجد وجه مقارنة بين معرفة هذه المرأة بالكتاب المقدس وبعض المعلمين الملحدين الذين في المدارس، فهي تعرف الكاتب جيدًا.

ما هو الفريد من نوعه في هذه الأنشودة؟ الإجابة أن هذه الأنشودة موجهة مباشرة لمؤتي الأغاني؛ فلن تكون متواجدًا في مكان به مسيحيين مؤمنين دون أن تملأ أفواههم بالترنيم، سيرغمون لمن أحبهم، وأنشودتهم لن تنتهي أبدًا، وهذا هو التفرد الحقيقي في تلك الأنشودة.

٣- إنها أنشودة عبادة

إذا تمعنت في سفر الرؤيا، ستجد العديد من التزيينات والتسبيحات. ستجد تلك التزيينات في الإصحاحين الرابع والسابع، وستجد أيضًا الأنشودة في سفر الرؤيا الإصحاح الخامس عشر الآيتين الثالثة والرابعة. نستطيع أن نعبد الله بأكثر من طريقة، فنستطيع أن نعبد في صمت؛ لكن واحدة من أفضل طرق العبادة لله هي عبادة التسبيح، فعندما يريد الناس أن يعبروا لله عن أعمق مشاعرهم يبدأون في تسبيحه.

ماذا يحدث عندما نعبد الله؟ تنفتح عيون أذهاننا وإدراكنا على عظمة الله، نعترف ونعلن مجده، ندرك صفاته، فنغني لجلال مجده. أنظر معي هذه التزينة: «عَظِيمَةٌ وَعَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ، أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهِ، أَلْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ! عَادِلَةٌ وَحَقٌّ هِيَ طَرُقُكَ، يَا مَلِكَ الْقَدِيسِينَ! مَنْ لَا يَخَافُكَ يَا رَبُّ وَهُمْجَدُّ أَسْمَكَ؟ لِأَنَّكَ وَحْدَكَ قُدُّوسٌ» (رؤيا ١٥: ٣-٤)

بعض الناس يؤمنون بإله صغير. نعم هم يؤمنون بإله يرضي تفكيرهم، فهم يرونه «البطل الخارق». بعض الناس يرون الله وكأنه ضابط شرطة يخرج دائماً للبحث عنهم ليجدهم، والبعض الآخر يرونه وكأنه سانتا كلوز الرجل ذو اللحية البيضاء الذي يجلب لهم الكثير من الهدايا؛ في حين أن الكتاب المقدس صاغ لنا صورة الله بطريقة مختلفة. هو الخالق الذي يفوق خليقته، وهو مختلف ولا يشبه خليقته، ونحن نعتمد عليه ونحتاج إلى وجوده في كل نفس نتنفسه، في حين أنه لا يعتمد علينا في أي شيء. نحن بشر محدودون، وهو الأبدى وغير المحدود. هو لا يحده وقت ونحن مخلوقات يحدها الوقت. هو كلي القدرة، ونحن ضعفاء. والأنشودة تقول أن جميع طرقه حق وعدل.

في أثناء عبادتنا لله تكون هناك رهبة. يشير الكتاب المقدس في كثير من المرات إلى مخافة الرب، ويطلق إف دابليو فابر F. W. Faber على هذه المخافة «الخشوع المدهش»، وهذا المفهوم يخبرنا أن الله يسمو فوقنا وفوق أي شيء أرضي. الله يستحق العبادة «لِأَنَّ جَمِيعَ الْأُمَمِ سَيَأْتُونَ وَيَسْجُدُونَ أَمَامَكَ، لِأَنَّ أَحْكَامَكَ قَدْ أُظْهِرَتْ». هو مستحق لأنه خالقنا، لأنه فادينا.

عندما نجتمع لنعبد الرب، يجب أن نأتي مدركين أننا في محضر الرب، ومدركين أننا مع ذاك الذي يحبنا بعمق أكثر من أي شخص آخر. ينبغي لنا أن نمضي قائلين «أليس الله رائعاً؟» «أليس الله بارع الجمال؟».

أغلب الأناشيد لها نهاية وختام، وهناك أغاني حزينة لدرجة تجعلك تبكي. هناك أغاني تنساها لحظة سماعها بل وتود أن تنساها فعلاً. من الممكن أن تكون هذه الأغاني معروفة ومنتشرة لعدة أشهر، لكنك لا تعود لتستمع لهم مجدداً. أناشودة الحمل لا تنتهي أبداً، فهي الأغنية الوحيدة الجديدة دائماً؛ وكلما داومنا على إنشادها أكثر، كلما أردنا أن نغنيها أكثر وأكثر. إنها ليست فقط أناشودة جديدة لكنها أيضاً فريدة من نوعها، فهي أناشودة الحمل المذبوح، ولن نتوقف أبداً عن تسبيح الذي بذل حياته من أجل خطايانا وأعطانا بموته حياة جديدة. فأنشودتنا هنا من الممكن أن تشبه أناشيد الأطفال والرضع الموجودين في السماوات، لكنها تصدر مباشرة من القلب، وبلا شك الأناشودة الجديدة في ملكوت السماوات ستشبعنا وتنعش أرواحنا.

الفصل السادس عشر

تصيروا مثل الأولاد

«فِي تِلْكَ السَّاعَةِ تَقَدَّمَ التَّلَامِيذُ إِلَى يَسُوعَ قَائِلِينَ: «فَمَنْ هُوَ أَعْظَمُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ؟». فَدَعَا يَسُوعُ إِلَيْهِ وَلَدًا وَأَقَامَهُ فِي وَسْطِهِمْ وَقَالَ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ الْأَوْلَادِ فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. فَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مِثْلَ هَذَا الْوَلَدِ فَهُوَ الْأَعْظَمُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَمَنْ قَبِلَ وَلَدًا وَكَدًّا مِثْلَ هَذَا بِاسْمِي فَقَدْ قَبِلَنِي.»» (متى ١٨: ٥-١٠)

يريد الأولاد أن يصيروا بالغين، لكن يسوع قلب الأمور رأسًا على عقب عندما قال إننا يجب أن نكون كالأولاد الصغار. كثيرًا ما يُطلق على المؤمنين بالمسيح لقب أولاد الله، لكن يسوع لم يقل إننا ينبغي أن نصبح أولادًا بل مثل الأولاد. كثيرًا ما يُقال على الشخص العجوز أنه في طفولته الثانية أو أنه طفولي للغاية، لكن يسوع لم يقصد ذلك؛ فهو لم يقل أننا ينبغي أن نصبح غير ناضجين من جديد، أو أن نتصرف مثل الولد جسديًا.

ماذا قصد يسوع عندما أخبرنا أن نتواضع كالأولاد؟ لم يكن ذلك اختياريًا لأن يسوع قال إننا يجب أن نفعل ذلك لندخل ملكوته. وكما قال يسوع لنيقوديموس المعلم، أنه يجب أن يولد من جديد حتى يدخل ملكوت الله؛

تساءل التلاميذ عمن هو الأعظم في ملكوت الله فأجاب يسوع عن سؤالهم قائلاً: إنها ليست عظمة كما يُعرّفها العالم، وليست طقوس دينية كما يراها العالم، إنما علينا جميعاً أن نتضع سواء كنّا عظماء أم لا حتى ندخل ملكوت الله.

١- نصير مثل الأولاد بأن نثق

يثق الأولاد الصغار في الناس، حيث يصدقون كل ما تقوله لهم، ويتمتعون بخيال جيد؛ ولذلك ليس من الصعب أن يصدقوا الأمور غير المرئية، فيكبرون وهم واثقون. الأولاد يحبون القصص ويصدقونها بسهولة، لذلك يأتي الأولاد إلى المسيح بشكل أسهل بكثير من الكبار، وهذا هو السبب أن عدد الناس الذين يقبلون الإيمان المسيحي وهم أولاد أكثر من أولئك الذين يقبلونه وهم كبار.

إن البالغون متشككون، ومتشائمون، ومتصلبون. هم يرون أن هناك الكثير من الناس الذين لا يمكنهم الوثوق بهم، وأحياناً لا يمكنهم حتى الوثوق بما يقوله أفراد الأسرة؛ ويرجع ذلك إلى أنهم قد سمعوا الكثير من الأكاذيب لدرجة أنهم يتساءلون تقريباً عن أي شيء يسمعون. هناك بعض القلوب مثل الصخر، فقد سمعوا الإنجيل عدة مرات ولم يسعهم فقط سوى أن يرتدوا عنه، ولم تعد تؤثر فيهم كلمة الله.

اليوم نملك عقوداً لمعظم الأشياء في مجال الأعمال، بينما منذ عدة سنوات كانت كلمة الأشخاص كافية؛ فإذا قالوا إنهم سيفعلون شيئاً ما، تعلم أنهم سيلتزمون به، لكن اليوم يتعين على الناس التوقيع على الخط المنقط (العقود)، وأحياناً لا يكون ذلك كافياً حتى أن بعض الأشخاص ينقضون عقودهم

ووعودهم. هل يمكن للناس أن يثقوا فيما تقول؟ يجب أن يكون المسيحيون أكثر الأشخاص جدارة بالثقة في العالم.

«تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِكَ، وَعَلَى فَهْمِكَ لَا تَعْتَمِدْ» (أمثال ٥:٣) وذلك ما يفعله الأولاد؛ فهم يثقون في آبائهم. فإذا أخبرهم والديهم بشيء، فإنهم يصدقونه على الفور كما لو كانوا قد نفذوا ما قالوه. هم لا يحتاجون إلى عقد، وكذلك أعطانا الله كلمته وسينفذها لأنه أمين. هو لا يخدعنا ولا ينخدع أبدًا. يمكننا الوثوق به تمامًا.

منذ عدة سنوات أتى رجل ألماني إلى هذا البلد، وأخبر نقيب شرطة أنه كان شرطياً في ألمانيا، فوثق به النقيب وأخذه إلى منزله؛ ثم اكتشف لاحقاً أن كل ذلك لم يكن حقيقياً، وأنه قد وثق في مُخادع. على النقيض، يمكنك أن تثق تماماً في الرب ووعوده، فدائماً يفعل ما يقول ولم يسبق له أن نقض وعده أبداً.

٢- نصير مثل الأولاد بأن نعتد

يعتمد الأولاد على والديهم في توفير المأكل والملبس وكل شيء، ثم يمكنهم توفير المزيد من احتياجاتهم مع تقدمهم في العمر، وتدرجياً يصبحون مستقلين. تُلقِي الشرطة القبض على الآباء من حين لآخر لأنهم لا يعتنون بأولادهم. عادةً ما يستطيع الأولاد إعالة أنفسهم عندما يبلغون، ولكن هذا غير صحيح في الحياة المسيحية؛ حيث نعتد على الرب من البداية وحتى النهاية، لذلك دائماً ما نكون أولاداً في مسيرة الإيمان.

قال يسوع: «لَأَنْتُمْ بِدُونِي لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا» (يوحنا ١٥: ٥)، ويقصد أننا مرتبطون به كارتباط الكرمة بالأغصان. الفروع تعتمد كليًا على الكرمة للحياة والنمو، الفرع الذي يُقطع يذبل ويموت. عادةً ما نزن أن الاستقلال شيء جيد، لذلك نرغب من الأولاد البالغين أن يتخذوا القرارات بمفردهم وأن يكونوا قادرين على الاعتناء بأنفسهم؛ أما بالنسبة للمؤمنين بالمسيح فالعكس صحيح، حيث تُصبح الاعتمادية لا الاستقلال علامة للنضج.

يعتمد المؤمنون الناضجون على يسوع. فنحن لا نعيش وحدنا بل مع المسيح. مجال فعاليتنا في المسيح، ومن خلاله ننمو ونخدم. الحياة المسيحية ليست من النوع المنعزل؛ فالمسيح لا ينفذنا ثم يقول: «الآن اذهبوا وافعلوا ذلك وحدكم». إن محاولة ذلك تعد كارثة في الحياة المسيحية؛ فنحن نحتاج إلى المسيح أثناء رحلة الإيمان بقدر ما نحتاجه في بدايتها. كما تقول الآية: «أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي» (فيلبي ١٣: ٤). نُصبح مثل الأولاد بالاعتماد على المسيح.

٣- نصير مثل الأولاد بأن نرتاح ولا نقلق

هل سبق لك أن رأيت أولادًا قلقين؟ يستطيع الأولاد أن يستريحوا في أغرب الأماكن. قد ترى طفلة نائمة في أحضان أمها حتى وإن كان هناك آلاف من الأشخاص حولها في المدرج الرياضي، فالضوضاء لا تززع الطفلة كما لو كانت صماء؛ أما الشخص البالغ فلا يمكنه أن ينام في مثل هذا الوضع، بينما يمكن للولد أن يستريح في أي مكان.

نميل كبالغين إلى القلق والاضطراب حيث تزعجنا ضوضاء العالم؛ فهناك ضوضاء اقتصادية عندما تكون هناك ضائقة مادية، وهناك ضوضاء اجتماعية عندما تفسد العلاقات، وهناك أيضًا ضوضاء سياسية عندما تتحول الأمور من سيء إلى أسوأ. لذلك كل ما يقلقنا هو ضوضاء العالم، حيث يود الشيطان أن يبقينا في حالة من الضجة والقلق والاضطراب وعدم الارتياح.

ينبغي علينا كمؤمنين أن نكون قادرين على الارتياح بهدوء بغض النظر عما يدور حولنا. فنحن نعرف الرب، ونعرف أنه على عرشه، ونعرف أيضًا كيف ينتهي التاريخ. نحن نؤمن بعناية الرب وحمانيته: «أَتَنْتَظِرُ الرَّبَّ وَأَصْبِرُ لَهُ، وَلَا تَعَزُّ مِنْ الَّذِي يَنْجَحُ فِي طَرِيقِهِ، مِنْ الرَّجُلِ الْمُجْرِي مَكَايِدَ» (مزمور ٧: ٣٧). «كُفُّوا وَأَعْلَمُوا أَنِّي أَنَا اللَّهُ. أَتَعَالَى بَيْنَ الْأُمَمِ، أَتَعَالَى فِي الْأَرْضِ» (مزمور ١٠: ٤٦).

نحتاج إلى الراحة في عالم مليء بالضوضاء لذلك وَعَدَنَا يسوع أن يعطينا الراحة قائلًا: «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الْأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ» (متى ٢٨: ١١)، وبذلك نستطيع أن نملك قلبًا هادئًا على الرغم مما حولنا من ضوضاء. القلب الهادئ ينصت بتمعن إلى الله ويؤمن بوعوده. هل تشعر أنك متعب ومرهق مثل معظم الناس؟ متاعب الحياة في بعض الأوقات تفوق القدرة على التحمل، ولكن على الرغم من ذلك يوجد مكان للهدوء والراحة، وهو يسوع.

٤- نصير مثل الأولاد بأن نندهش

يستمتع الأولاد الصغار بالعجائب والمفاجآت، فحتى في الفناء الخلفي

يجدون ما يثير اهتمامهم من طيور وحشرات وحيوانات. بينما يميل البالغون إلى فقدان الاندهاش حيث نقول: «لقد رأيت ذلك من قبل وفعلته». لكن لا يكون الأمر هكذا عند الأولاد، حيث يرون أشياء جديدة ومثيرة فيمتثلون بالدهشة. هل تستطيع أن تتذكر الأشياء التي كانت تثير دهشتك عندما كنت ولدًا؟ الآن ستجدها مجرد تفاهات.

ينبغي أن يعيش المسيحيون كل يوم بشعور من الدهشة. يجب أن يملأنا الإنجيل بالاندهاش. علينا أن نندهش من محبة الله لنا، والمستقبل الذي خطه لنا. في كثير من الأوقات، يقول المؤمنون حديثو العهد بالإيمان أن كل شيء بدا مختلفًا عندما جاءوا إلى المسيح، فالأرض أصبحت أكثر إشراقًا لأنهم أصبحوا يرون بأعين جديدة وقلب جديد.

تُستخدم كلمة «مذهل» بشكل قليل هذه الأيام؛ علينا أن نستخدمها لنصف بها العجائب التي نستمتع بها. خلق الله عالمًا مذهلاً كما يفعل أمورًا مذهلة، وهو لا يزال يصنع أمورًا مذهلة في عالمنا الحاضر، فكل ما حولنا في العالم مذهل ويشير إلى الرب الذي هو فوق الكل وصانع كل الأشياء. في تسبيحنا وتمجيدنا له نحن ندرك عجائب قدرته. يُشار إلى المعجزات باسم عجائب، وقد عَيَّن الناس أماكن معينة كعجائب الدنيا، ولكن الواقع هو أننا جميعًا عجائب الله؛ فكم هو مذهل أننا نستطيع أن نرى ونسمع ونقود سيارات ونخلق بالطائرات، وكم هو مذهل أننا نحيا في المسيح ولدنا مستقبلًا لتتطلع إليه.

بينما نرغب في أن نصبح ناضجين، قد نغفل أكثر جزء أساسي في الحياة المسيحية وهو أن نكون كالأولاد الصغار؛ وقد أوصانا يسوع أن نتضع. يقول الكتاب: «فَكَمَا قَبِلْتُمْ الْمَسِيحَ يَسُوعَ الرَّبَّ أَسْلُكُوا فِيهِ» (كولوسي ٢: ٦). هل انطفأت المحبة الأولى؟ علينا أن نحيا كالأولاد الصغار، ونتحلى بالثقة والاعتماد والراحة والاندهاش. التشبه بالأولاد هو قمة الإيمان المسيحي.

الفصل السابع عشر العثور على كتاب منسي

«وَعِنْدَ إِخْرَاجِهِمُ الْفِضَّةَ الْمُدْحَلَةَ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ، وَجَدَ حَلْقِيَا الْكَاهِنُ سِفْرَ شَرِيعَةِ الرَّبِّ بِيَدِ مُوسَى. فَأَجَابَ حَلْقِيَا وَقَالَ لِشَافَانَ الْكَاتِبِ: «قَدْ وَجَدْتُ سِفْرَ الشَّرِيعَةِ فِي بَيْتِ الرَّبِّ». وَسَلَّمَ حَلْقِيَا السَّفْرَ إِلَى شَافَانَ، فَجَاءَ شَافَانُ بِالسَّفْرِ إِلَى الْمَلِكِ وَرَدَّ إِلَى الْمَلِكِ جَوَابًا قَائِلًا: «كُلُّ مَا أَسْلِمَ لِيَدِ عَبِيدِكَ هُمْ يَفْعَلُونَهُ، وَقَدْ أَفْرَعُوا الْفِضَّةَ الْمَوْجُودَةَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ وَدَفَعُوهَا لِيَدِ الْوُكَلَاءِ وَيَدِ عَامِلِي الشُّغْلِ». وَأَخْبَرَ شَافَانُ الْكَاتِبَ الْمَلِكَ قَائِلًا: «قَدْ أَعْطَانِي حَلْقِيَا الْكَاهِنُ سِفْرًا». وَقَرَأَ فِيهِ شَافَانُ أَمَامَ الْمَلِكِ » (أخبار الأيام الثاني ٣٤: ١٤-١٨).

هل سبق لك أن نسيت كتابًا؟ ربما كان تحت العديد من الكتب، أو مختبئًا بعيدًا في أحد الخزانات، حتى أنك نسيت قصته، لكن ذات يوم تجده؛ وبينما تتصفحه، تشعر كأنك تقابل صديقًا قديمًا لم تره لعدة سنوات.

يُضِيعُ الناس كتبهم المقدسة أحيانًا. قد تكون بحوزتهم لكنها مفقودة معنويًا؛ فقد يُضِيعه المؤرخ إذا نظر إلى تاريخه فقط، والفيلسوف إذا بحث عن الفلسفة فقط، وكذلك المسيحي إذا بحث عن الأدب فقط. ذلك لأن الكتاب المقدس هو مكان للقاء الله الحي. هل سبق وأردت أن تسمع صوت الله؟ يمكنك أن تسمع ما سيقوله لك بالضبط، إذا قرأت كلمته المكتوبة.

ستتغير بلدنا تغييرًا جذريًا، إذا ما وجد الناس كتبهم المقدسة من جديد؛ حيث ازدادت الأمية الكتابية بمعدل ينذر بالخطر. فالعديد من الناس لا يعرفون شيئًا عن الكتاب المقدس. عاش يوشيا - الملك الصغير - في زمن نسي فيه الناس كتاب الشريعة، لكن اكتشاف هذا الكتاب المنسيّ غيّر الأمة.

١- الشخص الذي قام بالاكتشاف

كان يوشيا في الثامنة من عمره فقط حين ملك، وقد بدأ يبحث عن الرب بشكل مكثف ومستمر وهو في شبابه. وكان يعلم أنه لا يوجد شيء أهم من هذا الأمر. فقد كان ذلك محور اهتمامه؛ لابد أن يعرف الرب كما عرفه بعض أسلافه مثل داود. لم يكن الأمر عشوائيًا أو قابلاً للنجاح أو الفشل بالنسبة له، بل كان حقًا يريد أن يعرف الله ومشيئته.

ينشغل بعض الناس بالرياضة فهي كل ما يستطيعون التحدث عنه، يقرأون عنها ويحضرون جميع المباريات ويرتدون القبعات والقمصان الرياضية التي تشجع فريقهم، وينفقون معظم أموالهم على شراء تذاكر للمباريات.

يهتم البعض الآخر بأجهزة الكمبيوتر؛ فيذهبون إلى المتاجر ليلقوا نظرة على أحدث الموديلات وينتظرون بفارغ الصبر إصدار أحدث مجلات الكمبيوتر، ويفكرون فيه، بل ويقضون أوقات فراغهم عليه حتى تظن أن الكمبيوتر شخص حقيقي.

امتلك يوشيا الحماس نفسه ولكنه موجه نحو الرب، فقد آمن أن هذا أهم شيء. ويعد بحثه عن الرب في شبابه تصرفًا مهمًا، فهذا أفضل وقت

للبحث عن الرب. فنحن نسعد باهتداء مَنْ هُمْ على فراش الموت، ولكن لم يتبق لهؤلاء وقت ليعدموا الله. أما الشباب فيمكن أن يتطلعوا لعدة سنوات لينموا روحياً ويقودوا الآخرين إلى المسيح. هذا لا يعني أن كبار السن لا يمكنهم إيجاد الله، ولكن كلما كبرنا في السن أصبحت اتجاهاتنا محددة أكثر.

لم يبحث يوشيا عن الرب فحسب بل أيضاً دافع عنه وعن الحقيقة. ويمكنك أن تلاحظ ذلك في الآية الثانية: «وَعَمِلَ الْمُسْتَقِيمَ فِي عَيْنِي الرَّبُّ، وَسَارَ فِي جَمِيعِ طَرِيقِ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَلَمْ يَحِدْ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا» (٢ أخبار الأيام ٣٤: ٢)؛ حيث لم يكن هناك انحراف في مسيرته، بل سار إلى الأمام مباشرة، أي أنه لم يتنازل بالرغم من وجود الكثير من التنازلات من حوله. من الملاحظ أنه صمد عندما كان هناك الكثير من الاستخفاف والتجاهل لأمر الله.

يواجه المؤمنون الأمر نفسه باستمرار، لأن جاذبية العالم قوية للغاية، حيث تجذبنا كثير من الأشياء يميناً أو يساراً كالتلفزيون وألعاب الفيديو. وبذلك كيف يمكننا أن نعبر عن إيماننا دون أن يضيع أو يضعف أو يتغير؟ يوصينا بولس ألا نتبع قوالب العالم قائلاً: «وَلَا تُشَاكِلُوا هَذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيِّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ» (رومية ١٢: ٢)؛ فقبول ثقافتنا لشيء ما لا يجعله صواباً في نظر الله. ولأن شيئاً ما قومي أو بطولي فذلك لا يجعله مناسباً للمسيحيين. فالمقياس هنا ليس برواج الشيء أو شعبيته.

بحث يوشيا أولاً عن الرب ثم بادر بعمل الصواب. كان يبلغ من العمر ستة عشر عاماً في ذلك الوقت، لكنه أيقن أنه لا يستطيع أن يخدم سيدين في آن واحد؛ لأن خدمة الله الحي تعني أنه يجب أن يبتعد عن عبادة الأوثان.

فمثلما لا ينفع تعدد الزوجات في الحياة العائلية، كذلك يؤدي الانسياق وراء سيدين في الحياة الروحية إلى كارثة.

٢- المكان الذي تم فيه الاكتشاف

وجد حلقي الكاهن سفر الشريعة في بيت الرب، ولا يوجد شيء مثير للدهشة في ذلك، لأن هذا هو المكان الذي تتوقع أن تجده فيه، والذي ينبغي أن نجده فيه دائماً. فما هو بيت الله بدون الكتاب المقدس؟ ومع ذلك هناك أماكن تسمى بالكنائس لكنها تفتقد كلمة الله؛ حيث يقوم القساوسة بالترفيه لشعبهم بكتب أخرى، فيأتي الناس متعطشين لكلمة الله ويرحلون ظمأين. يا له من عار! يرغب الناس في سماع كلمة من الله، يريدون دواءً روحياً لجراح قلوبهم، حيث يقول الكتاب: «أُكْرِزْ بِالْكَلِمَةِ» وهذه مسؤولية القس.

عندما أذهب إلى الكنيسة، أريد أن أسمع كلمة الله لا مناقشة عن المشكلات الاجتماعية أو الشخصية أو السياسية، بل أخبرني بما يقوله الله. ففي الكنيسة يجب أن يجد الناس خبراً لجوعهم، وماءً لعطشهم، ونوراً لظلمتهم.

ماذا كان يحدث للهيكل عندما مَلَكَ يوشيا؟ كان مُهْمَلًا، وتحول إلى حطام حيث ترك الناس العبادة وأضاعوا كلمة الله. من المفترض أن يكون مكاناً يعبد فيه الناس الله الحي لكنه أصبح مليئاً بالأوثان. وجد حلقي كتاب الشريعة أثناء الإجراءات الإصلاحية، فغالبًا ما نجد كلمة الله في أوقات الضعف. فحياة الكثيرين في حالة خراب مثلما كان الهيكل القديم، وتصبح القلوب خربة متى سيطرت عليها الأوثان، لكننا قد نجد كلمة الله في مثل هذه الظروف اليائسة.

هل ذهبت في رحلة بحث عن كنز ما من قبل؟ في كثير من الأحيان يكون الكنز أقرب مما تظن. وهذا ما يحدث أيضًا عندما يتعلق الأمر بكلمة الله، فهي أفضل من الذهب وأحلى من العسل ونور لسبيلنا وأقوى من أي سيف ذي حدين؛ لذلك دعونا نعطي الأولوية لقراءة كلمة الله حيث نحتاج أن نخبئها في قلوبنا، دعونا نتأكد أن الكنيسة التي نذهب إليها مؤمنة بكلمة الله وأنها المكان الذي يقول فيه القس: «هكذا قال الرب.»

٣- القوة التي أتت من هذا الاكتشاف

لقد غيّر هذا الاكتشاف حياة، كما غيّر مسار الأمة، فكان كالديناميت في قوته. نُشرت الكتب المقدسة في الصين لعدة سنوات، كما نُشرت في بلد آخر ونُقلت للصين، وبذلك شهدت الكنائس في الصين نموًا هائلًا حيث يوجد اليوم ملايين من المسيحيين في الصين. وقد حاولت السياسات القمعية للحكومة الصينية القضاء على المسيحية على الرغم من أنك قد تظن أنهم سيتعلمون الدرس القائل: «إن دماء الشهداء هي بذار الكنيسة.»

منذ عدة سنوات قرأت عبارة قالها قس صيني: «أن مع كل كتاب مقدس يستقبلونه، يقبل عشرة أشخاص جدد المسيح»، وأحيانًا يستخدم مئات من المؤمنين كتابًا مقدسًا واحدًا أو كتابين، وأحيانًا أخرى يسهرون حتى وقت متأخر من الليل وهم ينسخونه باليد.

أعطى أحدهم بائعًا جائلًا في بلد معين من خلفية غير مسيحية كتابًا مقدسًا وشجعه على قراءته. قرأ العهد القديم فصار يهوديًا، ثم قرأ سلسلة

أنساب العهد الجديد وكانوا واضحين لدرجة أنه شعر بوجود الصدق فاستكمل قراءة العهد الجديد وصار مسيحيًا.

علم يوشيا أن الله قد تكلم عندما استمع إلى كلمة الله، فهو لم يسمعها ثم نساها. لأنها بالنسبة له كانت كصوت الله الحي، وهي بالفعل كذلك. وكأن الله قد تحدث إلينا شخصيًا، فالكتاب المقدس هو إعلان الله المكتوب لنا. هل ستكون متحمسًا إذا تلقيت رسالة شخصية من الله؟ لقد حدث ذلك بالفعل، فالكتاب المقدس هو رسالة الله لك. لذلك اقرأه واستمع إلى رسالته، فسيغير حياتك.

يُعدّ العثور على كلمة الله أعظم اكتشاف يمكنك القيام به. قد رأينا من قبل حماس شخص عثر على الغنى الجزيل، ألا يجب أن يكون هناك الحماس نفسه عند العثور على ذلك الكنز الروحي؛ الكتاب المقدس؟ علينا أن نقرأ كلمة الله بجدية واتضاع وإيمان، نقرأه كالرجل الجائع عندما يتناول عشاءه، والرجل الذي يحتضر عندما يطلب المساعدة من الطبيب، والرجل الذي يغرق عندما يمسك بحبل لينقذه.

إذا أضعت كلمة الله تحت أنقاض حياتك، فلا يزال بإمكانك العثور عليها، ومن ثم ستكون الكلمة نورًا لسبيلك وغذاءً لروحك وكنزًا لقلبك. لذلك إذا كان الكتاب المقدس منسيًا في بيتك، فمهما كلفك الأمر انفض الغبار عنه وقرأه لأنه رسالة الله لك.

الفصل الثامن عشر

المسيحيون الضاحكون

«هَذَا وَإِنَّ مَنْ يَزْرَعُ بِالشُّحِّ فَيَالْشُّحِّ أَيْضًا يَحْصُدُ، وَمَنْ يَزْرَعُ
بِالْبَرَكَاتِ فَيَالْبَرَكَاتِ أَيْضًا يَحْصُدُ. كُلُّ وَاحِدٍ كَمَا يَنْوِي بِقَلْبِهِ، لَيْسَ
عَنْ حُزْنٍ أَوْ أَضْطِرَارٍ. لِأَنَّ الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللَّهُ. وَاللَّهُ قَادِرٌ أَنْ
يَزِيدَكُمْ كُلَّ نِعْمَةٍ، لِكَيْ تَكُونُوا وَلَكُمْ كُلُّ أَكْتِفَاءٍ كُلَّ حِينٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ،
تَزْدَادُونَ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ.» (كورنثوس الثانية ٩: ٦-٨).

كان الناس يضحكون، لكنها لم تكن ضحكات صغيرة، بل كانت ضحكات عميقة؛ فهي تجعلك تريد أن تضحك بسبب ضحكهم. أليس من اللطيف سماع ضحك الآخرين؟ من حين لآخر أضحك ولا أستطيع التوقف. إننا لا ننكر أحزان العالم، فهي حقائق موجودة، كما يختبر المسيحيون الضيق؛ لكن هناك أيضًا العديد من الأسباب التي تجعلهم يضحكون.

هل تعتقد أن مخلصنا كان حزينًا وغير قادر على الضحك؟ أعتقد أن الأطفال الصغار كانوا ينجذبون إليه لأنه كان يضحك. كان يسوع دائمًا معطاءً، ونحن نعلم أن ذلك أحد الأسباب التي كانت تجعله فرحًا. يخبرنا توماس كارليل Tomas Carlyle أنه عندما كان صبيًا، جاء إلى منزله متمسلاً طالبًا المساعدة، لم يكن والديه حينها في المنزل، فذهب دون تفكير ليحضر

المال الذي كان يدخره ثم أعطاه بعد ذلك للمتسول، وقد قال أن هذا هو أسعد وقت في حياته.

الذين يعطون ويخدمون هم من يستطيعون أن يضحكوا. ونحن يمكننا أن نضحك اليوم. هل تعلم لماذا؟

١- يعرف المسيحيون الضاحكون يقين الحصاد

عندما يقوم المزارع بزرع البذور في الربيع، يكون غير متيقن من محصوله. فهو يزرع في الوقت المناسب، وأيضًا يعتني بالمحصول؛ ومع ذلك، هناك العديد من الأشياء المجهولة والمتغيرات التي يمكن أن تحدث. فقد يمكن للعواصف والحشرات أن تدمر المحصول. وقد لا يأتي المطر.

لكن روحياً يمكننا أن نتيقن من الحصاد. أعطى بولس مبدأً صحيحاً دائماً؛ إذا زرنا بالشح، فإننا نحصد قليلاً. وإذا زرنا بالبركات، فإننا نحصد بوفرة. فليست هناك عواصف يمكن أن تدمر الحصاد. قال يسوع ذات مرة مثلاً عن رجل خرج ليزرع، سقط بعض البذار على أرض مجدبة، ولم تنتج أي محصول. وسقط بعضها وسط الشوك فاختنقت تلك البذور. أما التي سقطت على الأرض الجيدة أنتجت حصاداً كثيراً.

نحن نعيش في زمن أصبح البشر فيه مشغولين ومنهمكين في العديد من الأشياء. وهذا أمر محبط. نود أن نرى العديد من الناس يتجهون إلى المسيح، لكن هذا لا يحدث دائماً بسرعة. ففي كثير من الأحيان يجب ري المحاصيل،

حيث أن الحصاد يستغرق وقتًا طويلًا. في التاريخ، يمكننا أن نرى أزمة نمو كبير، ثم يتبعها بعد ذلك فترة من الانحسار. وهناك مكان مجذب، لكنه أصبح مكان خصب.

لا يعني الاضطهاد دائمًا أن الكنيسة لن تنمو. فقد شعر البعض أن الكنيسة ستموت، بعد أن غادر المبشرون الصين منذ سنوات عديدة. ربما كان عدد المسيحيين في الصين يتراوح ما بين ٢ إلى ٣ مليون مسيحي، وقد عانوا من اضطهاد عظيم. والعديد منهم فقدوا حياتهم. لكن ماذا حدث؟ استمر المسيحيون في مشاركة إيمانهم. وجاء جمع كثير إلى المسيح. لا أحد يعلم على وجه اليقين، لكن ربما يوجد أكثر من ٦٠ مليون مسيحي في الصين اليوم!

تؤكد كلمة الله أنه هناك حصاد. والطريقة التي تجعلك مستمرًا في الضحك، هي انتظار الحصاد. «فَلَا نَفْسُ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ لِأَنَّا سَنَحْصُدُ فِي وَقْتِهِ إِنْ كُنَّا لَا نَكِلُ.» (غلاطية ٦: ٩). والآية التي تشجعني هي «إِذَا يَا إِخْوَتِي الْأَحِبَّاءَ، كُونُوا رَاسِخِينَ، غَيْرَ مُتَزَعِّزِينَ، كَثِيرِينَ فِي عَمَلِ الرَّبِّ كُلِّ حِينٍ، عَالَمِينَ أَنَّ تَعَبَكُمْ لَيْسَ بَاطِلًا فِي الرَّبِّ.» (كورنثوس الأولى ١٥: ٥٨). الحصاد قادم بالتأكيد!

إذا أردنا أن نحصد محصول الطماطم، علينا أن نزرع الطماطم. وإذا أردنا الفول يجب أن نزرع الفول. فالحصاد يعتمد على ما نقوم بزراعته. ستعلو توقعاتك أو تنخفض طبقًا لما هو مزروع. ويمكننا أن ننتظر حصادًا كثيرًا، إذا غرسنا زرعًا جيدًا. فالحصاد وقت للاحتفال والضحك. قرأت عن كنيسة ما في تايلاند، كان تعداد هذه الكنيسة ٤٠٠ عضوًا، جميعهم كانوا يقدمون عشورهم،

على الرغم من كونهم فقراء. كانوا يدعمون الراعي، وعائلتين من العائلات المُرسلة. فعلوا ذلك لمساعدة الآخرين، والأمر غير الطبيعي هو أنهم جميعًا مصابين بالجذام. ربما أصبحت كنيستهم أكبر بكثير اليوم. لقد شهدوا بأنفسهم حصادًا عظيمًا. لا أحد يجبرهم على غرس البذار، وفرحهم يفيض بالعتاء.

٢- يعرف المسيحيون الضاحكون متعة العطاء

هل هناك متعة في العطاء بتذمر؟ هل هناك متعة في العطاء لأنك مجبر على فعل ذلك؟ لا! إن متعة العطاء في أنك تريد أن تعطي. «المعطي المسرور يحبه الرب». والمعنى الحرفي لكلمة «مسرور» من أصل الكلمة اليونانية هو الضاحك. فهي ليست مجرد ابتسامة خفيفة، أو ضحك. لكنها تعني شخص يضحك بشدة.

السبب الذي يجعل الناس غير سعداء، هو أنهم لم يتعلموا أبدًا متعة العطاء، أيادهم دائمًا ممدودة ليقولوا: «أعطني». إن أيديولوجية «التمحور حول الذات» أصبحت مشكلة كبيرة. فالناس يعيشون لأجل أنفسهم «أنا أولاً». ولكن يسوع قال أن بركات العطاء أعظم من الأخذ. وعندما نعكس ذلك، فإننا نفقد البركة. يسوع دائمًا كان يعطي، بذل وقته وحكمته وقوته لمساعدة الآخرين. فهو لم يأت ليخدم بل ليخدم. هذه هي الطريقة التي عاش ومات بها يسوع. حتى وهو على الصليب، كان يفكر في الآخرين، وطلب من يوحنا أن يعتني بأمه، واستمع للص يقترب من الموت ومد له يد النعمة والمغفرة.

قال أحدهم أن هناك ثلاثة أنواع من المِعْطَائِينَ: أحدهم مثل الصوان، وهؤلاء هم الأشخاص الذين لا يحبون العطاء، وهم يعطون فقط عندما يكونوا مجبرين على فعل ذلك؛ والآخر مثل الإسفنج، وهؤلاء هم الأشخاص الذين يجب أن يتم عصرهم والضغط عليهم كي يعطوا؛ والثالث مثل خلية النحل، هؤلاء هم من يحبون العطاء. هناك شعار يقول: «المسيح أولاً، والآخرين ثانيًا، والنفس أخيرًا»، عندما يحدث ذلك، سنعطي مثل خلية النحل.

إن العطاء لا يشمل المال فحسب، بل يشمل وقتنا ومواهبنا وأجسادنا وعقولنا. قد لا يكون لدينا الكثير، لكن يمكننا أن نعطي ما لدينا؛ وقد لا نملك المقدرة على فعل الكثير، لكن يمكننا فعل ما يُمكننا الله من القيام به. تحدث يسوع عن أرملة لم يكن لديها سوى عملة (فلسين) لتعطيها، لكنها أعطتها بكل سرور، وقال يسوع أنها أعطت أكثر من الآخرين الذين وضعوا مبالغ كبيرة من المال.

أخبرني أحدهم عن امرأة يابانية أصبحت مسيحية. كانت سعيدة للغاية حتى أنها بدأت تعطي كل شيء، مع أنها لم تكن تعرف أي شيء عن العشور. إذا كنا نستطيع الضحك أم لا، ذلك يعتمد إلى حد كبير على سبب عطائنا. فإذا كنا نعطي من أجل يسوع، فيمكننا أن نضحك. أمل أن يكون هناك الكثير من الضحك في كنيستك، فهذا يعني انطلاق الفرح بينكم.

٣- يعرف المسيحيون الضاحكون مصدر البركة

إن سبب ضحكنا هو أننا نعرف مصدر البركة، فالكل من الرب. بركاتنا تأتي

من أب سماوي حكيم ومحِب، وهو القادر على تسديد جميع احتياجاتنا. لاحظ الكلمات «الله قادر أن يزيدكم من كل نعمة». ليست الكنيسة، ولا مجهوداتنا، ولا حتى أعز أصدقائنا، بل الله القادر. هناك بعض الاحتياجات التي تفوق قدرة الإنسان. الله وحده يستطيع تلبية هذه الاحتياجات. كان المقدونيون يقدمون بينما هم فقراء، وكان لديهم العديد من الاحتياجات، لكنهم استمروا في العطاء.

يبدو أن بولس نفذت منه الكلمات للتعبير عن قدرة الله في تسديد احتياجاتنا. مرتين يقول «يكثُر»، وأربع مرات يقول «كل»، «كل نعمة»، «كل الأشياء»، «كل الأزمنة»؛ فالله ليس إله بخل، وهو لا يعطينا على مضض، ولا يوجد نقص في عطائه. لا تقل النعمة عندما يعطي. ولا يتناقض حساب النعمة مع كل عمليات السحب «كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهِبَةٍ تَأْتِي مِنْ فَوْقٍ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الْأَنْوَارِ، الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلَا ظِلٌّ دَوْرَانِ». (يعقوب ١: ١٧).

لا يوجد سبب يجعلنا ندخل في نوبة من الجنون، أو أن نعيش في قلق عندما نعرف الرب. فهو مصدر بركاتنا، وعندما نعطي يكون هناك متسع أكثر للاستقبال. سمع مُزارع عن احتياج في حقل إرسالية، فخطط لشراء جَرار جديد في حقله؛ ولكن بدلاً من ذلك أعطى المال لشراء الجَرار الجديد في حقل الإرسالية، واستمر في استخدام جراره القديم؛ وكان الجرار القديم يعمل بشكل جيد، فهو لم يخسر المال الذي أعطاه، لكنه ببساطة أرسله للمستقبل. إننا لا نخسر عندما نعطي.

اعتادت الكنائس الروسية في عيد القيامة أن تحظى بما أسموه «ضحك القيامة»، حيث ينفجر أعضاء الكنيسة في الضحك. يجب أن تضحك كنائسنا أكثر اليوم، فلا يوجد سبب يجعلنا حزاني أو سُقماء، فقد غلب المسيح وقام، والله يحب المعطين الضاحكين. هل نحن معروفون بالفرح؟ يجب أن نكون كذلك، لأننا نعرف يقين الحصاد. ولأن عطائنا نابع من محبتنا للرب. ولأننا نعرف مصدر البركات. والكتاب يقول: «إَفْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ، وَأَقُولُ أَيْضًا: أَفْرَحُوا».

الفصل التاسع عشر

كيف يجب أن نصلي؟

«وَقَالَ لَهُمْ أَيْضًا مَثَلًا فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلَا يُجَلَّ، قَائِلًا: «كَانَ فِي مَدِينَةٍ قَاضٍ لَا يَخَافُ اللَّهَ وَلَا يَهَابُ إِنْسَانًا. وَكَانَ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ أَرْمَلَةٌ. وَكَانَتْ تَأْتِي إِلَيْهِ قَائِلَةً: أَنْصِفْنِي مِنْ حَصْمِي! وَكَانَ لَا يَشَاءُ إِلَى زَمَانٍ. وَلَكِنْ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ فِي نَفْسِهِ: وَإِنْ كُنْتُ لَا أَخَافُ اللَّهَ وَلَا أَهَابُ إِنْسَانًا، فَإِنِّي لِأَجْلِ أَنْ هَذِهِ الْأَرْمَلَةُ تَزْعُجْنِي، أَنْصِفُهَا، لِيَلَّا تَأْتِي دَائِمًا فَتَقْمَعَنِي!» وَقَالَ الرَّبُّ: «أَسْمَعُوا مَا يَقُولُ قَاضِي الظُّلَمِ. أَفَلَا يُنْصِفُ اللَّهُ مُخْتَارِيهِ، الصَّارِحِينَ إِلَيْهِ نَهَارًا وَلَيْلًا، وَهُوَ مَتَمَهِّلٌ عَلَيْهِمْ؟ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يُنْصِفُهُمْ سَرِيعًا! وَلَكِنْ مَتَى جَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ، أَلَعَلَّهُ يَجِدُ الْإِيمَانَ عَلَى الْأَرْضِ؟» (لوقا ١٨: ١-٨).

إن الصلاة تشبه التنفس، إنها أمر طبيعي كصراخ طفل، أو كصديقين يتحدثان، أو كطفل يركض نحو حضن أمه. فقد نحتاج أن نتحدث إلى أشخاص نحبهم، وكذلك نحن بحاجة إلى البقاء بجانبهم. لذا في ضوء ما سبق، لابد أن نعترف بأن العديد من المؤمنين يُصلُّون بقدر يكاد يكون ضئيل للغاية، ربما يظنون أنهم لا يعلمون كيف يُصلُّون.

ولكن ما هي الصلاة؟ هي كشخص جائع يُقْبِلُ إلى مائدة الطعام، أو كشخص متعب يحظى بالراحة، أو كفقير يذهب إلى البنك؛ كذلك هي كطفل

يلجأ إلى أبيه، أو كشخص مريض يذهب إلى الطبيب. لذا فنحن مثل التلاميذ بحاجة لأن نتعلم جيداً كيف يجب أن نصلي. فقد سأل التلاميذ الرب قائلين: «يَا رَبُّ، عَلِّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ». سنجد العديد من المبادئ الهامة التي يمكن أن تساعدنا كي ما نصلي، وذلك من خلال المثل الذي ذكره يسوع.

١- ينبغي أن نصلي بشفاافية

ذكر يسوع في ذلك المثل أنه كان هناك أرملة مضطربة، وقد وجهت طلبها إلى القاضي. فعلى ما يبدو أن خصماً قد سبب لتلك الأرملة الأذى بطريقة أو بأخرى، لذا قدمت تلك الأرملة طلبها إلى القاضي. حيث كانت تلتمس مستغيثة: «أَنْصِفْنِي مِنْ خَصْمِي!». فقد كان احتياجه واضحاً أي لم تكن تلك الأرملة مبهمة فيما تقوله، لأنه لا يوجد شيء غامض فيما كانت تطلبه. فهي تعلم ما تحتاجه، ومن ثم أعلنت احتياجه بمنتهى الوضوح.

كان بارتيمائوس رجلاً أعمى، وحينما اقترب يسوع منه، صرخ بارتيمائوس في الحال مستغيثاً به. قال له يسوع: «مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ بِكَ؟»، فأجابه بارتيمائوس بكل وضوح: «أَنْ أُبْصِرَ». يمكن للصلاة أن تصبح عامة، وبالتالي تصبح طلباتنا مبهمة. لذا فعندما نصلي يجب أن نكون محددين وواضحين بشأن احتياجاتنا. لماذا يخشى الناس أن يطلبوا؟ ربما يرجع ذلك إلى عدم الإيمان، فهم لا يعلمون ما قد يفعله الله؛ ربما يكونوا أيضاً متحيرين بشأن الأمر الذي يمكنهم أن يصلّوا من أجله. يمكننا أن نصلي من أجل أي شيء، ليس هناك ما هو صغير جداً أو أكبر من أن تأتي به إلى الله.

إن وجدنا أي أمر يزعجنا من جهة عائلتنا أو أصدقائنا أو بلادنا أو العالم، فلا يسعنا سوى أن نصلي. بينما نتعلم الصلاة، غالبًا ما ندرك أن المشكلة تكمن في أن هناك الكثير من الأمور التي تشغل أذهاننا، والتي نحتاج أن نصلي من أجلها. نجد فيما يدعى بالصلاة الربانية، أنها تشمل كلاً من الأمور الكبرى والصغرى، حيث ذكر فيها الملوكوت إلى جانب الخبز اليومي.

لا يجب أن نطلب حلًا معينًا، لأننا بطبيعة الحال ليس لدينا فكرة عما هو الحل الأفضل لبعض الاحتياجات؛ على الرغم من ذلك يمكننا أن نصلي بإيمان ونأتي إلى الرب بمشاكلنا العويصة قائلين: «لَتَكُنْ مَشِيئَتُكَ»، بالتالي فإن جميع طلباتنا يجب أن تبدأ وتنتهي عند تلك النقطة أي إرادة الله. يجب أن نكون منفتحين وأمناء أمام الرب؛ أحيانًا قد يخفي الأزواج والزوجات العديد من الأمور في عائلاتهم، لكنك لست بحاجة إلى أن تخفي أي شيء عن الله. فهو يعلم كل شيء عَنَّا قبل أن نخبره وكذلك يعلم كل احتياجاتنا قبل أن نطلبها. ربما نصلي بمنتهى الشفافية لكن ربما ما نطلبه ليس بالشيء الأفضل.

نجد في ذلك المثل الذي ذكره الرب يسوع، أنه على الرغم من أن تلك الأرملة لم تكن تعرف ما هي أفضل طريقة لتحصل على العدالة، إلا أنها طلبت من القاضي ملتزمة بإياه أن ينصفها. وعلى غرار ذلك، ربما لا ندرك ما هي الطريقة الأفضل كي يتحقق أمر معين. لكن الله يعرف، ونحن علينا أن نصلي كي ما يستجيب الله لنا في ذلك الأمر. إن محبة الله ورحمته تفوق القضاة الأرضيين، لذا فلنتقدم بثقة إلى عرشه فهو عرش النعمة.

٢- ينبغي أن نصلي باستمرار

يكمُن جوهر ذلك المثل فيما تقوله الآية الأولى: «يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلَا يَمَلُّ». غالبًا ما يَمَلُّ بعض الأشخاص من الصلاة بسرعة، لكن الصلاة ليست للحالات الطارئة أو كاستثناء؛ لكن يمكننا أن نصلي في الأوقات العادية وفي كل يوم. كم من الوقت علينا أن نصلي؟ حتى ننال الاستجابة. فقد صُلِّي بولس من جهة احتياج شخصي، حيث كان يعاني من بعض الأمراض الجسدية، وقد تضرَّع إلى الرب ثلاث مرات كي يزيل «الشوكة التي في الجسد» لكن الرب لم يزلها. كانت إجابة الرب: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي». لذا لم يَعد بولس يطلب من الرب أن يزيل تلك المعضلة، نجد أن بولس قد تضرع حتى نال الاستجابة.

ينبغي أن نصلي كل حين لأن الاحتياجات هائلة، حولنا أشخاص محتاجون إلى الخلاص فقد ضلوا وليس لهم رجاء، وهم بحاجة للخلاص من خطاياهم. إن إحدى أعظم الخدمات التي يمكنك أن تقوم بها، هي أن تصلي من أجل خلاص النفوس. لقد قرأت عن رجل كان يصلي من أجل صديقه كي ما يخلص لمدة تصل إلى حوالي خمسون عامًا، وأخيرًا آمن صديقه بالمسيح. هل تصلي بمثل تلك المدة الكبيرة لأجل شخص ما؟ قرأت مقالًا كان كاتبه يتحدث عن أنه يمكنك السفر من خلال ركبك الساجدة؛ باستطاعتنا أن نذهب إلى عدة أماكن من خلال صلواتنا، حتى إن لم نستطع أن نذهب إليها جسديًا.

ينبغي أن نصلي كل حين لأجل نضوج المؤمنين روحياً، فالمؤمنون الآخرون لديهم نفس المعاناة التي نواجهها؛ فهم يواجهون تجارب وإخفاقات. لذا

فإن أحد أعظم الأمور التي يمكنك أن تفعلها لشخص آخر، هي أن تصلي من أجله. هناك العديد من الأوقات التي نضعف فيها، ومن ثم نحتاج لصديق يقول لنا: «إنني أصلي من أجلك». نحتاج لأن نصلي أيضًا من أجل نضوجنا الروحي، فهناك أمر كتابي بأن ننمو في النعمة ومعرفة ربنا يسوع المسيح. هكذا تصبح الصلاة جزءًا لا يتجزأ من الحياة المسيحية.

إن المثابرة أمر هام لجميع نواحي الحياة، وهذا حقيقي في مجال الرياضة والعمل والتعليم. وبكل تأكيد هذا حقيقي في الحياة المسيحية. «اسألوا تُعْطَوْا. اُطْلُبُوا تَجِدُوا. اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ.» (متى ٧:٧). نجد في اللغة اليونانية أن تلك الأفعال تأتي بصيغة مستمرة، فهي تقول حرفيًا: «اسألوا واستمروا في أن تسألوا، اطلبوا واستمروا في أن تطلبوا، اقرعوا واستمروا في أن تقرعوا»؛ لكننا قد نستسلم بسهولة.

إحدى أفضل الصور التي تجسد الصلاة بلجاجة، هي حينما صلت الكنيسة الأولى من أجل بطرس. فقد كان بطرس محبوسًا في السجن وأما الكنيسة فكانت تصلي بلجاجة من أجل نجاته. بعدها أقبل ملاك الرب، وفتح أبواب السجن، وعندئذ تحرر بطرس، ومن ثم ذهب إلى ذاك المكان الذي كان المؤمنون مجتمعون فيه كي يصلوا لأجله. عندما قرع بطرس الباب، جاءت جارية لترى من الذي يطرق الباب. عندئذ أخبرت الآخرين بأن بطرس واقف قدام الباب، ولكن لم يصدقها أحد. فعلى الرغم من أنهم كانوا يصلون من أجل ذلك الأمر، فعندما حدث ذلك لم يصدقوا ذلك. قد تكون الاستجابة حدثت بالفعل ونحن لا ندركها.

٣- ينبغي أن نصلي بإيمان

قد لا نصلي بإيمان، بسبب اتكالنا على فهمنا أو قدراتنا. نحن في الحقيقة ندرك مدى ضعفائنا، لكن ينبغي أن نضع ثقتنا في الرب. نحن نعلم ما يمكنه فعله، وما وعد به. فعندما نثق في الرب، لن نستسلم للتأجيل، ولن ننساق في طرق معوجة، ولن تعيقنا إخفاقاتنا. لكننا نعلم أن الله يعرف ما هو الأفضل لنا، وما هو لصالحنا، وذلك حين نثق فيه.

قرأت ذات مرة عن بعض الرجال في القطب الشمالي، كان قائدهم قد تركهم لبعض الوقت؛ لكنه أخبرهم بأنه سيعود في وقت معين. على الرغم من أن القائد تأخر، لكن لم يبدو عليهم القلق. فقد وثقوا بقائدهم عالمين أنه سيعود، كانوا مستعدين ومتيقنين.

لدينا كل الأسباب التي تجعلنا نثق بالرب. أليس هذا هو المغزى من هذا المثل؟ يمكننا أن نجد المقصود من المثل في سفر الأمثال: «تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِكَ، وَعَلَى فَهْمِكَ لَا تَعْتَمِدْ. فِي كُلِّ طُرُقِكَ أَعْرِفْهُ، وَهُوَ يَقُومُ سُبُلَكَ.» (أمثال ٣: ٦-٥). نجد أن المقطع الذي يقول: «تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ» هو أشبه بسيمفونية عذبة تتكرر كنغمة من حين لآخر.

ينبغي أن يصبح اتكالنا على وعود الرب. تخبرنا تلك الوعود كيف نصلي، وما الذي نتوقعه، وما الذي قد يفعله الرب. توجد العديد من الوعود التي لا حصر لها في الكتاب المقدس والعديد منها يخبرنا عن الصلاة. حينما تقرأ إحدى تلك الوعود فإنك بذلك تجد ملاذًا لتصلي. اجعل من وعود الرب أن تصبح حدود صلاتك وليس كحدودك أنت.

فما فعله الرب لأجلنا يحفزنا لنصلي. كان الرجال والنساء المذكورين في الكتاب المقدس مثلنا تمامًا. فقد واجهوا المعاناة مثلنا، اختبروا أوقاتًا عصيئة مثلنا، عرفوا معنى الفشل، ومع ذلك كانوا يصلون، وبينما كانوا يصلون كان الرب يفعل أمورًا عظيمة وعجيبة. «وَلَمَّا صَلَّوْا تَزَعَزَعَ الْمَكَانُ الَّذِي كَانُوا مُجْتَمِعِينَ فِيهِ، وَامْتَلَأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ بِكَلَامِ اللَّهِ مُجَاهَرَةً.» (أعمال الرسل ٤: ٣١).

إن أفضل طريقة لتعلم كيف نصلي هي أن نبدأ في أن نصلي. ينبغي أن نصلي بشفافية، باستمرار، وبإيمان. فلا داعي أن تستخدم لغة معينة. إن الصلاة هي حوار؛ حيث أنك تتحدث إلى الرب. لسنا بحاجة إلى أن نلقي خطابًا، لكن كما فعلت تلك الأرملة يمكننا أن نتقدم بثقة وباتضاع. فقد لجأت تلك الأرملة إلى قاض قاس، أما نحن فنقبل إلى أب محب.

الفصل العشرون

الهدية العظمى

«فَشْكُرًا لِلَّهِ عَلَى عَطِيَّتِهِ الَّتِي لَا يُعَبَّرُ عَنْهَا.» (٢كورنثوس ٩: ١٥)

هل تحب تَلَقِّي الهدايا؟ أنا أحب ذلك. هناك عدة مناسبات نتلقى فيها الهدايا، والكريسماس واحد من تلك المناسبات. أعياد الميلاد وحفلات الزفاف هي أيضًا أوقات لتلقي الهدايا، وهناك مناسبات نتلقى فيها هدايا رائعة حتى بدون أسباب.

توجد هدية واحدة تتفوق على بقية الهدايا. إذا ما فكرنا في أي هدية محتمل أن نتلقاها، فلا هدية تقارن بتلك الهدية، ولو بحثنا في الكون كله، فلن نجد هدية أعظم منها؛ ولو أعطاك الله الكون كله، فلن يقارن بتلك الهدية. قال ستيفن تشارنوك Stephen Charnock أن حكمة الله لو قامت بدراسة ملايين الأمور الأبدية، فلن تجد هدية أعظم من هذه. والهدية التي نتحدث عنها هنا هي عطية يسوع المسيح.

الموضع الوحيد في العهد الجديد الذي ورد فيه تعبير «لَا يُعَبَّرُ عَنْهَا» هو في الآية السابقة. وهذه الكلمة لها عدة ترجمات: «لا تقارن»، «لا تقدر بثمن»، «تفوق الكلمات». فيسوع هو عطية تفوق الكلمات، هو الهدية التي لا تُوصف، هو أعظم هدية. إن أعظم موسيقانا عنه هو، وأعظم أدبياتنا عنه

هو، أعظم كاتدرائياتنا عنه هو. مهما وصفناه، فهناك ما هو أبعد من الوصف عنه لم نقله بعد. تسبيحاتنا عنه هي بمثابة ثرثرة أطفال، فهو دائماً ما يتخطى إلى ما هو أبعد من كلماتنا وأفكارنا.

١- الهدية العظمى دائماً جديدة

العديد من الهدايا التي نتلقاها سرعان ما تصبح قديمة ويجب إلقاءها بعيداً، فالناس يلقونها في القمامة أو يبيعونها في الساحات، وسرعان ما تصبح ذكرى. نرى هذا بين الأطفال، ففي وقت الكريسماس يتلقون هدايا للعب بها، ولا تلبث هذه الألعاب أن تصبح قديمة ثم يفقد الأطفال شغفهم بها. وهذا ليس هو الوضع مع يسوع، فهو لا يصبح ذكرى بالية «يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الْأَبَدِ». (عبرانيين ٨:١٣). فيسوع دائماً عطية جديدة. ربما نعتقد أن هدايا البشر غير شيقة ومملة، ولكن ليس هذا هو الوضع مع يسوع. لقد دعانا إلى خبرة جديدة، لمواضع جديدة، لأمر أبعد بكثير من أعظم تخيلاتنا.

إذا كنت تبحث عن الإثارة، عن التحدي، عن النُّضارة، فهناك موضع واحد ستجد ذلك فيه وهو يسوع. هو عطية الله العظمى لنا. لا حدود للمسيح، ففي إنجيل يوحنا يقول أنه لو كُتبت كل الأشياء التي صنعها يسوع في كتب، لما استطاع العالم كله أن يحتوي كل المكتوب. عندما تقابل بعض الأشخاص، تشعر وكأنك تعلمت كل الأشياء التي تريد أن تعرفها عنهم. هذا ليس هو الوضع مع يسوع المسيح. فكلما تعلمنا أكثر، كلما أردنا أن نعرف أكثر. كلما قضينا وقت معه، كلما وجدناه أكثر روعة.

هل تريد الحب؟ ستجد الحب في المسيح، ولكن أبعد بكثير مما تستطيع أن تفهمه. فحبه لن يبلى، وستصبح مندهشًا باستمرار في حبه. تحدث بولس عن هذه «المحبة فائقة المعرفة». فهي تصل لأعلى بكثير مما نستطيع أن ندرك، وتصل لأدنى بكثير من قدراتنا على التفكير. إنها تصل لعرض أكبر مما يستطيع شخص قياسه، فليس حب مثل حب يسوع، فهو يفوق جميع الحسابات.

هل تريد الفرحة؟ هناك أفراح في المسيح لن تخذلك أبدًا. فمشكلة الأفراح الأرضية أنها زائلة ولا تستمر. قد نستمع إلى موسيقى حفل أوراتوريو من أوركسترا سيمفوني وكورال فتُلهِمنا، بل ترتفع بنا فوق الأمور الدنيوية التي تمر بنا في الحياة يوميًا، لكنها سرعان ما تتحول إلى ذكرى، عندئذ تنهار آمالنا وكأننا نهبط من السماء إلى الأرض. في (١ بطرس ٨: ١) «بَفَرَحٍ لَا يُنطَقُ بِهِ وَمَجِيدٍ». ففي أول كريسماس تحدثت جوقة الملائكة عن الأخبار السارة بفرح عظيم، وهذا هو سبب ترنم المؤمنين، فنحن نتغنى بسبب الفرحة الذي لنا في المسيح.

هل تريد السلام؟ في المسيح هناك سلام مثالي. فهو ليس كسلام القبر، وهو ليس سلامًا قابلاً للكسر مثل انقضاء الهدنة. إنه سلام الله، ويتحدث عنه بولس قائلاً: «وَسَلَامُ اللَّهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلٍ». (فيلبي ٤: ٧). يتحدث الكثير من الرجال والنساء عن التركة التي سيتركونها ورائهم، وتركه المسيح لنا هي السلام، قال يسوع: «سَلَامًا أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلَامِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا. لَا تَضْطَرِّبُ قُلُوبَكُمْ وَلَا تَرْهَبُ» (يوحنا ١٤: ٢٧).

هناك نَصَارَة أبدية في يسوع، مهما كان العمر أو مهما كان العرق، فيسوع قادر على جلب الرضا. عندما يدخل إلى الحياة، تأتي أيضًا جميع الخيرات

الأخرى. إنه عطية العطايا، فهو الحياة الأبدية، وهو الحياة المتدفقة. استقبل هدية المسيح وستحصل على تلك الأمور الجديدة دائماً.

٢- الهدية العظمى دائماً مجانية

بعض الهدايا يتم تقديمها بدافع الإحساس بالالتزام. بعض الناس قد يقولون أنك كسبت مثل هذه الهدية، وربما يقدم المدير هدايا لموظفيه؛ فهو يقدم بسبب علاقته بهم، ويقدم لأنه يحس بأنه ملزم بالعطاء.

إن أعظم الهدايا على الإطلاق أتت من محبة الله، فلا شيء من جانبنا يجعلنا مستحقين لهديته، وبكل تأكيد ليس هناك شيء من جانب الله يُلزمه بتقديم هديته، بل سيكون أمراً مثالياً إذا ما أباد الجنس البشري تماماً وبدأ في إنشاء غيره. فلمن أرسل الله يسوع؟ إلى الناس الذين كانوا في صراع ضده، الناس الذين كرهوه، الناس الذين كانوا على أفضل حال هم أعداء، للخطاة والمتعدين في تمرد. نحن لا نستحق مثل هذه الهدية، والله يقدم لنا ابنه بكل حرية. « أَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ. » (يوحنا ٣: ١٦)

ليس الأمر أن يسوع جاء للإنسان وهو في أفضل حالاته، بل عندما كان في الأسوأ. وما الذي فعله الإنسان بهدية الله؟ لقد سَمَّره في الصليب! بل أن بعض المتدينين يحاربون ضده أكثر من غيرهم، وقد شعروا بالتهديد من وجوده، بينما في قاع المجتمع تواجد الأشخاص الذين تجاوبوا معه وتبعوه. العديد من الناس تجاهلوه، في الوقت الذي بحث عنه آخرون لأنهم رأوا

فيه الشخص القادر على ملء بطونهم بالخبز. القادة السياسيون ضعاف الشخصية لم يرحبوا بتهديد وجود ملك آخر.

لا يمكننا أن نعمل للحصول على هذه الهدية، فالله لا يعطنا يسوع لأننا نحقق مقاييس دينية محددة أو أهداف أخلاقية مُقاسة. فنحن جميعًا لا نلبي مقاييس الله، لقد فشلنا في أن نحب الله بدرجة كبيرة وفشلنا في أن نحب من حولنا كما ينبغي. في السجن ستجد العديد من الناس الذين تورطوا في جرائم مختلفة، وهم مازالوا مدانين، لا يَهْمُ إلى أي مدى نحن جيدون، فنحن سقطنا بدرجة كبيرة أمام مقاييس الله. لن نخلُصَ بجهودنا الذاتية أو أعمالنا. فهدية الله مجانية، والأمر كله يتم بنعمته؛ فالذي لا تستحقه، يمنحه الله مجانًا.

أتلقى اتصالًا تليفوني بشكل موسمي من شخص يَعْرِضُ رحلة مجانية إلى مكان ما أو جهاز مجاني من نوع ما، وعندما أتلقى مثل هذه المكالمات، أدرك أن هناك فخ ما، فالناس لا يقدمون تقديرات مثل هذه بلا مقابل. لكن لا قيود مرتبطة بهدية الله، فهي مجانية «لأنَّكُمْ بِالنُّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالْإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلًا يَفْتَخِرَ أَحَدٌ.» (أفسس ٢: ٨-٩).

٣- الهدية العظمى دائمًا مكلفة

الأشخاص الأثرياء ربما يقدمون هدايا مما هو فائض لديهم، ولكن هذا لا يكلفهم أي شيء. فلا يوجد أي تضحية مقدمة. الأب والأم قد ينكرون ذواتهم في أشياء كثيرة ليعطوا شيئًا لأطفالهم، وهذا يكلفهم بعض الشيء.

عندما أعطى الله ابنه يسوع، أعطانا نفسه. وهذا معناه التضحية والمعاناة. لا يمكننا أن نفهم ما يعنيه الأمر ليسوع أن يترك السماء ويصير إنساناً، فالكتاب يقول أنه افتقر من أجلنا، لقد تخلّى عن أمجاد السماء ليُصبح فقيراً على الأرض. «فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمْ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ.» (كورنثوس الثانية ٩:٨). والآن هذا أمر مكلف.

إن يسوع يسكن السماء بمجد وحب يفوقان الوصف، بينما تم التعامل معه على الأرض كمجرم عادي. على الرغم من أنه كان ملك السماء، وُضِعَ عليه إكليلاً من الشوك للسخرية منه. على الرغم من أنه خلق الأشجار منذ البدء، تعلق بالمسامير على خشب الأشجار. على الرغم من أنه تحدّث بكل رقة وصبر، عاقبه البشر بالموت الشنيع. على الرغم من كونه صالحاً وصنع عدداً هائلاً من المعجزات لا يمكن احصاءه، إلا أن الناس طالبوه أن يصنع معجزة وينزل عن خشبة الصليب.

نعم، عندما أرسل الله يسوع ليخلصنا، عندئذ أعطانا أفضل هداياه، أكثر هدية مكلفة له. لقد أعطانا الطريق، الحق، والحياة. أعطانا الطريق للسماء، أعطانا نور العالم، أعطانا خبز الحياة وماء الحياة، أعطانا الراعي الصالح، أعطانا الألف والياء، البداية والنهاية، لقد أعطانا ليس مجرد ملك، بل ملك الملوك.

٤- الهدية العظمى دائماً نافعة

العديد من الهدايا لا نريدها وربما حتى نلقيها في القمامة، بعض الهدايا

قد لا نحتاجها وربما نعطيها لشخص آخر، بينما هدية الله ليست كذلك. لا يمكننا أبدًا القول بأننا لا نحتاج هذه الهدية، ربما لا نستقبل هذه الهدية، ولكن هذا ليس بسبب عدم احتياجنا لها.

لقد أُعْطِيت لنا هدية الله بسبب حالتنا الروحية البائسة. فنحن في حاجة إلى غفران خطايانا، والمسيح أتى كي يغفر لنا. نحن في حاجة إلى حياة روحية، والمسيح أتى كي يعطينا الحياة الأبدية والحياة الجديدة. نحن في حاجة إلى علاقة صحيحة مع الله، والمسيح أتى كي يجعل هذه العلاقة ممكنة. نحن في حاجة للدخول إلى ملكوت الله، والمسيح أتى كي يجعلنا مواطنين في ملكوته. نحن في حاجة إلى عضوية في عائلة الله، والمسيح أتى كي يُحْضِرنا إلى عائلته.

لم يأتِ المسيح بغرض الزيارة، بل أتى ليحيا معنا للأبد، أتى ليمشي معنا. في الوقت الذي كنا نحمل فيه أثقالًا، أتى هو ليحملها. حين كنا في أحزاننا، أتى كي يريحنا. عندما كنا مرفوضين من أقرب الناس إلينا، أتى كي يقف بجوارنا. «إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلْ إِلَيْهِ وَاتَّعَشَّ مَعَهُ وَهُوَ مَعِي.» (رؤيا يوحنا ٣: ٢٠). كم أحب كلمات الترنيمة التي لم نعد نسمعها كما في السابق والتي تقول:

نحكي معًا كالخيل للخليل

ربي معي يسير في المروج

نمشي معًا بفرح جزيل

يُضْمِنِي بِمَرْحٍ بِهِيج

لن يُصْبِحَ يسوع أبدًا متقادمًا، بل هو دائمًا ما يسبقنا، هو دائمًا رائد، هو دائمًا يفوقنا في المعرفة والحكمة. إنه هدية الله العظمى لنا، هو دائمًا جديد،

هو هدية مجانية، هو هدية مكلفة، وهو الهدية النافعة. هو الهدية التي يمكننا جميعاً أن نتلقاها. كي تستمتع بهدية ما عليك أن تأخذها؛ العديد من الناس سمعوا عن هدية الله، ولكنهم فشلوا في أن يأخذوا تلك الهدية، فقد انتظروا وانتظروا لوقت أفضل، والبعض الآخر فكروا بأن مثل تلك الهدية الرائعة ربما لن تكون لهم، وقد كان أملهم في أن يكونوا جيدين بما يكفي لاستحقاق تلك الهدية. في كل الأوقات ظلت تلك الهدية مجانية. فهيا أخرج واستقبل هدية الله، الهدية الأفضل. استقبل يسوع المسيح كمخلص ورب!

الفصل الحادي والعشرون

العودة إلى الديار

«لَا تَضْطَرِّبْ قُلُوبَكُمْ. أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ فَأَمِنُوا بِي. فِي بَيْتِ أَبِي
مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ، وَإِلَّا فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ. أَنَا أَمْضِي لِأَعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا،
وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعَدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَأَخَذُكُمْ إِلَيَّ، حَتَّى حَيْثُ
أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا،» (يوحنا ١٤: ١-٣)

هل تعتقد أن السماء هي مكان غريب أو مغاير؟ هناك رسم كاريكاتوري يصور الناس وهم جالسين على السحب بينما يلعبون على القيثارات، ويعتقد البعض أنك ستصبح ملاكًا، فهم يعتقدون أن السماء هي بمثابة مكان غير معروف تمامًا، ولا علاقة له بالحياة هنا؛ ولكن الخبر السار هو أن أيًا من تلك الأفكار ليست مضبوطة. فلا يمكن للكتاب المقدس أن يقود المرء إلى مثل هذه الاستنتاجات. لأن السماء في المسيحية هي ببساطة العودة إلى الديار، هي العودة إلى بيت الآب، المكان الذي لطالما نشأت أن نكون فيه.

قال يسوع أنه يمضي ليعيد لنا مكانًا، كما قال أن في بيت الآب توجد منازل كثيرة؛ وذلك يخبرنا الكثير عن السماء. سوف لا نشعر بالغربة هناك. لكنها ستكون موطنًا لنا. سنشعر أن هذا هو المكان الذي كنا دائمًا نبحث عنه ونحن على الأرض، ولكننا لم نتمكن من العثور عليه.

١- العودة إلى الديار بعد أن تكون مسافرًا لمدة طويلة

نحن هنا مسافرون. إننا كالرحالة نعيش في مساكن مؤقتة، في خيام. يقيم المسافرون في العديد من الفنادق أو المنازل المختلفة، لكنهم في حالة تنقل دائم؛ وعندما تكون بعيدًا عن المنزل، فإن أكثر ما ترغب فيه هو العودة إليه. إنني أقوم بالعديد من الرحلات الطويلة، وأحيانًا أظل مستيقظًا لمدة ٤٠ ساعة أو أكثر حتى وصولي إلى المنزل، لكن أكثر ما يشغل ذهني هو العودة إلى المنزل.

تصف الرسالة إلى العبرانيين في الإصحاح الحادي عشر رجال ونساء الإيمان بأنهم كالرحالة والغرباء؛ فعندما تذهب إلى بلدان أخرى، غالبًا ما تشعر بهذه الحقيقة كثيرًا. حيث تكون اللغة مختلفة والعادات مختلفة، فتدرك بذلك أنك لا تنتمي إلى هناك. ربما نشعر بالارتياح كثيرًا هنا. تقول الترنيمة القديمة - التي نادرًا ما نرغها الآن - ولكنها تعبر عن حقيقة هامة للغاية. «هذا العالم ليس ديارى، أنا مجرد عابر سبيل». يعيش الرحالة بشكل مختلف عن غيرهم، عيونهم متجهة نحو الوطن، فهم يعيشون ويعملون في ضوء ديارهم في نهاية الرحلة.

يستخدم الكتاب المقدس العديد من الاستعارات لإظهار قصر الحياة هنا. فحياتنا كالبخار أو الظل، التي سرعان ما تضيع. فإذا حاولنا بناء مسكن دائم كموطن لنا على الأرض، سنصاب بخيبة أمل. إن فعل ذلك كبناء منزل على الرمل الذي يزول. ولكن عندما نضع تركيزنا على بيتنا السماوي، فإننا نرى الأشياء من منظورها الصحيح ونحن هنا على الأرض. البيت هو مكان

مبهج ومفرح ومريح. سيكون دارنا السماوي مثل ذلك بل وأكثر بكثير، والفرح سيكون هو المناخ الدائم في السماء.

٢- العودة إلى الديار عندما تكون بعيداً في الحرب

يالها من عودة إلى الوطن عندما يعود الرجال والنساء من القتال في الحروب، فيتم الترحيب بهم، وغالبًا ما تكون هناك احتفالات صاخبة. كذلك نحن جنود روحياً، والمعارك الروحية محتدمة، شديدة ومرهقة، وأحياناً ما نُصاب في تلك المعارك. ولكن عندما تنتهي الحرب، تبدأ مسيرات الاحتفال بالنصر، ويبتهج الجميع، يركض أفراد العائلة ترحيباً بعودة الآباء والأمهات لديارهم؛ وهذا هو الحال عندما نذهب إلى بيتنا السماوي. ياله من ترحيب ينتظرنا هناك. «قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الْإِيمَانَ، وَأَخِيرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهْبُهُ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ، وَلَيْسَ لِي فَقْطُ، بَلْ لِكُلِّمِجِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضًا» (تيموثاوس الثانية ٤: ٧-٨).

لذلك لا نحزن عندما يأتي الموت، فربما يكون هناك كرسي فارغ على الطاولة، وربما يكون هناك حزن عميق. فالحزن حقيقة، حيث تندفق الدموع بغزارة، نتطلع إلى سماع هذا الصوت مرة أخرى. ولكن علينا أن ننظر إلى ما وراء هذا الحزن والأسى. عليك أن تقول: «أنها في المنزل». وأني أيضاً سأعود قريباً إلى المنزل. فالمعركة ستنتهي قريباً. تخيل اللحظات السعيدة لمن تحبهم، احسب أضعاف هذه اللحظات بملايين المرات وستظل بعيداً عن فرح السماء الحقيقي.

ربما تواجه مرضًا مستعصيًا الآن، وربما تصارع مع مرض يهدد الحياة. في واقع الأمر جميعنا نواجه مرضًا مستعصيًا، جميعنا سنموت؛ ولكن المسيح هو طريق الديار. فقد قال: «أنا هو الطريق والحق والحياة»، ونحن في المسيح نتطلع إلى الديار في نهاية الحرب.

٣- العودة إلى الديار عندما تكون متعبًا من العمل

جميعنا نعلم كيف يكون التعب الشديد بعد يوم عمل شاق. البعض يعملون في وظيفتين لإعالة أسرهم. وبعض النساء يعملن في وظيفة بدوام كامل فقط ليعودوا إلى المنزل من أجل المزيد من العمل، وهن في الغالب متعبات ومرهقات، وما يتوقون إليه فوق أي شيء هو الراحة. لكن السماء مكان لن يكون العمل فيه متعبًا، والراحة ستكون منعشة.

لن يكون دارنا السماوي أقل من دارنا الأرضي، بل سيكون أكثر بكثير. نقرأ أحيانًا في نعي شخص ما، أنه دخل إلى راحته في يوم معين، وراحة السماء لن تكون راحة الموت؛ فهي ليست راحة (من شيء ما) فقط بل هي الراحة بذاتها. ليس الخمول بل الإنجاز والانتهاء. سيكون هناك سلام حقيقي، سلام مع الرب، وسلام مع الآخرين، وسلام مع أنفسنا.

كانت إحدى نتائج خطية آدم هي أن عمل الإنسان أصبح شاقًا، ومؤلمًا. ولكن في السماء العمل سيكون مختلفًا. سيكون العمل مريحًا، وممتعًا؛ لن يستنزفنا ولكنه سيرفعنا، وسيزول الألم. عندما نقول وداعًا هنا، هناك يقولون مرحبًا. يخبرنا يسوع كيف يجب أن نفكر في دارنا السماوي، ويقول أنه مكان

مُجهز. لذلك يجب أن يكون مكاناً جميلاً، فحقيقة قول يسوع أنه «بيت أبي» تجعلنا نعرف أنه هو كل ما نريده أو نحتاجه.

إذا سألنا المسافر المتعب: «إلى أين أنت ذاهب؟»، يجيب: «إنني عائد إلى الديار». وإذا سألنا الجندي العائد من الحرب: «إلى أين أنت ذاهب؟»، يجيب: «إنني عائد إلى الديار». وإذا سألنا العامل المُنْهَك: «إلى أين أنت ذاهب؟»، يجيب بسرعة: «إنني عائد إلى الديار». وإذا سألت المسيحي: «إلى أين أنت ذاهب؟»، يجيب بسرور: «إنني عائد إلى الديار». فهل أنت عائد للديار؟

الفصل الثاني والعشرون

أين هي حياتك؟

«فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا فَوْقَ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللَّهِ. اهْتَمُّوا بِمَا فَوْقَ لَا بِمَا عَلَى الْأَرْضِ، أَنْتُمْ قَدْ مِتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتْرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللَّهِ. مَتَى أُظْهِرَ الْمَسِيحُ حَيَاتَنَا، فَحِينَئِذٍ تُظْهِرُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ فِي الْمَجْدِ.» (كولوسي ٣: ١-٤)

أين تسكن؟ ربما تقدّم لي عنوانك وتقول لي بأنك تسكن هناك، وربما تذكر فقط اسم مدينتك. فمكان سكنك هو المكان الذي تقضي فيه أغلب وقتك، هناك يكون أصدقاؤك، وهناك يكون عملك. ربما نفكر في هذا السؤال بطريقة أخرى. بعض الشباب يعيشون في عالم ألعاب الفيديو، والبعض الآخر يعيشون في عالم الرياضات، والقليل من الناس يعيشون في عالم السياسة.

بالنسبة للمسيحيين، فنحن نسكن في المسيح. استخدم بولس عدة مرات هذا التعبير «في المسيح». وفي النص الذي ذكرناه يقول: «المسيح حياتنا». فالمؤمنون يستطيعون أن يقدموا إجابتين للسؤال «أين تسكن؟»: يمكننا تقديم عنواننا المادي، ولكن يمكننا أيضًا تقديم عنواننا الروحي. وعنواننا الروحي هو موضوع حديثنا اليوم.

١- التفكير في السؤال وما يتعلق بنقطة البداية

أشار بولس إلى الموت، والدفن. فقد قال: «أنكم قد مُتُّم.» فنحن متنا مع المسيح، ونحن مرتبطون به في موته وقيامته. وهذا الأمر بالمثل تمامًا كما لو كنا عُلقنا على الصليب وأقمنا من الموت. عندما نقبل المسيح، يصبح هناك موتًا وقيامَةً. وهذه هي الصورة التي تظهر في معمودية المؤمن. فعندما ننزل في الماء، فنحن نعبر عن موتنا عن الحياة القديمة؛ وعندما نخرج من الماء، فنحن نعبر عن قيامتنا إلى الحياة الجديدة. «مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لَا أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الْآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الْإِيمَانِ، إِيْمَانِ ابْنِ اللَّهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لَأَجْلِي.» (غلاطية ٢: ٢٠).

من خلال موت المسيح وقيامته تم خلاصنا، وقد ارتبطنا به. فعندما نأتي بتوبة وإيمان، فحينئذ هناك موت؛ نتحول عن الحياة القديمة، ويرانا الله في المسيح. فالمسيح لم يمت عن خطايه لأنه لم يكن له خطايا ليموت عنها، لقد كان موتًا بدليًا. فما حدث للمسيح حدث لنا. إذا تألم رأسك، فجسدك كله يتألم؛ وبالمثل فقد استشرت خطية آدم إلى جميع البشر، ومن ثم فقد تَدَنَسَ الجنس البشري. إذاً فموت المسيح جعل من الممكن أن ينتفع الجميع رجالًا ونساءً من هذا الموت.

لقد أخبرنا يسوع عن كيفية بداية هذه الحياة الجديدة، وقد أخبر رجلًا متدينًا وهو نيقوديموس بأنه ينبغي أن يولد ثانية؛ ونحن لا نهب الولادة لأنفسنا، فهو شيء يصنعه روح الله بداخلنا. فعندما نقبل المسيح بالإيمان، يدخل المسيح ويجلب الحياة الجديدة، وأما ما يتعلق بالماضي، فإن حياتنا

ابتدأت في المسيح. فلا أحد يُولد ولادة روحية حتى يأتي إلى المسيح. والبداية أمر هام جدًا، ولكن ليست لها كل الأهمية. فلا يجب أن نتوقف عند نقطة البداية، فمن الخطأ التفكير والحديث عن الحياة المسيحية فقط في الماضي. بعض الناس يفعلون هذا بينما يروون شهاداتهم، فهم فقط يخبرون عما كان.

٢- التفكير في الإجابة وما يتعلق بالاستمرارية

ربما تكون مؤمنًا لعدة سنوات، ولكن بالنسبة لك وأيضًا للمؤمن حديث العهد بالإيمان؛ ستكون الإجابة هي نفسها: المسيح حياتنا اليوم. ونحن نستمر في السير مع المسيح. تحدث بولس عن حقيقة: «وحياتكم مستترة مع المسيح في الله». لأن حياتنا في المسيح، فالعالم لا يرانا كما نحن في الحقيقة، فضعفاتنا وسقطاتنا تتداخل.

والآن هو وقت التطور والنمو الروحي. الآن وقت المدرسة، وقت المعركة، ووقت العمل. فلن تجد شجرة البلوط تنمو في غضون ليلة واحدة، بل تستغرق وقتًا لتنمو وتزدهر، ينبغي أن تتلقى التغذية وتُختبر في مواجهة الرياح القوية. عندما ننظر إلى أنفسنا ربما نرى القليل من النمو الروحي. إذا قمت بقياس طول ابنتك كل يوم، فلن تلاحظ النمو؛ لكن انتظر لمدة عام وقم بالقياس، عندئذ ستدرك مدى نموها. إنه من الجيد أن تمارس بشكل مستمر «التحديق المفرط»، وتتساءل: «هل أنهم روحيًا؟».

لاحظ الأمرين اللذين وردا في النص: «فَاطْبُؤْا مَا فَوْقُ»، «اهْتَمُّوا بِمَا فَوْقَ». فينبغي أن نحيا الحياة السماوية من الآن، ينبغي أن نحيا كما لو كنا

بالفعل في السماء. يجب أن تكون أعظم رغباتنا هي مسرة الله. أن نكون ما يريد هو منّا أن نكونه. فالمسيح يكره الخطية، وكذلك ينبغي أن نكون نحن. المسيح يحب البر، وكذلك ينبغي أن نكون نحن. المسيح يحب المنبوذين والمضطهدين، وكذلك ينبغي أن نكون نحن.

دعنا نفترض أننا وضعنا بعض البيض تحت دجاجة أم، وجميع هذا البيض عدا واحدة خاص بالدجاج، وبيضة واحدة فقط خاصة بالبط؛ ماذا سيحدث عندما نفقس بيضة البط؟ ستأكل هذه البطة مع الدجاج، ولكن عندما تأتي إلى النهر ستذهب هذه البطة إلى الماء وتغوم، بينما يشرب الدجاج من الماء. لماذا؟ لأن طبيعتها مختلفة. كمؤمنين نحيا في هذا العالم، ربما نشبه باقي الناس، نأكل نفس الطعام كباقي الناس، ونعيش في نفس نوع المنازل؛ ولكن هناك فرق أساسي وهو أننا نحيا في المسيح!

كما أن وجود المسيح ضرورياً لبداية الحياة الروحية، فمن الضروري وجوده لاستمرارية حياتنا الروحية. فأفكارنا وكلماتنا وأفعالنا يجب أن ترتبط بالمسيح. كما نصلي بكلمات الصلاة الربانية فنقول: «لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لَتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ.»، ينبغي أن نتذوق الأمور السماوية في يومنا هذا. الحياة المسيحية هي واقع معاصر، فبدون المسيح ستصبح حياتنا اليوم فارغة. نحن نتكل عليه بالأحرى اليوم كما في بدايتنا الأولى معه.

٣- التفكير في السؤال وما يتعلق بالاكتمال

عندما يتعلق الأمر بالمستقبل فالمسيح حياتنا. لا نعلم الكثير فيما يخص

المستقبل، ولكن هذا الكثير نعلمه بالفعل؛ فالمستقبل هو حياة مع المسيح. بعض الناس لا يريدون التفكير في المستقبل، فهو يخيفهم، وهم يرون فقط الأمور الغامضة. المؤمنون ينظرون إلى المستقبل من خلال المسيح، فمهما يحدث، نحن نعلم أن كل الأمور مرتبطة بما يحدث للمسيح؛ وبدون المسيح، لا رجاء في المستقبل لنا، ولهذا فالمستقبل سيكون المزيد من الحياة مع المسيح.

بالنسبة لبولس والمؤمنين الأوائل فقد ارتبط رجاءهم بمجيء المسيح الثاني. أخشى أن مؤمنو اليوم قاربوا على تغافل هذا التعليم الهام، بينما لا ينبغي علينا هذا حيث أنه مذكور في عدة مواضع في العهد الجديد، ينبغي ألا نفرغ هذا التعليم من مضمونه الروحي ليصبح كلا شيء. لقد وعد يسوع بأنه سيعود بشخصه إلى الأرض، فلا مجال هنا للخطأ فيما علّم به يسوع وآمن به المسيحيون الأوائل. لقد علّم يسوع تلاميذه أن يترقبوا مجيئه، ونحتاج أن نتذكر أن المسيح يمكن أن يأتي اليوم، فنحن لا نعرف متى سيحدث هذا.

إن مجي المسيح الثاني سيكون وقتًا لتجلي المسيحي، فسنظهر مع المسيح في المجد. لقد تكلم بولس بالفعل عن حياتنا المستترة مع المسيح في الله، كما تحدث يوحنا الرسول عن تجلي حياتنا «أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ، الْآنَ نَحْنُ أَوْلَادُ اللَّهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدَ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لِأَنَّنَا سَرَاهُ كَمَا هُوَ.» (يوحنا الأولى ٢:٣). فمن البدء كان هذا هو هدفنا، أن نكون مشابهين ليسوع، وسندرك هذا عندما يأتي المسيح ثانية.

إذا فتوقعات المؤمنين بخصوص المستقبل موجودة في المسيح. إن المسيح هو البداية وهو أيضًا النهاية التي ننظر إليها. جميع الوعود العظيمة

سندركها، ونصل إلى الإثمار. جميع صراعاتنا وتجاربنا ستبطل. فאלله يعمل على تحقيق غرضه لنا، وينظر ليس فقط إلى ما كنا عليه، أو إلى حيث كنا، بل ينظر إلى أين نذهب.

نحن نحيا في المسيح. وقد بدأنا مع المسيح، نستمر مع المسيح، ويومًا ما سنكون مع المسيح. يمكننا التعبير عن الأمر بهذه الطريقة: لقد تمَّ خلاصنا، نحن مخلصون، وسنخلص في المستقبل. ففي المسيح نجد الموضوع الأكثر أمانًا. قبل أن يتسلل الشيطان إليك، ماذا عليه أن يفعل بينما حياتك مستترة مع المسيح في الله؟ أولًا عليه أن يتغلب على المسيح، ثم عليه أن يتغلب على الله. فبدون المسيح، لا شيء لدينا. بدون المسيح، لا يمكننا فعل شيء. بدون المسيح، لا نتوقع شيئًا. أين هي حياتك؟ في المسيح حيث المكان الوحيد الذي ينبغي أن تكون فيه.

الفصل الثالث والعشرون

شعب الله

«وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلَوِّكٌ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبٌ اقْتِنَاءٌ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ. الَّذِينَ قَبْلًا لَمْ تَكُونُوا شَعْبًا، وَأَمَّا الْآنَ فَأَنْتُمْ شَعْبُ اللَّهِ. الَّذِينَ كُنْتُمْ غَيْرَ مَرْحُومِينَ، وَأَمَّا الْآنَ فَمَرْحُومُونَ.» (بطرس الأولى ٢: ٩-١٠)

ما هي مكانة الكنيسة اليوم؟ هل نحتاج حتى إلى الكنائس اليوم؟ بعض الناس قد يقولون: «لا». فهم يعتقدون أنهم يستطيعون أن يعيشوا الحياة المسيحية بدون الكنيسة. هؤلاء تنطبق عليهم التسمية «المسيحيون المنعزلون». من السهل استهداف الكنائس بالنقد، فهناك كنائس ليست بكنائس، هي فقط تجمعات دينية غير مُخْلِصة للإنجيل الذي من المفترض أن تؤمن به. وهناك الكنائس ذات الطبيعة الهرطوقية، بل حتى الكنائس المرتكزة على الإنجيل غالبًا ما يكون لديها عدة أخطاء، فلا يمكننا الإشارة إلى كنيسة واحدة كاملة.

كل هذا صحيح، ولكن يسوع هو من أسس الكنيسة. لقد أحب الكنيسة، وهو من قال أن أبواب الجحيم لن تقوى على الكنيسة. بعض الأحيان يكون هناك زوائناً وسط الحنطة. أحيانًا يكون هناك بعض الأشخاص غير المخلصين

في الكنيسة، ربما حتى تجد بعض المنافقين، ولكن كل هذه الأشياء لا تنفي أهمية الكنائس. كل مسيحي يحتاج إلى كنيسة محلية. كل مسيحي يحتاج أن يكون فعالاً في الكنيسة المحلية.

الكنيسة هي جسد للمؤمنين المعتمدين. هي عائلة روحية. الكنائس ليست متّاحاً يزورها الناس، فهي أعضاء حية يقوم فيها الناس بالعبادة. هي أماكن للحياة والتأثير بالنسبة لهم، فالكنائس أكثر من مجرد مباني يلتقون فيها على الأغلب. في بعض البلاد يلتقون أسفل الأشجار أو في الكهوف بعيداً عن العامة. بعض الكنائس تجتمع في المنازل.

١- شركة نامية

هل تبحث عن كنيسة كاملة؟ لن تجد تلك الكنيسة. إذا حدث وانضمت لها، فلن تكون بعد كاملة. نحن لسنا أشخاصاً كاملين، فهناك دائماً مناطق ضعف بالكنائس. الكنائس أشبه ما تكون بالمستشفيات، حيث تصبح المكان الذي تلتئم فيه جراح المحاربين، وهذا هو السبب الغالب الذي يجعل تجمعنا معاً أمراً هاماً. فنحن جميعاً نحتاج التشجيع، ونحتاج أن ننمو في المسيح، والكنائس هي أفضل الأماكن التي أعرفها حيث تستطيع أن تحصل على المساعدة الروحية والتوجيه.

كيف ننمو كمؤمنين؟ في الجزء الأول من هذا الفصل، يتحدث عن اللبن الروحي، كلمة الله. في الكنائس نستمع إلى كلمة الله، ندرس كلمة الله معاً، فالكنيسة هي مكان التغذية. نتشارك طعامنا معاً. الرعاة يعظون بكلمة الله، وفي المجموعات الصغيرة ندرس كلمة الله. ربما ونحن منفردين نخطئ

الاتجاه، في الوقت الذي يساعدنا فيه وجودنا مع مجموعة من المؤمنين الآخرين أن نبقى في المسار.

هناك بعض الأشياء التي تعوق النمو. هذا صحيح ليس على المستوى المادي فقط بل على المستوى الروحي أيضًا. فإذا لم يكن الطعام متاحًا، غالبًا ما تحدث مجاعة. نحن نحتاج إلى بعضنا البعض لدراسة كلمة الله حتى لا نجوع. الشركة النامية هي موضع للحب. أن نحب بعضنا البعض لا يعني أن نفكر جميعًا بنفس الكيفية؛ المقصود منها أن نحترم بعضنا البعض. حيث أن المسيح غفر لنا، نحن نغفر لبعضنا البعض. حيث أن المسيح أعطانا، نحن نعطي بكل حرية لمساعدة بعضنا البعض.

إذا كانت هناك كنيسة لا تنمو روحياً، فهناك نقص في شيء ما. في سفر الرؤيا الإصحاح الثاني والثالث، يدور نقاش حول سبع كنائس متباينة. كل كنيسة من هذه الكنائس كانت مختلفة في أمر ما. واحدة من هذه الكنائس تركت محبتها الأولى، وكنيسة أخرى كانت حية بالاسم ولكنها ميتة؛ بالرغم من أنه في هذه الكنيسة كان هناك القليل من المؤمنين الحقيقيين. إحدى الكنائس كانت فاترة، وأخرى تمسكت بإيمانها بالرغم من قسوة الاضطهاد، كنيسة أخرى اجتازت في التجربة. ربما بإمكانك أن تجد كنيسة ذات علامات مشابهة للكنيسة التي تنتمي لها من خلال هذا الفصل.

٢- شركة عابدة

الكنيسة هي مكان حيث نتقابل مع الله. إنه أمر حقيقي أننا نتقابل مع أخوتنا وأخواتنا في المسيح. ولكن ما لم نعبد الرب، فإن الكنيسة تفشل في

الغرض من وجودها. فكل يوم أحد ينبغي أن نذهب ونحن نمتلك الرغبة في عبادة الرب. نلتقي لنسبح ونشكر الرب. قال يسوع أننا ينبغي أن نعبد بالروح والحق. فالأكثر أهمية من المكان ومن الظروف المحيطة هو توجه القلب. في الكنيسة ينبغي أن نقدم ذبائح روحية. ما هي هذه الذبائح الروحية؟

إحدى الذبائح هي ذبيحة التسبيح. «فَلْنَقْدِّمْ بِهِ فِي كُلِّ حِينٍ لِلَّهِ ذَبِيحَةَ التَّسْبِيحِ، أَيُّ ثَمَرِ شِفَاهٍ مُعْتَرِفَةٍ بِاسْمِهِ.» (عبرانيين ١٣: ١٥). عندما نسبح الله ندرك كم هو مستحق، ندرك من هو. نحن نسبحه لعظمته ولمجده، نسبحه من أجل كل ما عمله، نسبحه لما يعمل. نسبحه من خلال الترتيمات، نسبحه من خلال صلواتنا، نسبحه من خلال تقدماتنا.

ذبيحة أخرى نقدمها هي ذبيحة الشكر. وربما تكون هذه الذبيحة هي إحدى أكثر الذبائح المهملة. نحن نلتقي سويًا لنقدم شكرنا. «فَلْيَحْمَدُوا الرَّبَّ عَلَى رَحْمَتِهِ وَعَجَائِبِهِ لِنَبْنِي آدَمَ. وَلْيَذْبَحُوا لَهُ ذَبَائِحَ الْحَمْدِ، وَلْيَعْدُوا أَعْمَالَهُ بِتَرْتُمٍ.» (مزمو ١٠٧: ٢١-٢٢). إذا ما سَرَعْنَا فِي إِعْدَادِ قَائِمَةِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي نَشْكُرُ عَلَيْهَا، فأشك أننا سننتهي من تلك القائمة. إن البركات التي لنا أبعد بكثير من إدراكنا. عندما نعبد، ينبغي أن نكون شاكرين، فلن تكون هناك نهاية لشكرنا عندما نفكر في أمر خلاصنا. «ادْخُلُوا أَبْوَابَهُ بِحَمْدٍ، دِيَارَهُ بِالتَّسْبِيحِ. اْحْمَدُوهُ، بَارِكُوا اسْمَهُ.» (مزمو ١٠٠: ٤).

إن القلب المتضع هو ذبيحة أخرى نقدمها. عندما نقف في محضر الله، فليس هناك سببًا لأي مَنَّا كي نأتي أمامه بغير هذه الطريقة. فالرب قد خلصنا، وهو يستحق كل التسبيح. لا مجال هنا للتفاخر. فبغض النظر عن الخدمات

التي لدينا، المجد كله يعود إليه. هذه هي الطريقة الوحيدة للاقتراب إلى الله القدوس. يخبرنا الكتاب بأن نتضع، ويقول يسوع أن المساكين بالروح هم أناس فرحون. «ذَبَّاحُ اللَّهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. الْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا إِلَهُ لَا تَحْتَقِرُهُ.» (مزمو ٥١: ١٧).

٣- شركة شاهدة

قبل أن ينطلق يسوع من الأرض ليعود إلى السماء، أخبر تلاميذه عن ماهية العمل الذي يعملونه. كان عليهم أن يذهبوا إلى العالم أجمع ويكرزوا بالإنجيل. نحن نسمي هذا بالإرسالية العظمى. إن إرسالية الكنيسة لم تتغير أبدًا. هناك المزيد من الفرص للقيام بهذا اليوم أكثر من أي وقت مضى. فاليوم هناك العالم الرقمي الذي يمكن للكنيسة من خلاله نشر رسالة الإنجيل. ويجب أن تكون كل كنيسة هي كنيسة ذات عقلية إرسالية. لن نتوقف عند مجرد دوائرنا الصغيرة من المؤمنين، فحيث يكون هناك أناس بدون المسيح، عندئذ يقع على عاتق الكنيسة أن تخبر بكلمة الحياة.

إن إعلان الإنجيل ليس مجرد شيء مقتصر على المناسبات الخاصة. فالكنيسة تجتمع لتعبد أيام الآحاد، بينما نتفرق في أماكن متنوعة بقية أيام الأسبوع. لذا دورنا أن نكون كمناورات خلال أيام الأسبوع، وأن نكون كعلامات إرشادية تقود الناس نحو المسيح؛ فالكنيسة ليست هي المخلص. إن عمل الكنيسة خلال الأسبوع هو مشاركة إنجيل المسيح، ولهذا يُدعى المؤمنون «سفراء المسيح». فما هو الدور الذي يقوم به السفير؟ إنه يمثل دولته لدى دولة أخرى. وكمواطنين في ملكوت الله، علينا القيام بالمثل. فكيف سيتعرف

الناس على المسيح إن لم نخبرهم؟ وكيف سيعرف الناس من هم المسيحيون ما لم نحيا حياةً مسيحيةً؟

ما الذي ينبغي علينا أن نخبر العالم الضائع به؟ علينا أن نخبرهم بما فعله المسيح. إن إيماننا مترسخ على حقائق تاريخية، لذا فإننا نؤمن بالمسيح هو أمر جوهري. ينبغي أن نخبر الناس عما يستطيع أن يفعله لهم يسوع، ونخبرهم عما فعله المسيح في حياتنا. إن الشهادات الشخصية هي أمر قوي، والكنيسة تخرج إلى الخارج لتقديم شهادة خلال الأسبوع. المسيح يستطيع أن يخلص إلى يومنا هذا، ونحتاج أن نخبر الناس بهذه الرسالة حيثما كنا نعمل أو نلعب.

أخشى أن هناك الكثير من الكنائس الصامتة. فإذا كان ثمة أمر هام، ألا ينبغي علينا أن نصدر بعض الضجيج بخصوصه؟ في الحملات الانتخابية - وهذا يحدث عدة مرات - يتم ذكر اسم الشخص ورسالته بشكل متكرر عدة مرات، فلن يؤمن الجميع بشهادتنا، ولكن على الكنيسة أن تعلن الأخبار السارة عن يسوع؛ فرسالتنا لن تتغير، لابد أن نكررها مرارًا ونواصل تكرارها.

إن شعب الله في شركة من خلال المسيح. هي شركة نامية، هي أيضًا شركة عابدة، كما أنها شركة شاهدة. ألا ينبغي أن نحب الأشياء التي يحبها يسوع؟ لقد أحب المسيح الكنيسة وقدم ذاته لأجلها. الكنيسة تدعى عروس المسيح، كما تدعى جسد المسيح؛ فالمسيح هو الرأس. ألا ينبغي أن نعمل لأجل الأشياء التي عمل لأجلها يسوع؟ يجب أن نكون فعّالين وندعم الكنيسة المحلية. نحن كمسيحيين، ننتمي جميعًا إلى الكنيسة بمفهومها الأعم والأشمل. ينبغي علينا

جميعًا أن نتبع الرب حيث أننا اعتمدنا كمؤمنين إلى هذا الجسد، والشركة مع المؤمنين الآخرين في الكنيسة المحلية، أيضًا المشاركة في فريضة عشاء الرب، واللقاء بشكل منتظم لعبادة الله، ودراسة كلمته، وأيضًا المشاركة في نشر رسالة الإنجيل. بعض الكنائس لديها لافتة مثل هذه تقول: أَدْخُلْ لَتَعْبُدَ، أخرج لَتَخْدَمْ!

الفصل الرابع والعشرون

هل تستطيع المجيء إليه؟

«وَالرُّوحُ وَالْعَرُوسُ يَقُولَانِ: «تَعَالَ!». وَمَنْ يَسْمَعُ فَلْيَقُلْ: «تَعَالَ!». وَمَنْ يَعْطِشُ فَلْيَأْتِ. وَمَنْ يُرِدْ فَلْيَأْخُذْ مَاءَ حَيَاةٍ مَجَّانًا.» (رؤيا ١٧: ٢٢)

هناك بعض الأماكن التي قد لا نستطيع دخولها؛ فقد نجد بعض اللافتات تقول «ممنوع الدخول»، وربما نجد بعض الأسيجة التي تخبرنا بأنه لا يمكننا الدخول، أو بعض الأقفال التي تمنعنا هي أيضًا من الدخول. حتى إذا استطعنا دخول بعض الأماكن قد لا نتلقى الترحيب فيها. وإذا استطعنا الدخول من الأبواب، قد يقولون لنا أننا غير مدعوين.

هناك شيء واحد يوضحه الكتاب المقدس؛ وهو أننا مُرحب بنا لنجىء، فالأسيجة والأقفال ليست من جهة الله. بل الإنسان هو من أغلق الباب. الإنسان هو من وضع لافتة على قلبه تقول «غير مسموح بالدخول».

واحدة من أعظم الدعوات التي تتلقاها هي تلك الدعوة الواردة في نصنا. فهي تُجيب على سؤال، «هل يُمكنني المجيء؟» هل مسموح لي بالدخول؟ هل أنا مدعو؟ لا يَهْم ماذا فعلنا، لا يَهْم أين كنا، ولا يَهْم لماذا فعلنا تلك الأشياء. نحن مدعوون لأن نأتي إلى الله.

١- إذا سمعت، يمكنك أن تجيء

«وَمَنْ يَسْمَعُ فَلْيَقُلْ: «تَعَالَ!»». واحدة من أكبر مشاكلنا اليوم هي السمع. هذه حقيقة في بيوتنا، فالأطفال لا يستمعون إلى والديهم، والوالدين لا يستمعان أيضاً إلى أبنائهم، وهي مشكلة مجتمع أيضاً؛ لأننا لا نستمع إلى جيراننا. كذلك في المدارس، هناك العديد من الأطفال لا يستمعون، حيث أن عقولهم (تركيزهم) في موضع آخر. يعرف مدربو ألعاب القوى أنه يجب على الرياضيين أن يستمعوا جيداً، وإلا فلن يلعبوا بشكل جيد. قد توجد العديد من الأشياء التي نستمع إليها اليوم، فرمما تكون موسيقى الجيران الصاخبة جداً لدرجة أنك لن تستطيع فعل أي شيء إلا الاستماع إليها.

نحن بحاجة إلى قلب هادئ، نحتاج أن نسمع. تتكرر هذه الكلمات مرات عديدة للكنايس في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي: «مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ.» (رؤيا ٧:٢). ذكرت نفس الكلمات بطريقة مختلفة في (مزمور ١٠٤:١٠) «كُفُّوا وَاعْلَمُوا أَنِّي أَنَا اللَّهُ». أعتقد أن ذلك يشرح الكثير من سبب عدم استماعنا، حيث أننا نتحرك كثيراً. لذلك نحن بحاجة إلى أن نُسْكِنَ أنفسنا لنستمع.

لا شك في أن البعض سيقول: «لماذا لا يتكلم الله؟» والإجابة على ذلك السؤال هي أن الله يتكلم؛ فالروح والعروس يتكلمان، فقد كان الله يتحدث طيلة حياتك، ولا يزال يتحدث إلى يومنا هذا. ولكن كيف يتكلم الله؟ إنه يتكلم من خلال كلمته، الكتاب المقدس، ويتحدث أحياناً عن طريق الأصدقاء، ربما يتحدث من خلال المواقف التي تمر بها. عادةً ما يتحدث بهدوء للقلب

من خلال السكون، وبصوت خفيض. لقد سمعنا جميعًا عن الزوجة التي تتحدث إلى زوجها - وهو مستغرق في قراءة الصحيفة - وفي النهاية تقول: «إنك لم تستمع إلى ما قلته»، هذا هو الحال في كثير من الأحيان عندما يتعلق الأمر بالأمور الروحية، إننا لا نسمع صوت الله. يبدو الأمر كما لو كان لدينا سدادات في آذاننا، وتصمنا أشياء أخرى.

فقط أولئك الذين يسمعون هم من يأتوا، وهذا هو سبب أهمية الكرازة. فالناس بحاجة إلى أن يسمعوا. ما لم يسمعوا، فلن يؤمنوا. هذا هو سبب عمل القس، وسبب وجود الكنيسة. ونحن هنا لكي يسمع الناس دعوة الله لهم. ليست المشكلة في كلام الله، لكنها في سماعنا له. يُسجل العهد القديم عن الصبي صموئيل الذي سمع صوتًا يتحدث إليه ثلاث مرات. فركض إلى عالي الكاهن، حيث اعتقد أنه صوت عالي، ولكنه لم يكن كذلك، عندها أخبره عالي أن يقول: «تكلم يارب لأن عبدك سامع».

٢- إذا شعرت بالعطش، يمكنك أن تجيء

«وَمَنْ يَعْطَشُ فَلْيَأْتِ.» لا بد أن تكون هناك رغبة، أو جوع، أو عطش؛ إذا كنا نريد أن نأتي إلى الله. يكتفي الناس بالقليل جدًا، فنحن نشعر بالرضا عن الأشياء كما هي. ويشعر البشر بأنهم بحال جيد عندما تسير الأمور على ما يرام. فالعطش الوحيد لدى البشر هو العطش للمزيد من الأشياء، المزيد من الترفيه، والمزيد من المتعة. ولكنهم يقبلون بالقليل جدًا. لكننا إذا اقتربنا من الله، سنرى مدى جوعنا الكبير. وإذا أتينا إلى الطبيب العظيم، سنرى حالتنا الروحية البائسة. وإذا أتينا إلى المعلم الأعظم، سنرى عمق جهلنا الروحي. لا يشعر معظم البشر بالعطش الكافي ليأتوا إلى الله، فهم يشبهون كثيرًا كنيسة

لاودكية. «أَنْتَ تَقُولُ: إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدْ اسْتَغْنَيْتُ، وَلَا حَاجَةَ لِي إِلَى شَيْءٍ، وَلَسْتُ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْتَ الشَّقِيُّ وَالْبَيْسُ وَفَقِيرٌ وَأَعْمَى وَعُرْيَانٌ.» (رؤيا ١٧:٣).

ذات مرة كنت أوزع منشورات للإنجيل في اليابان، ثم عرّضت واحدة على رجل، فقال «إنني لست بحاجة إليها». وهذه هي الطريقة التي يشعر بها العديد من البشر اليوم، فهم يعتقدون أنهم مكتفين ذاتيًا. وحتى يدركوا حاجتهم، لن يأتوا أبدًا، بغض النظر عن الدعوة. ربما لا تعرف ما هو احتياجك، لكنك تشعر بأن هناك شيئًا ما ينقصك. هناك مكان فارغ في قلبك، فلماذا يعبد الناس الأصنام؟ لأن هناك احتياج روحي بداخلهم؛ ولماذا يأكل الناس في كل مكان؟ لأن هناك جوع في أجسادهم.

ما الذي يتوقعه العطشى عندما يأتون؟ سيتمكنوا من أن يشربوا من ماء الحياة، وهو الرب يسوع المسيح. فقد أخبر يسوع المرأة عند البئر بأنها ستعطش إذا شربت من بئر يعقوب، وأنه سيعطيها ماءً حيًا فلن تعطش مرة أخرى. في المسيح ستجد الاكتفاء الحقيقي، ستجد الحياة، ستجد التطهير. الماء أمر ضروري؛ ففي الصحراء الحارة، لا يوجد شيء يريده الإنسان أكثر من الماء. وفي صحاري الحياة لا يوجد شيء يحتاجه الرجل أو المرأة أكثر من ماء الحياة.

هل أنت عطش كما هو موصوف في (مزمو ٤٢: ١-٢)؟ «كَمَا يَشْتَأِي الْإِيْلُ إِلَى جَدَاوِلِ الْمِيَاهِ، هَكَذَا تَشْتَأِي نَفْسِي إِلَيْكَ يَا الله. عَطِشْتُ نَفْسِي إِلَى الله، إِلَى إِلَهِ الْحَيِّ. مَتَى أَجِيءُ وَأَتَرَاءَى قُدَّامَ اللهِ؟»، أو كما هو موصوف في (مزمو ٦٣: ١) « يَا الله، إِلَهِي أَنْتَ. إِلَيْكَ أَبْكُرُ. عَطِشْتُ إِلَيْكَ نَفْسِي.» فإذا عطشت، يمكنك أن تجيء. بدون العطش، لن تأتي.

٣- إذا كنت تريد، يمكنك أن تجيء

«وَمَنْ يُرِدْ فَلْيَأْخُذْ مَاءَ حَيَاةٍ مَجَّانًا.» إنها مسألة إرادة. قد يسمع الناس ولكنهم لا يأتون، وربما يعطشون ولكنهم لا يأتون، أنها أكثر من مشكلة فهم أو مشكلة وعي بالاحتياج. ولكن السؤال هو: هل تريد المجيء؟ هل تريد أن تخلص؟ هل تريد أن تكون لك علاقة مع الله الحي؟

لماذا لا يأتي البشر إلى المسيح؟ لأنهم لا يريدون المجيء. المسألة ليست في إرادة الله، فهو يريدك أن تجيء. لقد أفسح لك المجال لتأتي. تلك الكلمة («مَنْ» يعطش) هي كلمة شاملة. يمكنك أن تكتب اسمك هناك. إنها لك، يمكنك المجيء الآن. يمكنك المجيء بحرية، فالباب مفتوح، والأذرع ممدودة، والآب ينتظر. أنت مدعو. هذا ما قاله يسوع: «من يقبل إلي لا أخرجه خارجاً». أي تردد في المجيء، أي إحجام عن المجيء أو تأخير عنه يرتبط بإرادتنا في فعل ذلك.

لقد أعلن الله لك عن مشيئته بوضوح. «لَكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا، وَهُوَ لَا يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أَنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبَلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ.» (بطرس الثانية ٩:٣). ربما يتساءل أحد: إذا كانت إرادة الله خلاص الجميع، فلماذا لا يُخَلِّص الجميع؟ الإجابة هي أن إرادة الله لا تُجبرنا على دخول ملكوته. فالله ليس مغتصباً يُسلسلنا، وليس طاغية يجبرنا إلى السماء. لكنه أعطانا حرية محدودة، بها تكون لنا القدرة على الاختيار. نحن نتخذ قرارات في كل وقت. فهو لا يريد أناساً آليين (روبوتات)، ولا يريد مجموعة من الزومبي الذين لا يظهرون أي تأثر.

إنها ليست فقط إرادة الله، ولكن إرادتك أيضًا تقع ضمن الأسباب. فهل تريد المجيء؟ هذا هو السؤال. إذا كنت تنتظر الله لكي يخلصك، ولكنك لا تفعل شيئًا حيال ذلك، فلن تخلص أبدًا. الله يسألنا أن نأخذ ماء الحياة، وعلينا أن نستجيب لدعوة الله لنا. علينا أن نؤمن ونطالب بوعده. إذا نظرت عن كثب إلى صورة هولمان Holman الشهيرة للمسيح وهو واقف على الباب يقرع، ستري أنه لا توجد طريقة واحدة لفتح الباب من الخارج، بل يجب أن يُفتح من الداخل. فهل تفتح الباب؟

بإمكانك المجيء الآن. بإمكانك المجيء بحرية، فالطريق مفتوح لك. قال يسوع: «أنا هو الطريق والحق والحياة». وتخبرنا الترنيمة:

كما أنا وليس لي عذر لديك إلا الدم المسفوك عني من يديك

وأمرك القائل أن آتي إليك آتي أنا يا حمل الله الوديعة

المسيح يريدك أن تأتي، والكنيسة تريدك أن تأتي. ولكنك لن تأتي حتى تسمع، حتى تشعر بالعطش، وحتى تريد المجيء. هل تجيء اليوم؟

الفصل الخامس والعشرون

اتخاذ القرار بطريقة خاطئة

«فَحِينَئِذٍ أَخَذَ بِيَلَاطُسُ يَسُوعَ وَجَلَدَهُ. وَصَفَرَ الْعَسْكَرُ إِكْلِيلًا مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَالْبَسُوهُ ثَوْبَ أَرْجَوَانٍ، وَكَانُوا يَقُولُونَ: «السَّلَامُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!». وَكَانُوا يَلْطُمُونَهُ. فَخَرَجَ بِيَلَاطُسُ أَيْضًا خَارِجًا وَقَالَ لَهُمْ: «هَا أَنَا أَخْرَجُهُ إِلَيْكُمْ لِتَعْلَمُوا أَيِّ لَسْتُ أَحَدٌ فِيهِ عِلَّةٌ وَاحِدَةٌ». فَخَرَجَ يَسُوعُ خَارِجًا وَهُوَ حَامِلٌ إِكْلِيلَ الشَّوْكِ وَثَوْبَ الْأَرْجَوَانِ. فَقَالَ لَهُمْ بِيَلَاطُسُ: «هُوَذَا الْإِنْسَانُ!». فَلَمَّا رَأَى رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْخَدَّامُ صَرَخُوا قَائِلِينَ: «أُضْلِبْهُ! أُضْلِبْهُ!». قَالَ لَهُمْ بِيَلَاطُسُ: «خُذُوهُ أَنْتُمْ وَأُضْلِبُوهُ، لِأَنِّي لَسْتُ أَحَدٌ فِيهِ عِلَّةٌ. أَجَابَهُ الْيَهُودُ: «لَنَا نَامُوسٌ، وَحَسَبَ نَامُوسِنَا يَجِبُ أَنْ يَمُوتَ، لِأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ ابْنًا لِلَّهِ». فَلَمَّا سَمِعَ بِيَلَاطُسُ هَذَا الْقَوْلَ أَزْدَادَ خَوْفًا. فَدَخَلَ أَيْضًا إِلَى دَارِ الْوَلَايَةِ وَقَالَ لِيَسُوعَ: «مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟». وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمْ يُعْطِهِ جَوَابًا. فَقَالَ لَهُ بِيَلَاطُسُ: «أَمَّا تَكَلِّمُنِي؟ أَلَسْتُ تَعْلَمُ أَنَّ لِي سُلْطَانًا أَنْ أُضْلِبَكَ وَسُلْطَانًا أَنْ أُطْلِقَكَ؟». أَجَابَ يَسُوعُ: «لَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَيَّ سُلْطَانٌ الْبَتَّةَ، لَوْ لَمْ تَكُنْ قَدْ أُعْطِيتَ مِنْ فَوْقِ. لِيَذَلِكَ الَّذِي أَسْلَمَنِي إِلَيْكَ لَهُ خَطِيئَةٌ عَظِيمٌ». مِنْ هَذَا الْوَقْتِ كَانَ بِيَلَاطُسُ يَطْلُبُ أَنْ يُطْلَقَهُ، وَلَكِنْ الْيَهُودَ كَانُوا يَصْرُخُونَ قَائِلِينَ: «إِنْ أَطْلَقْتَ هَذَا فَلَسْتُ مُجِيبًا لِقَيْصَرَ. كُلُّ مَنْ

يَجْعَلُ نَفْسَهُ مَلِكًا يُقَاوِمُ قَيْصَرَ! ». فَلَمَّا سَمِعَ بِيَلَاطُسَ هَذَا الْقَوْلَ أَخْرَجَ يَسُوعَ، وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ الْوَلَايَةِ فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ «الْبَلَاطُ» وَبِالْعِبْرَانِيَّةِ «جَبَاثَا». وَكَانَ اسْتِعْدَادُ الْفِصْحِ، وَنَحْوُ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ. فَقَالَ لِلْيَهُودِ: «هُوَذَا مَلِكُكُمْ!». فَصَرَحُوا: «خُذْهُ! خُذْهُ! أَصْلِبْهُ!». قَالَ لَهُمْ بِيَلَاطُسُ: «أَأَصْلِبُ مَلِكُكُمْ؟». أَجَابَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ: «لَيْسَ لَنَا مَلِكٌ إِلَّا قَيْصَرُ!». فَحِينَئِذٍ أَسْلَمَهُ إِلَيْهِمْ لِيُصَلَّبَ. فَأَخَذُوا يَسُوعَ وَمَضُوا بِهِ. (يوحنا ١٩: ١-١٦).

لقد كانت محاكمة يسوع وقتًا حاسمًا. حيث توجَّب على بيلاطس أن يقرر ما الذي سوف يفعله بشأن يسوع. قد نعرف القليل عن بيلاطس باستثناء ما يتعلق بقراراته الحمقاء. تكررت تلك القرارات التي أصدرها بيلاطس عدة مرات عبر التاريخ. إننا جميعًا نواجه نفس القرار: «ما الذي سوف نفعله تجاه يسوع؟»، و «من هو يسوع؟»

هنالك قرارات بالغة الأهمية يتحتم على كُلِّ مَنَّا أن يتخذها. فإننا نتخذ قرارًا فيما يتعلق بشأن تعليمنا، وكذلك ما يتعلق بشأن الوظيفة، والزواج، والعديد من الأشياء الهامة الأخرى. لا شيء يفوق مدى أهمية اتخاذ قرار فيما يتعلق بشأن الرب يسوع. العديد من الناس يرفضون يسوع، فلا يريدون أن يفعلوا أي شيء حياله. لقد اتخذ بيلاطس قراره، ولكنه اتخذ بطريقة خاطئة؛ ولا يزال العديد من الأشخاص إلى يومنا هذا يتخذون قرارهم بنفس الطريقة أي يتخذون قرارهم بطريقة خاطئة.

١- قرار قبل الاستماع

ينطبق ذلك الأسلوب بالأخص على اليهود يومئذٍ، فقد اتخذوا قرارهم؛ حيث قاموا بإدانته قبل أن يستمعوا إليه. بغض النظر عما قاله أو فعله يسوع، إلا أنهم لم يصغوا إليه. أطلقوا على يسوع لقب «المجرم». يستحيل أن ينطبق ذلك الوصف على الرب يسوع. فقد كانوا يجهلون الحق واهتموا بمظاهرههم ومعتقداتهم الدينية أكثر من فعل الصواب.

أحيانًا يصبح الشك أو الظن أمرًا كافيًا ليقسي عقل الإنسان، حيث يضل أناس عن المسيح دون أن يصغوا إليه. ذات مرة كنت أشاهد برنامج تليفزيوني عن النساء في باكستان، وقد عرض ذلك البرنامج أن هناك العديد من النساء اللواتي قُتلن بسبب وجود أدنى قدر من الشك حيالهم. يقوم بعض الآباء بقتل بناتهم أو يقوم الأبناء بقتلهن. ففي الأغلب ليس لهؤلاء النساء الحق في الدفاع عن أنفسهن.

نجد في الكثير من المحاكم القانونية، افتراض براءة الشخص حتى تثبت إدانته. يتم استجواب المحلفين بدقة شديدة كي ما يقرروا إذا كانوا سوف يستمعون إلى الأدلة دون انحياز. يريدون أن يعرفوا ما إذا كان المحلف قد استمع بشأن القضية مسبقًا، ومن ثمَّ يتوصل إلى قرار إما بالإدانة أو بالبراءة.

لقد تمت محاكمة يسوع قبل أن يأخذه إلى بيلاطس. حتى عندما كان صغيرًا، كان الحاكم الروماني آنذاك يسعى لقتله. كذلك كانت السلطات الدينية تسعى لقتله لاحقًا. أرادوا أيضًا أن يقتلوا لعازر حتى بعدما أقامه يسوع من

الموت. يمكنك على الأقل أن تتفحص البراهين المتعلقة بشأن المسيح قبل أن ترفضه. فهناك بعض الأشخاص اللاأدريين (الذين لا يؤمنون بشيء) والملحدين أصبحوا مؤمنين راسخين في يسوع حين تفحصوا البراهين المتعلقة به.

لم يدعوا المسيحيون الآخرين للإيمان دون برهان. فنحن نؤمن بسبب البرهان. ثمة براهين هائلة تؤكد مدى دقة الكتاب المقدس. كذلك هناك براهين تتحدث عن حياة المسيح أكثر من أي شخص آخر على مر التاريخ. توجد أيضًا براهين هائلة بشأن قيامة الرب يسوع. يركز إيماننا على حقائق واقعية وموضوعية. فإننا نؤمن بما فعله يسوع. لم يكن يسوع مجرد أسطورة. فقد عاش حقًا حياة مثالية، وقد مات ليفدينا من خطايانا وكذلك قام من الموت. هو مخلصنا وإلهنا. سوف يأتي ثانية، وهو أيضًا الذي قال عن نفسه بأنه هو الذي كان.

٢- قرار بغض النظر عن الحقائق

على الرغم من أن بيلاطس كان يردد أكثر من مرة «أَيُّ لَسْتُ أَجِدُ فِيهِ عِلَّةً»، إلا أنه في نهاية الأمر اتخذ قرارًا خاطئًا. هنالك أناس يعرفون الحق ومع ذلك فهم يتخذون القرار الخطأ. إن الحق أمر بالغ الأهمية. نحن لا نريد أن يتبع الناس المسيح ما لم يؤمنوا بأنه هو الحق. قد كان بيلاطس يتساءل: «ما هو الحق؟»؛ هناك العديد من الأشخاص الذين يطرحون نفس السؤال إلى يومنا هذا. ثمة طريقة شائعة للإجابة على هذا السؤال، وهي أن تقول بأن الحق يختلف من شخص لآخر، فما هو حق بالنسبة لك ربما ليس كذلك بالنسبة لي.

كان الحق ماثلاً أمام بيلاطس ومع ذلك لم يدركه. ينشغل العديد من الأشخاص بأسئلة أخرى في حين أنهم لم يسألوا ذلك السؤال مطلقاً. على سبيل المثال ربما يتساءلون: «هل سوف يجعلني ذلك سعيداً؟»، بينما يتناسوا ويتجاهلوا البحث عن الحق. يطرحون سؤالاً آخرًا وهو كالآتي: «هل سيتطلب ذلك الكثير؟»، هل يمكنني أن انتفع من ذلك دون إبداء التزامًا تامًا؟ يرغب العديد من الأشخاص في دين يجعلهم يشعرون بالرضا سواء كان ذلك حق أم لا.

نجد أن قصة الابن الضال هي بمثابة مثال يُجسد ما نتحدث عنه هنا. إنني متيقن بأنه قد تم تحذيره بشأن المخاطر التي سيواجهها عندما ترك المنزل. عند هذه المرحلة في حياته لم يقبل الحقائق. كان فقط يتوق لقضاء وقت ممتع، فقد تمتع بملذات الحياة، من ثم انقلب كل شيء رأساً على عقب. فقد أنفق كل أمواله. هَجَرَ أصدقائه، وها قد أصبح وحيداً وبائساً يرمى الخنازير. قد كان جائعاً حتى أنه اشتهى أن يأكل ما تأكله الخنازير. على الرغم من هذا الوضع اليائس إلا أنه واجه الحق ومن ثم رجع إلى البيت.

٣- قرار بعدم اتخاذ قرار

حاول بيلاطس أن يتهرب من إصدار الحكم، فلم يكن يرغب في اتخاذ قرار. كان يريد من القادة اليهود أن يقرروا. حتى أنه أرسل يسوع إلى قائد روماني آخر؛ لكنه مع ذلك تحتم عليه بأن يقرر. فلا يمكنه أن يتفادى مسؤوليته. تجنب بيلاطس بأن يصدر الحكم حين أعطى الشعب فرصة ليختاروا باراباس عوضاً عن يسوع. كان الجميع يعلم بأن باراباس كان مجرمًا.

حتى حينما طلبوا منه أن يسفك دم يسوع. نرى ذلك المشهد المؤسف حينما غسل بيلاطس يديه معلناً: «إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هَذَا أَلْبَار!». لكن جميع مياه العالم لا يمكن أن تمحي ذلك القرار الذي اتخذه.

قد يصبح عدم اتخاذ القرار هو قراراً في حد ذاته. إن عدم تبعية الرب يسوع هو بمثابة قرار. قد يصبح التردد سمة يتصف بها العديد من الأشخاص الصالحين. حيث يواجهون صعوبة في اتخاذ القرار، وقد يفعلون أي شيء تقريباً ما عدا اتخاذ القرارات. هنالك مسئولية في اتخاذ القرار. تُصدر هيئة المحلفين حكمها. إنهم يقررون ما إذا كان الشخص المتهم مذنب أم بريء بناءً على الحقائق التي قُدمت إليهم.

لا يمكنك أن تتجاهل يسوع، فسوف تتخذ قراراً بطريقة أو بأخرى. عندما تُخرج يسوع خارج إطار حياتك فإن تجاهلك في حد ذاته هو بمثابة قرار تتخذه. ربما يؤمن العديد من الأشخاص بالحقائق المتعلقة بشأن الرب يسوع، لكنهم مع ذلك مترددون في اتخاذ القرار من جهة تبعيته. قد تؤدي العديد من القرارات إلى خسائر فادحة. ينطبق ذلك بالتأكيد على بيلاطس. ثمة قصة تقول بأن بيلاطس ظل يغسل يديه طوال حياته مردداً: «إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هَذَا أَلْبَار!». بالتالي فإن القرارات السيئة تؤدي إلى الحزن والألم. أن تتخذ قراراً خاطئاً بشأن المسيح فسوف يقودك ذلك إلى الجحيم.

٤- قرار يشوبه الخوف بسبب الناس

إن أسوأ أنواع القرارات هي تلك القرارات التي تنبع من الخوف. يبدو أن جميع قرارات بيلاطس كانت تنبع من خوفه من الشعب. كان يعلم

بأن يسوع بريء. كان يعلم أيضًا بأنهم أحضروا يسوع ليمثل أمامه بسبب ما بداخلهم من حقد تجاهه، ولا سيما أن بيلاطس كان يخشى ما قد يفكر فيه أو يفعله الشعب. كان يريد أن يتفادى الاحتجاجات وأعمال الشغب. قام اليهود باستغلال مخاوف بيلاطس قائلين: «إِنْ أَطْلَقْتَ هَذَا فَلَسْتُ مُحِبًّا لِقَيْصَرَ»، فهل كانوا حقًا يهتمون لأمر القيصر؟ ليس تمامًا. كان اليهود يبغضونه وكذلك جميع الحكام الرومانيين الذين يحكمونهم. لكن كان شغلهم الشاغل هو أن يتخلصوا من يسوع.

إن اتخذنا قراراتنا بناءً على ما يفكر فيه الآخرون أو على ما يقولونه، فسوف نصبح عبيدًا لهم. أليس غريبًا أن يتخلى أناس عن حق الاختيار لمجرد خشيتهم من الآخرين؟ لا يمكن لأي شخص آخر أن يتخذ لنا القرار. بينما يمكنهم أن يؤثروا على قراراتنا. لكننا في نهاية المطاف مسؤولون عن القرارات التي نتخذها.

هل ما يفكر فيه أصدقاؤك أو ما يقولونه كان سببًا في إبعادك عن تبعية المسيح؟ ربما ضغط عائلتك كان سببًا في جعلك تبتعد عنه. أن تتبع المسيح قد يحدث خلافًا في علاقتك بأسرتك. ربما تخسر بعض من أصدقاؤك بسبب قبولك للمسيح كمخلص ورب. هل تخشى من التغيرات التي قد تحدث في حياتك حين تتبع المسيح؟

لقد كنا نتحدث عن قرارات تم اتخاذها بطريقة خاطئة. أخيرًا دعونا نفكر بطريقة مختلفة تمامًا. كيف يمكننا أن نتخذ القرار بطريقة صائبة؟ يجب علينا أن نتخذ قرارنا بعد أن نستمع إلى الحقائق. يجب أن نتخذ قرارًا

بُناءً على ما هو حق وليس وفقاً لرأي الآخرين. أن نقرر بناءً على ما قاله
وفعله الرب يسوع. يجب أن نقرر دون تأجيل أو تردد. فإما نعيش من أجل
الرب يسوع أو نعيش ضده. فليس هنالك حل وسط. ماذا ستفعل تجاه
يسوع؟ اتخذ قرارك بحكمة وسرعة ووضوح. قرر الآن!

الخاتمة

هناك أخبار سارة لك، وهذا هو الغرض من كتابة هذه الرسائل. الأخبار السارة هي أنه يمكننا أن نَخْلُص بسبب العمل الذي عمله المسيح؛ لقد كان هذا هو الغرض من مجيئه للأرض. أتى المسيح لِيُخَلِّصَ الخطاة. فقد تمرد أول رجل وامرأة ضد الله، ومنذ ذلك الوقت مضى كل الرجال والنساء إلى طرقهم الخاصة، وهذا ما يقوله الكتاب: «إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ.» (رومية ٣: ٢٣). لقد أخطأنا من خلال عدة طرق، جمع يسوع كل توقعات الله حين قال أننا يجب أن نحب الله محبة فائقة؛ ومن الذي استطاع فِعْلَ هذا؟ يقول الكتاب أنه لا أحد فَعَلَ ذلك. لقد أخطأنا جميعًا، كما لخص يسوع بقية الوصايا بقوله أنه يجب أن نحب أقرباءنا كأفئسنا، ونحن نعلم أننا لم نفعل هذا!

بسبب الخطية صارت هناك هوة عظيمة تفصل بين الله والإنسان، فيقول الكتاب: «أَنَّ أَجْرَةَ الْخَطِيئَةِ هِيَ مَوْتُ». بسبب الخطية صرنا جميعًا منفصلين عن الله، وإذا ما واصلنا العيش بنفس الطريقة، سننتهي إلى الانفصال الأبدي عن الله. أعطانا الله الاختيار؛ فإذا لم نتجاوب معه ورفضنا الخلاص الذي قدَّمه، فسيسمح لنا بأن نعيش حياة بدونه في الجحيم.

ترك يسوع غنى السماء وأتى إلى فقر الأرض كي ما يخلصنا. لقد عاش حياة كاملة بحيث استطاع أن يكون بديلاً عن خطايانا. إننا نستحق الموت عن خطايانا، ولكن يسوع أخذ مكاننا، ووُضع عليه إثم جميعنا؛ وعندما مات، صرخ بصوت عظيم: «قَدْ أُكْمِلَ»، هذا يعني أنه أتمَّ عمل الخلاص. الطريق إلى السماء أصبح مفتوحاً الآن، والخطاة يستطيعون الآن أن يتقدموا إلى الله القدوس بسبب عمل المسيح. يوجد الآن جسر بين الإنسان الخاطئ والله القدوس «وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيَّنَّ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا.» (رومية ٨:٥).

الخلاص هو هدية. فلا تستطيع الخلاص بأعمالك الخاصة أو من خلال استمرارك في وضع المزيد من القوانين، فقط من خلال المسيح وعمله لأجلك يمكنك أن تأتي إلى الله «وَأَمَّا هِبَةُ اللَّهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبَّنَا». هل سمعت هذا؟ إنها هدية، وبطريقة أخرى يمكن القول أنه من خلال نعمة الله، فالأمر فضل غير مستحق مقدم من الله «لَأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالْإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ.» (أفسس ٨:٢).

كيف تستقبل الهدية؟ تقول: «شكراً» وتكون منفتحاً لاستقبالها. إذا كانت يدك ممتلئة، فلا موضع لاستقبال الهدية؛ إننا نتحول عن أنفسنا، عن طريقنا الخاطئ في الحياة، ونتجه نحو المسيح. لا نقوم بتنظيف حياتنا أولاً، نأتي فقط كما نحن والمسيح هو من يصنع التغيير. ما الذي تحتاج أن تفعله؟ آمن بيسوع كمخلص ورب لك. «أَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِقِمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، خَلَصْتَ.» (رومية ٩:١٠). الإيمان يعني أن

تسلم نفسك له، مثلما تلتزم في الزواج. الإيمان يعني أن تثق فيه، كما يحدث عندما تقوم بإيداع المال في البنك. الإيمان يعني أن تستند على وعده بأن يخلصك، كما تستند في الجلوس على مقعد.

إذا كنت مرتابًا من جهة أمر خلاصك، أو تريد أن تخلص، فتعال للمسيح الآن. لا تؤخر قرارك لمزيد من الوقت. يمكنك أن تصلي صلاة مثل هذه أو تصلي صلاة بكلماتك الخاصة تكون صادقًا فيها في كل كلمة وتعني كل كلمة تصليها.

يا رب،

أنا خاطئ. أعلم أنني لا أستحق أن أخلص. من فضلك اغفر لي وخلصني. أنا أقبل المسيح كمخلص ورب لي. أؤمن أنه مات لأجلي وقام من القبر. إن حُجّتي الوحيدة أن يسوع مات لأجلي. شكرًا لأنك تسمع صلاتي. في اسم يسوع.

اسمك: _____

تاريخ اتخاذك هذا القرار: _____

إذا كنت قبلت المسيح، ابدأ في أن تخبر أشخاص آخرين عن يسوع. ابحث عن كنيسة جيدة تقدم تعليم كتابي. اتبع الرب من خلال اعتمادك إلى جسد

المؤمنين. أعبد بانتظام مع مؤمنين آخرين، وادرسوا كلمة الله معًا. يمكنك الآن أن تصلي كل يوم وتعبر عن امتنانك، اسأل الله أن يرشدك. كلما قرأت كلمة الله، سيُعلِّمك. لا تقلق من جهة الأشياء التي لا تفهمها، فقط أطع الله في الأشياء التي تفهمها.

١. أبواب السماء مفتوحة - بليك ويسترن
٢. الأعظم بلا مُقارنة - بليك ويسترن
٣. لاهوت نتغنى به - بليك ويسترن
٤. عظيم ورائع - بليك ويسترن
٥. فقط أتساءل - بليك ويسترن
٦. قاموس المصطلحات اللاهوتية - د. القس رفيق إبراهيم
٧. البطل - د. فادي كيرلس
٨. الضمير في الثقافات والأديان - القس رفعت طنبوس
٩. ثنائية فارقة - القس رفعت طنبوس
١٠. حياة الطريق - القس رفعت طنبوس